

النور السائر  
من  
خطب المنابر

النور السائر  
من خطب المنابر

التنسيق والإخراج طالب عفو ربه الأكمل  
هشام بن حسين بن علي الأهدل

777 966 145 الأهدل 711 311 745

لحن الطباعة

النور السائر  
من  
خطب المنابر

المجموعة الأولى

تأليف الشيخ

عبد الله بن عبد الرحمن العواضي

2

## المقدمة

الحمد لله الذي خلق فسوى، وقدرّ فهدى، أحمده على نعم تترى، وآلاء لا أدرك لها حصراً، وأصلي وأسلم على المبعوث بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

أما بعد، فهذا سلك واحد يجمع ثلاث مجموعات تضم مائة خطبة انتقيتها من الخطب التي ألقيتها في سنوات خلت بعضها قد نشر- وبعضها لم ينشر، عاجلت هذه الخطب بعض القضايا المهمة التي يحتاجها الفرد والمجتمع، وقد سميت هذا المجموع بـ"النور السائر من خطب المنابر" راجياً الله تعالى أن ينير بها النفوس لسلوك الصراط المستقيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وما توفيقى إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه: عبد الله بن عبده نعمان العواضي

إمام وخطيب جامع ابن الأمير الصنعاني

اليمن- صنعاء

١٠/٢/١٤٣٦هـ، الموافق ٢/١٢/٢٠١٤م.

[Moh3517@gmail.com](mailto:Moh3517@gmail.com)



## مقدمة المجموعة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ؕ وَلَا تَمُونَّ إِلَّا وَآنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَنَجَدٍ وَمِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ؕ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ۝٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن خطبة الجمعة لها أهميتها ومكانتها في الإسلام؛ فهي موعظة أسبوعية واجبة الحضور على الرجال البالغين العقلاء الأصحاء المقيمين، يجتمعون إليها لسماع ما ينفعهم في أمر دينهم ودنياهم، ويستعدون لها استعداداً خاصاً من نظافة ظاهرة، وتبكير وقراءة قرآن وتنفل مفتوح بين يديها، فإذا شرعت الخطبة وجب حينئذ الإنصات التام لما يقوله الخطيب.

فهذه الأمور وغيرها تجعل لهذه الموعظة وقعاً خاصاً من الاهتمام والاستفادة منها

بعد الخروج من المسجد في الحياة العامة والخاصة.

إن خطبة الجمعة لو عُنِيَ المسلمون بها عناية خاصة- سواء الخطيب أم المستمعون- لكان لها أثر كبير في إصلاح المجتمعات المسلمة وردها إلى جادة الصواب ومصاف قيادة العباد، وفتح الله بها مغالق كثيرة، وأنار بها دروباً كانت تعيش في ظلام دامس وجهل مطبق.

وبعد: فهذه مجموعة من الخطب التي خطبت بها أحبيت نشرها لتعم الفائدة، سائلاً الله تعالى أن يجعلها خالصة لوجهه، نافعة لعباده، وصلى وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه: عبد الله عبده نعمان العواضي  
إمام وخطيب مسجد ابن الأمير الصنعاني  
اليمن- صنعاء  
Moh3517@gmail.com



## تأملات في وصايا لقمان (١)

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده؛ ليكون للعالمين نذيراً، وتبارك الذي جعل في السماء بروجاً، وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً، أحمده على نعمة الإسلام حمداً كثيراً، وأشكره على نعمة الهدى والقرآن شكراً غزيراً.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولداً، ولم يكن له شريك في الملك، وخلق كل شيء فقدره تقديراً. وأشهد أن نبينا وهادينا محمد بن عبد الله، بعثه الله إلى الجن والإنس بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، أنار بالقرآن العقول، وشرح به الصدور، وشفى به القلوب، فامتلت به حبوراً وسروراً، فصلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فاتقوا الله -عباد الله- فبتقوى الله تستنير البصائر، وتستريح الضمائر؛ فتفرق بين الحق والباطل، والسليم والسقيم، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَنقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الأففال: ٢٩].

أيها المسلمون، لقد تعاقبت القرون، وتآلفت السنون، وهو لا يزال المنهل الصافي

(١) ألقى في مسجد ابن تيمية في ١٩/١٢/١٤٢٨هـ، إب-الدليل.



الذي لا تكدره الدلاء، والنور الساطع الذي ليس به خفاء، والحجة الدامغة والبرهان الجلي الذي لا يبطله تعدد الأفهام والآراء، والقول الصادق، والأسلوب الرائق، والإعجاز الناطق بأنه كلام الخالق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

عباد الله، هذا هو القرآن الكريم، أنزله الله ليكون كتابَ هداية وإرشاد، وحجة وحكمة، وعلم وإيمان، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه، ويهديهم إلى صراط مستقيم. من تمسك به نجا، ومن ضل عنه هلك، احتوى على عجائب لا تنفد، وفتح أبواباً للنور لا توصل.

فحري بنا أن نتأمله ونتدبر آياته؛ لنفتح أقفال قلوبنا، وغشاوة عقولنا، نتنقل بين رياض آياته التي تتحدث عن الله تعالى، وعن رسله وتشريعاته لخلقه، وقصصه عن الغابرين؛ لنستلهم من تلك القصص العظات والعبر، فنتمثل الحق من ذلك في حياتنا. ولقد اشتمل القرآن الكريم على عدد من القصص التي تحكي الأحداث: إما عن الأنبياء وما جرى لهم مع المؤمنين بهم أو الكافرين، وإما عن أفراد وطوائف جرى لهم ما فيه عبرة، وإما عن حوادث وأقوام في عهد النبي ص.

وقصص القرآن أصدق القصص كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا

﴾ [النساء: ٨٧]؛ وذلك لاشتمالها على موافقة الخبر للحدث.

وهي أحسن القصص، كما قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا

النور السائر من خطب المنابر

إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَفْلِينَ ﴿٣﴾ [يوسف: ٣]؛ لأنها احتوت على أعلى درجات البلاغة الأسلوبية، والفصاحة اللفظية، والجلالة المعنوية.

وهي أنفع القصص كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١]؛ وذلك لقوة تأثيرها في إصلاح القلوب والأعمال والأخلاق، فلا تساق هذه القصص البديعة للتسلية ومعرفة الحدث مجرداً، وإنما يؤتى بها لخير يُتبع، وهدى يستمسك به، أو لشر- يُجتنب، أو مثل سوءٍ يتعد عنه، أو مثل حسنٍ يقتدى به.

عباد الله، يقول الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ (١٢) وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣) وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصْلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ (١٤) وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٥) يَا بُنَيَّ إِنَّمَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (١٦) يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (١٧) وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخَالٍ فَخُورٍ (١٨) وَأَقْصِدْ فِي مَشِيكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ

هذا نموذج فريد من القصص القرآنية يحكي قصة العبد الصالح لقمان في سورة سميت باسمه؛ إعلاء لشأنه، ذكر الله فيها ما جرى له مع ابنه من حديث مؤثر في التربية والنصيحة، وقد صُدِّرت هذه السورة الكريمة بإشارة تلميحية إلى تميز قصص القرآن الكريم على قصص غيره؛ إذ تورد القصة القرآنية لهداية الناس، وتبصيرهم طريق الحق، بخلاف قصص ما سواه، ففي قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [لقمان: ٦]، إيحاء إلى القصاصين الملهين للناس المعرضين بهم عن القرآن كالنضر- بن الحارث الذي كان يسافر إلى بلاد الفرس ويقتني كتب قصص ملوكهم، ويأتي مكة يحدث بذلك؛ ليشغل أهل مكة عن سماع رسول الله. فبينت السورة بهذا التصوير أن القرآن في قصصه يشتمل على ما فيه هدى وإرشاد للخير، ومُثل الكمال، فجاءت هذه القصة لتكون أنموذجاً عن هذه المقاصد الشريفة من القصص.

أيها المسلمون، إن تربية الجيل أمانة عظيمة، تتطلب تظافر الجهود ابتداء من البيت الذي يعد عنصر- التأثير والتأثر الأول في نفس النشء، فتربية الأولاد مهمة تقف على كاهل الأب والأم؛ لكونها راعيين عمن استرعاهما الله عليه، فالأب راعٍ في بيته ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها، ومسؤولة عن رعيتهما، كما قال نبينا الكريم عليه الصلاة والسلام.

عباد الله، إن لقمان عليه السلام كان رجلاً حكيماً حُفظت عنه حكيم كثيرة،

النور السائر من خطب المنابر

خصوصاً في تربية الولد، وفي هذه الآيات بعض من تلك الحكم. فقد اجتمعت في هذه الآيات الكريمة من وصيته لابنه أمثلة من أصول الشريعة كلها وهي: الاعتقادات والأعمال والآداب، فما أحوجنا إليها تعلماً وتعليماً وعملاً!

عباد الله، إن نعم الله على عباده كثيرة متنوعة ومن أعظم هذه النعم: الصواب في المعتقدات، والفقہ في الدين، والعلم والعمل والفهم الصحيح، وهذه هي الحكمة، ومن يُرزقها فقد رزق خيراً كثيراً، قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩]، وهذه العطية الحسنى لن تدوم ولن تزيد إلا بشكر واهبها قولاً وفعلاً بتحقيق نتائجها في الإصلاح لا الإفساد.

والله تعالى غني غني مطلق لا يحتاج الشكر ولا ينفعه حصوله، وإنما عائد ذلك الشكر على الشاكر ببقاء النعمة وزيارتها؛ ولهذا قال تعالى هنا: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [لقمان: ١٢].

معشر المسلمين، إن محبة الولد والشفقة والحرص عليه فطرة وجبلة في قلب أبويه؛ ولذا هما يحرصان على جلب ما يسعده ودفع ما يضره، ولكن للأسف -يا عباد الله- فقد اقتصر فهم كثير من الناس في إسعاد الأولاد على توفير الطعام والشراب والكساء والدواء والمسكن وغير ذلك من حاجات الجسد، ولا ينظرون إلى أهم من ذلك كله وهو إسعاد الروح وإصلاح السلوك، فأقل الناس من يفعل هذا. لقد قام لقمان رحمه الله بوعظ ابنه مرغباً ومرهباً -وقبل أن يزرع فيه بذور الخير والصالح- أراد أن يزيل

ما في نفسه من الشر حتى تخلو وتصفو، وبعد ذلك يضع ما يريد من الخير. وإن أعظم الشر: الشرك بالله تعالى والكفر به، بصرف شيء من حق الله لغيره، وهذا هو الظلم العظيم حقاً؛ فلا أظلم ممن سَوَّى المخلوق من تراب بمالك الرقاب، وسوى الذي لا يملك من الأمر شيئاً بمالك الأمر كله، وسوى الناقص الفقير من جميع الوجوه بالرب الكامل الغني من جميع الوجوه، وسوى من لا يستطيع أن ينعم بمثقال ذرة من النعم، الذي ما بالخلق من نعمة في دينهم ودنياهم وأخراهم وقلوبهم وأبدانهم إلا منه، فهل أعظم من هذا الظلم شيء؟

روى الشيخان في صحيحهما عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: لما نزلت: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ قلنا: يا رسول الله، أين لا يظلم نفسه؟! قال: (ليس كما تقولون) ﴿لَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ بشرك، أو لم تسمعوا إلى قول لقمان لابنه: ﴿يَا بَنِي لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (٩).

ومن هنا تبدأ وصايا لقمان، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان ١٣].

عباد الله، لا حقَّ أوجب تأديّة بعد حق الله من حق الوالدين اللذين كانا سبب الوجود للولد في هذه الحياة؛ ولهذا يقرن الله تعالى بين حقه وحقها في آيات من القرآن الكريم كهذه الآية؛ لأن الله تعالى نعمة الإيجاد، وللوالدين نعمة التربية والإيلاء. إن بر الوالدين - معشر - المسلمين - فريضة في كل الشرائع والأديان، ويأمر بها العقل السليم ومنهج العدل القويم، وردّ الجميل والمعروف. فكم قدم الوالدان من

النور السائر من خطب المنابر

كفاية ورعاية وعناية، وتحملاً من شقاء وعناء، وحرمانٍ من هناء، تعباً ليستريح الولد، وسهراً لينام، وبذلاً ليستغني، وجاعاً ليشبع، وعطشاً ليروي. تتسع الحياة بهما إن ضحك وسلم، وتضيق عليهما إن حزن أو سقم، وكل تعب تحملاه، وكل عطاء قدماه؛ ليكبر ويحيا.

أفلا يستحقان بهذا طاعةً وخفضَ جناح، وكلمة لينة، ورداً جميلاً، وإحساناً ورحمة، وبراً ورعاية؟.

ألا ما أفضح العقوق وأسوأ فعله! وأكد عاقبته وعقوبته، يوم يقلب العاق -ابناً أو بنتاً- لوالديه ظهر المجن، ويكفر المعروف، ويرفع صوته فوق صوت أبيه، ويميل إلى العطوف الرؤوم إلى أمه فيسقي خدودها دمعها الهتان؛ جراً عصيانه وعقوقه، وقد يتعدى ذلك السوء إلى الضرب والإهانة.

ألا فليحذر العاق، وليستدرك قبل نزول العقوبة وفوات زمن الاستدراك، وليبشر البار المحسن بسعادة الدنيا ونجاة الآخرة، فعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سألت رسول الله ص أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: (الصلاة على وقتها)، قلت: ثم أي؟ قال: (ثم بر الوالدين) قلت: ثم أي؟ قال: (ثم الجهاد في سبيل الله)<sup>(١)</sup>. وقال رسول الله ص: (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ - ثلاثاً -: الإشراف بالله، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور -أو قول الزور -، وكان رسول الله ص متكئاً فجلس فما زال يكررها حتى قلنا:

(١) متفق عليه.

ليته سكت) (١)؛ ولهذا قال تعالى هنا: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ، وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [لقمان: ١٤-١٥].

عباد الله، إن بر الوالدين واجب الأداء ما لم يتعارض مع حق الله، كأن يأمرنا بمعصية الله، أو ينهيا عن طاعته، فإن فعلا فلا طاعة لهما، ولكن لا يعقان، بل يحسن إليهما في حدود الطاعة.

أيها المسلمون، أين يذهب الإنسان عن علم الله ونظره؟ هل هناك أرض غير أرضه؟ وكون غير كونه، وملك غير ملكه؟ حتى يتمكن العاصي من فعل معصيته دون رؤية خالقه ونظره وعلمه؟!

أيها العبد المسلم، راقب حركاتك وتصرفاتك أن تزل أو تضل؛ فهناك من يرقب، فلا تستصغر ذنباً تعصي. الله به وتقول: إنه صغير حقير، فكل ذلك مسجل عليك لا يفوت الله منه شيء، والصغير بالتواتر كبير.

إذا أردت أن تعصي. الله فتذكر قدرته وعلمه وعظمته: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]، وأنت أيها الطائع لا تحتقر المعروف لصغره وقلته، فإن فعلته فتيقن أن ذلك لن يذهب ما دام خالصاً صواباً، بل هو مسجل لك عند المحيط

(١) متفق عليه.

النور السائر من خطب المنابر

بكل شيء، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُّضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠].

ولهذا قال لقمان لابنه واعظاً: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ١٦].

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل خلوتُ ولكن قل عليّ رقيب  
ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا أن ما تخفي عليه يغيب

أيها الناس، إن الصلاة هي أكبر العبادات البدنية، وعمود الإسلام وعماد الأعمال، وأعظم الطاعات وأدومها، وفريضة السماء، وأحب الأعمال إلى الله، وكفارة الذنوب ومحرقتها، ومهذبة النفوس ومُصلِحَتُها.

الصلاة اعتراف بطاعة الله، وطلب الاهتداء للعمل الصالح، الصلاة اتصال بالله وقربٌ منه ومناجاة وابتهاج، الصلاة تواصل مع العبادة، وهجر لمشاغل الدنيا وإقبال على الآخرة.

الصلاة في حقيقتها ليست حركات جوفاء، وعادة تُؤدى بأفعال محدودة ويُنْتَهَى منها، إن الصلاة بتلك الحركات التي لا معنى لها صلاة ميتة، أما حياة الصلاة فباستعدادٍ قبلها، وتوجيهٍ أثناءها، وتأثيرٍ بعدها. فالمصلي الحي يجمع في صلاته حضور القلب، وتفهم معنى الكلام المتلو أو المسموع، واستحضار تعظيم الله وهيبته، من معرفة جلال الله تعالى، ومعرفة حقارة النفس واستعبادها لمعبودها الجليل، فإذا سمع



المسلم النداء لها تذكر النداء للقيامه فلينظر ماذا يجيب، وإذا ستر عورته فليعلم أن المراد من ذلك تغطية فضائح بدنه عن الخلق، فليذكر عورات باطنه، وفضائح سره التي لا يطلع عليها إلا الخالق تعالى.

وإذا استقبل القبلة فقد صرف وجهه عن الجهات إلى جهة بيت الله تعالى، فصرف قلبه عن كل شيء إلا إلى الله وحده، فإذا كبر استشعر بحسه وفعله أن الله أكبر من كل شيء؛ فلا يقدم عليه شيئاً، وإذا ركع استشعر في ركوعه التواضع والعبودية، وفي سجوده الذل والانكسار للعظيم سبحانه.

فمن أراد الفلاح يوم المزيد فعليه إقامة الصلاة في أوقاتها بأركانها وشروطها وواجباتها، وسننها وخشوعها وحقيقتها.

وعلى الوالدين أن يعلموها الأولاد ذكوراً وإناثاً، كما قال رسول الله ص: (مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر - سنين، وفرقوا بينهم في المضاجع)<sup>(١)</sup>.

ولهذا قال لقمان لابنه موصياً: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ..﴾.

أيها المسلمون، إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم قواعد الدين، وهو المهمة التي ابتعث الله لها المرسلين، قال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

(١) رواه أبو داود، وهو حسن.

\_\_\_\_\_ النور السائر من خطب المنابر

فبهذه الشعيرة صلاح الدين والدنيا، فلو تُرك الناس وأهواءهم لكثرت الفساد، وخربت البلاد، وطغى العباد، فنزل العذاب والنقم، ورفعت الخيرات والنعم.

إن القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس وظيفة ينهض بها بعض الناس، بل كل مسلم مأمور به على قدر علمه واستطاعته؛ ولهذا جاء هذا العمل العظيم من أوصاف هذه الأمة، كما قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ...﴾ [آل عمران ١١٠]، وقال رسول الله ص: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، ومن لم يستطع فبقلمه، وذلك أضعف الإيمان)<sup>(١)</sup>.

إخواني الأفاضل، يقول أبو حامد الغزالي -مبيناً عظم شأن هذه الشعيرة وخطر التحلي عنها: "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين، وهو المهمة التي ابتعث الله لها النبيين أجمعين، ولو طوي بساطه، وأهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة، واضمحلت الديانة، وعمت الفترة أي: الجاهلية، وفشت الضلالة، وشاعت الجهالة، واستشرى الفساد، واتسع الخرق، وخربت البلاد، وهلك العباد، ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد".

ولما كانت هذه المهمة الشريفة تخالف أهواء الناس وشهواتهم فإنها تجر إلى صاحبها معاداة الناس وأذاهم؛ لذلك كان على الأمر والنهي التدرع بالصبر وعدم

(١) رواه مسلم.

الجزع، وهنا لقمان رحمه يوصي ولده قائلاً: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان ١٧].

فنسأل الله أن يصلح قلوبنا، وأن يوفقنا لبر والدينا، وأن يجعلنا من أهل خشيته، وأداء فريضته، ومن الأمرين بالمعروف والناهيين عن المنكر ابتغاء مرضاته.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، ولسائر المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور

الرحيم.



النور السائر من خطب المنابر

## الخطبة الثانية

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يكن له من خلقه صاحبة ولا ولد،  
والصلاة والسلام على نبينا محمد، صلاة وسلاماً دائمين إلى يوم الدين، أما بعد:  
أيها المسلمون، إن تهذيب النفس وإصلاح عوجها، وتحسين علاقاتها مع الناس،  
وإكسابها الآداب الفاضلة، والأخلاق الكاملة، وإزالة رذائل صفاتها أمور في غاية  
الأهمية، فمن أصلح علاقته مع الله بأداء حقه من الطاعة والانقياد، ومع خلق الله  
بإيفائهم ما يجب لهم عليه، وترك مطالبتهم بما ليس له فيه حق، فقد سعد ونجا.  
وما أحسن أن يكون الإنسان محبوباً عند الله وعند خلقه، وما أبغض أن يكون  
مكروهاً مرفوضاً في السماء والأرض.

إن النفوس قد طُبعت على محبة من يتواضع لها ولا يتكبر عليها، ولا يسعى  
مفتخراً مؤذياً لها، فالتواضع - معشر المسلمين - خلق كريم يجيء الإنسان من معرفته  
حقيقة نفسه؛ فمن نظر إلى نفسه بعين بصيرة وجد فيها عيوباً كثيرة تدعوه إلى أن لا يغترّ  
على غيره وعنده تلك الآفات الكبيرة. فالتواضع لين الجانب، لطيف الخطاب، متودد  
إلى الناس، حسن الخلق معهم، محسن إليهم، كريم المعشر، سهل المعاملة، ينزل الناس  
مقاماتهم ولا يحتقرهم، يقبل الحق ممن جاء به ولو كان أدنى منه في جميع منازل الدنيا،  
يخدم نفسه ويساعد أهله في مهمات البيت وحوادثه.

إن مشى، مشى مشية معتدلة لا يتبختر ولا يتماوت، وإن جلس، جلس جلسة مستوية  
حيث انتهى به المجلس ولا يتخير رؤوس المجالس ووجوهها، وإن تكلم لم يتفهب ولم يتشدق،

ولم يثرثر ويرفع صوته، فكلامه حسن اللفظ، جميل المعنى، معتدل الصوت.

وإن لبس، لبس ما وجد، فلم يتكلف أو يتشبع بما ليس عنده، فيلبس الرخيص من الثياب والنفيس منه، ولكنه لا يقصد به علواً على الآخرين وكسراً لقلوبهم، ولكن ليحدث بنعمة الله عليه؛ ولأن الله جميل يحب الجمال.

فبهذا أحبه الناس وسودوه عليهم ورفعوه بينهم،

تواضع تكن كالنجم تبصر وجهه... على صفحات الماء وهو رفيع

ولا تك كالمدخان يعلو بنفسه... إلى طبقات الجو وهو ضيع

أما الكبر فما أسوأها من شيمة، وأقبحها من صفة ذميمة، يرى المتكبر نفسه بين الناس كالطائر العالي في السماء، ولا يدرك أنه كلما ارتفع صغر في أعينهم كذلك، المتكبر يرد الحق، ويحتقر الناس، ويصغر وجهه وينظر شزراً إليهم، يجب أن يحترمه الناس ويعرفوا مكانه ولو بغير الحق، إن تكلم رفع صوته من غير حاجة، وبحث عن أوابد الكلام وغرائبه؛ حتى يقال: ما أبلغه وما أعلمه!.

وإن لبس، لبس لباس الشهرة وجر ثوبه خيلاء، وأعجب بما لديه، وإن جلس جلس مرتفعاً على الآخرين، يتخير أماكن محددة، فحركاته وسكناته، وقيامه وقعوده، وسكوته ونطقه، ومشيه ووقوفه إعجاب بنفسه، واستصغار لغيره. وكل متكبر مقل من هذه الصفات أو مستكثر.

ما أجهل المتكبر وأحقر نفسه! أراد أن يرتفع فوضع، وأن يعز فذل، وأن يتميز



النور السائر من خطب المنابر

فغاب عن مشهد الاحترام، فما أحرأه بيبغض الناس وإبعادهم.

أحبتني الكرام، ما أحسن ما وصف الله المتواضعين ومدحهم فقال: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان ٦٣]، وما أعظم جزاءهم في قوله: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [التقصص ٨٣].

وما أخوف ما جاء في حق المتكبرين من الوعيد، كقوله عليه الصلاة والسلام: (تحتاج النار والجنة، فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين...) (١).

فمن أراد أن ينفي الكبر عن نفسه، ويستعمل التواضع فعليه بسيرة الرسول عليه الصلاة والسلام ففيها القدوة والكفاية.

وهنا لقمان يربي ولده على التواضع ويحذره وسائل الكبر والغرور فيقول: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمَسَّ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ، وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْظُمُصْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان ١٨-١٩].

أيها المسلمون، ما أجمع هذه الوصايا، وأجمل هذا التعليم، وأحسن نتائج هذه الحكمة، وأسعد من تمسك بها، فأحر بنا أن نتعلمها، ونعلمها أبناءنا وبناتنا.

ألا فلتتبع -عباد الله- هذه الوصايا؛ لننال السعادة في الدنيا والفلاح في الآخرة.

(١) رواه مسلم.

---

---

وندعو الله أن يصلح نفوسنا، ويهذب أخلاقنا، وأن يعيننا على تقويم سلوكنا؛ إنه

سميع مجيب.

هذا وصلوا على سيد الأنبياء...

## عاشوراء بين السنة والبدعة (١)

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل

عمران: ١٠٢]. ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِطَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِءَ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]. ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۖ ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

أيها المسلمون، إننا في شهر الله المحرم، شهر عظيم عظمه الله تعالى، فجعله من الأشهر الحرم الأربعة فقال تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ۗ ذَلِكَ الْدِينُ الْقَائِمُ ۗ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا قَاتَلْتُمُوهُمْ ۗ كَافَّةً ۗ﴾



وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ [التوبة: ٣٦].

ومن تعظيم الله أن نعظم ما عظمه الله عز وجل، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْكُمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج ٣٢].

فمن تعظيم الله تعالى: تعظيم الأشهر الحرم، ومن ذلك شهر الله المحرم.

وقد ذكر الله تعالى تعظيم هذه الأشهر الحرم في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَطْلُمُوا فِيهَا أَنْفُسَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٦].

إنها جملة تعم جميع أنواع الظلم: ظلم الإنسان لربه، وظلم الإنسان لنفسه، وظلمه لغيره من خلق الله تعالى.

عباد الله، إن العبد مطالب بهجر جميع الذنوب في جميع الأوقات والشهور، لكن هذه الأشهر الأربعة لها مزية وخصوصية على غيرها. فليتق المسلم ربه فيها، وليعلم عظمها وقدرها.

أيها المسلمون، إن شهر الله المحرم شهر فضيل، ومن فضائله: أنه زمان فاضل لعبادة الصيام. قال رسول الله ص: (أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل)<sup>(١)</sup>.

فيا سعد من سابق في هذا الشهر إلى هذه العبادة العظيمة التي يضاعف أجرها في

(١) رواه مسلم.



النور السائر من خطب المنابر

هذا الشهر المعظم.

ألا واعلموا - يا عباد الله - أن أعظم أيام هذا الشهر التي يستحب صيامها: يوم عاشوراء. وهو اليوم العاشر من هذا الشهر.

هذا اليوم العظيم يوم مبارك حث رسول الله ص على صيامه، وبين أجر ذلك فقال: (وصوم يوم عاشوراء إني أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله) (١).

وهذا غنم كبير أن تكفر ذنوب سنة بصوم يوم، فكم نقترف من أوزار طوال العام، وليس لنا من الحسنات نصيب وافر نعتمد عليه في تكفير معاصينا. فهذا خير متدفق ساقه الله إلى عباده، فأين أهله وطالبوه، ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم؟.

غير أن هذا التكفير لذنوب السنة إنما يكون للذنوب الصغيرة، أما الكبائر فتحتاج إلى توبة نصوح، كما ذكر ذلك كثير من العلماء، ولا مانع، -والله أعلم- أن يتفضل الله تعالى على بعض عباده بغفران كبير ذنوبهم وصغيرها، والله ذو الفضل العظيم.

فلا يفوتك -أيها المسلم- صوم هذا اليوم؛ فإنه غنيمة باردة، وتوفيق من الله تعالى لمن صامه.

أيها المسلمون، لقد كان رسول الله ص يحرص على صيام هذا اليوم، ويتحراه أكثر من غيره؛ لعظم خيره، ومزيد فضله.

(١) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه، وهو صحيح.

فعن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: (ما رأيت النبي ص يتحرى صيام يوم فضله على غيره إلا هذا اليوم يوم عاشوراء، وهذا الشهر يعني: شهر رمضان)<sup>(١)</sup>.

ولقد صار هذا التحري والحرص ديدن أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام، ورضي الله عنهم، منهم: عمر، وعلي، وأبو موسى، وعبد الرحمن بن عوف، وابن عباس، وعبد الله بن سلام، وابن مسعود، وجابر بن سمرة، وقيس بن سعد، وغيرهم رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أجمعين، فقد أرسل عمر إلى الحارث بن هشام: "أن غداً يوم عاشوراء، فصم، وأمر أهلك أن يصوموا"<sup>(٢)</sup>.

وعن الأسود بن يزيد قال: ما رأيت أحداً ممن كان بالكوفة من أصحاب النبي ص أمر بصوم عاشوراء من علي وأبي موسى<sup>(٣)</sup>.

قال ابن عبد البر في التمهيد: "وروينا عن ابن مسعود وجابر بن سمرة وقيس بن سعد قالوا: كنا نؤمر بصوم عاشوراء، فلما نزل رمضان لم نؤمر به ولم ننه عنه، ونحن نفعله".

والأفضل - معشر المسلمين - أن يكون هذا اليوم مشفوعاً بصوم يوم قبله، أو يوم بعده؛ لأن في ذلك مخالفة لليهود؛ لأنهم يصومونه وحده، ورسول الله ص كان يجب مخالفتهم.

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه مالك في الموطأ وابن جرير في تهذيب الآثار.

(٣) رواه البيهقي.

النور السائر من خطب المنابر

ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: (لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع)<sup>(١)</sup>.  
لكن المنية عاجلته فمات قبل بلوغه المحرم ص.

والأفضل في الصيام ما ذكره ابن القيم رحمه الله حينما قال: إن مراتب صومه  
ثلاثة، أكملها: أن يصام قبله يوم وبعده يوم، ويلى ذلك: أن يصام التاسع والعاشر  
وعليه أكثر الأحاديث، ويلى ذلك أفراد العاشر وحده بالصوم.

أيها المسلمون، إن صيام يوم عاشوراء قد مر بمراحل، كان الاستحباب المؤكد  
الذي استقر عليه أمر التشريع هو المرحلة الأخيرة.

أما المراحل الأولى فقد كان رسول الله ص يصومه مع قريش وهو بمكة، ثم  
صامه مع المسلمين في المدينة، وكان هذا مستحباً، ثم أمر بصيامه، فكان واجباً. فلما  
فرض رمضان صار صيامه مستحباً.

ففي الصحيحين عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: (كان يوم عاشوراء تصومه قريش في  
الجاهلية، وكان رسول الله ص يصومه، فلما قدم المدينة صامه وأمر بصيامه، فلما فرض  
رمضان ترك يوم عاشوراء، فمن شاء صامه، ومن شاء تركه).

عباد الله، إن يوم عاشوراء يوم تاريخي، ضارب بجذوره في أعماق الزمن، وقد  
صار يوماً مقدساً عند بعض الأمم، فهو يوم ذو شأن عند اليهود، وعند النصارى،  
وعند مشركي قريش، وكذلك عند المسلمين.

(١) رواه مسلم.



فهو عند اليهود يوم نجى الله تعالى فيه موسى عليه السلام ومن معه من إدراك فرعون وجنده.

جاء في الصحيحين عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قدم النبي ص المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء فقال: (ما هذا؟ قالوا: هذا يوم صالح، هذا يوم نجى الله بني إسرائيل من عدوهم فصامه موسى شكراً، قال: فأنا أحق بموسى منكم، فصامه، وأمر بصيامه).

وفي حديث أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عند مسلم - قال: كان يوم عاشوراء يوماً تعظمه اليهود، وتتخذة عيداً، فقال رسول الله ص: (صوموه أتم).

أما النصارى فكان صومهم له تبعاً لليهود.

وأما قريش في الجاهلية فلعل صيامهم له قد تلقوه عن قبلهم؛ ولهذا كانوا يعظمونه بالصيام وكسوة الكعبة.

وقيل: أذنبت قريش ذنباً في الجاهلية فعظم في صدورهم، فقبل لهم: صوموا عاشوراء يكفر ذلك، ذكره عكرمة تلميذ ابن عباس. وقيل: إن قريشاً أصابهم قحط، ثم رفع عنهم فصاموه شكراً.

قلت ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

## الخطبة الثانية

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، محمد بن عبد الله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين.

أما بعد:

أيها المسلمون، في يوم عاشوراء من السنة الواحدة والستين للهجرة حدث حدثٌ تاريخي مؤلم لكل مسلم صادق الإيمان، تربت عليه أفكار ومناهج سلوكٍ عقبه عبر الزمن.

هذا الحدث هو قتل الحسين بن علي سبط رسول الله ص، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وعن أبيه، في أرض كربلاء من بلاد العراق.

والقصة طويلة مبكية، لكن خلاصتها: أن الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ظل في المدينة النبوية بعد موت أخيه الحسن رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فيها فترة من الزمن. فجاءته رسائل وكتب من أهل العراق يطالبونه بالقدوم عليهم ليقودهم في قتال والي بني أمية هناك.

فوجدت هذه الدعوة لدى الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قبولاً، فأراد المسير إلى العراق، فجاءه عبدُ الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، حينما علم بهذه الرسائل فنصح الحسين بعدم الذهاب إلى العراق، وحذره من هؤلاء الناس، وقال: "لا تصدقهم؛ فقد خذلوا أباك من قبلك"،

فأبى الحسين، فبكى ابن عمر، وقبّل ما بين عينيه، وقال: "أستودعك الله منقّيل". ونهاه كذلك ابن عباس وابن الزبير رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، فلم يستجب الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إلى ذلك، ومضى إلى الكوفة حتى وصل إلى كربلاء فقتل هناك مظلوماً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

ولقد ارتكب أولئك القتلة ذنباً عظيماً بهذا الفعل الشنيع بابن رسول الله ص.

أيها المسلمون، إن الحسين بن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قد مضى- إلى ربه مظلوماً كأبيه علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حينما قتل ظلماً، ومات كما مات رسول الله والخلفاء الأربعة بعده، وغيرهم من رؤوس المسلمين وآل البيت والصحابة الكرام، الذين كان موتهم فاجعة لأهل الإسلام.

لكن الذي يؤسف له أن الرافضة في العالم يستعدون لهذا اليوم يوم عاشوراء من كل عام دون غيره من الأيام بالنحيب والضرب للصدر والخذش للوجوه والشدخ للرؤوس، حتى لم يسلم من ذلك الأطفال، كل ذلك حزناً على الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وهذه الأفعال - أيها العقلاء الأفاضل - التي يقومون بها في هذا اليوم تخالف الإسلام والأخلاق الحسنة والعقول الصحيحة والسلوك الحضاري السليم.

فلماذا كل هذا النحيب والتعذيب للنفس ولفلذات الأكباد في موت الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ولم يكن في موت رسول الله ص الذي كان موته أعظم مصائب الموت في الأمة؟! ولماذا لم يكن كذلك في موت حمزة الذي لم يكتف المشركون بقتله حتى مثلوا به؟! ولماذا لم يكن في موت أبيه علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وفي أخيه الحسن رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وهو الأخ



النور السائر من خطب المنابر

الأكبر؟!

لماذا كل هذا الذكر للحسين ولا يذكرون الحسن إلا قليلاً، ولماذا الإمامة في أولاد الحسين، ولم تكن في أولاد الحسن أبداً؟ ولماذا أكثر أحاديثهم مدحاً للحسين دون الحسن؟ كل هذا لأن زوجة الحسين هي شهربانو بنت يزيد جرد، ويقال: إن اسمها سلافة، وابنها علي بن الحسين - زين العابدين -، فيقول الشيعة: اجتمعت الشجرة الهاشمية مع الشجرة الساسانية الفارسية، فلذلك هم يحبون الحسين وأبناء الحسين؛ لأن أبناء الحسين أخوالهم الفرس، بسبب شهربانو بنت يزيد جرد!!

معشر المسلمين، إن الأعمال الشنيعة التي يقوم بها بعض الشيعة في يوم عاشوراء أعمال لم يقم بها أهل القرون الثلاثة المفضلة ومنهم أهل البيت الكرام، وهم أكثر حباً وأصدق تعظيماً للال ممن جاء بعدهم؟! إن تلك الأعمال التي تحصل منهم في يوم عاشوراء إلى يومنا هذا أعمال جاهلية نهى عنها الإسلام دين العقل والسلوك المستقيم.

يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩].

وقال رسول الله ص: (أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة) وقال: (النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب)<sup>(١)</sup>.

وقال عليه الصلاة والسلام: (ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا

(١) رواه مسلم.



بدعوى الجاهلية<sup>(١)</sup>.

ووجع أبو موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وجعل يغمى عليه ورأسه في حجر امرأة من أهله فصاحت امرأة فلم يستطع أن يرد عليها شيئاً، فلما أفاق قال: أنا بريء ممن برء منه رسول الله ص؛ فإن رسول الله ص برء من الخالقة والسالقة والشاقة<sup>(٢)</sup>.

والخالقة هي التي تخلق شعرها عند المصيبة، والسالقة هي التي ترفع صوتها فيها، والشاقة هي التي تشق ثيابها في المصيبة كذلك.

فالنياحة والضرب للجسد ورفع الأصوات وشق الثياب ولباس السواد كلها أعمال تحدث في يوم عاشوراء لدى بعض الشيعة.

ومن المخالفات التي تحصل في هذا اليوم كذلك: سب الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، والطعن فيهم، ورسول الله ص- يقول: (لا تسبوا أصحابي، لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك ممدّ أحدهم ولا نصيفه)<sup>(٣)</sup>.

إضافة إلى هذه الأعمال المنكرة شرعاً وعقلاً؛ فإنه يحصل عند قبر الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صور من الشرك بالله تعالى مثل: دعاء الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والاستغاثة به، وطلب النفع

(١) متفق عليه.

(٢) رواه ابن حبان، وهو صحيح.

(٣) متفق عليه.

النور السائر من خطب المنابر

منه ودفع الضر، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ﴾ (١٠٦) **وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** (١٠٧) [يونس: ١٠٦-١٠٧].

ومن المخالفات: شد الرحال لزيارة المشاهد والقبور، ومن ذلك قبر الحسين رضي الله عنه.

ويقولون: (زيارة قبر الحسين تعدل عشرين حجة)!!.

ويقولون: (من زار قبر الحسين يوم عاشوراء كمن زار الله في عرشه)!!!.

ورسول الله ص يقول: (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرسول ص، ومسجد الأقصى) (١).

ومن المخالفات: اختلاط النساء بالرجال والتشجيع على الفاحشة المسماة بالمتعة.

ومن المخالفات: أن هذه الأعمال التي يقومون بها أعمال همجية وليست حضارية،

بل تشوه صورة الإسلام والمسلمين عند من لا يعرف الإسلام؛ ولذلك كانت بريطانيا -التي تريد تشويه الإسلام- تمول المواكب الحسينية وتستغلها أحسن استغلال.

وقد قيل: إن رئيس الوزراء العراقي أثناء الاحتلال الانجليزي للعراق عندما زار

لندن للتفاوض قال له الانجليز: نحن في العراق لمساعدة الشعب العراقي؛ لكي يخرج

من الهمجية، فأثار هذا الكلام حفيظة رئيس الوزراء، فاعتذروا له بلباقة وأروه فلياً لما يحدث في كربلاء!

أيها المسلمون، إن هذه الأعمال المبتدعة لو كان أصحابها يتبعون آل البيت حقاً ما قاموا بها؛ اتباعاً لآل البيت؛ فإن أبناء الحسين وأحفاده لم يقوموا بها. ثم إن هناك نصوصاً قولية عن أئمة آل البيت في النهي عن هذه الأفعال المذكورة في كتب الشيعة أنفسهم.

قال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "ثلاث من أعمال الجاهلية، وعدّ منها: النياحة على الموتى". وقال أيضاً: "لا تلبسوا السواد؛ فإنه لباس فرعون".

وقال جعفر الصادق رحمه الله عن آبائه: "نهى رسول الله ص عن النياحة والاستماع لها". ويذكر الشيعة نهى الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخته عن النياحة، فلماذا هم ينوحون لو كانوا يحبون الحسين؟!

لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع

نسأل الله أن يبصرنا بديننا، وأن يرد الزائغين عنه إليه، وأن يهدي المسلمين سواء السبيل.

هذا وصلوا وسلموا على خير البشرية.....



## البركة في الأرزاق<sup>(١)</sup>

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله الله رحمة للعالمين، وحجة على الخلائق أجمعين، فصلى الله عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ص، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار..

أيها الناس، وجدت في خزائن بعض الملوك في القرون الأولى من عمر هذه الأمة

(١) أُلقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في ٢٢/٧/١٤٣٢ هـ، ٢٤/٦/٢٠١١ م.

حبة قمح بمقدار نواة التمر، كتب عليها: "هذا يوم أن كانت بركة الله في الأرض، هذا كان ينبت في الأرض زمن العدل".

وروى أبو نعيم في الحلية عن عطاء بن أبي رباح رحمه الله أنه قال: "لما رأيت الصحاف الصغار قد ظهرت عرفت أن البركة قد رفعت". ورحم الله عطاء، هذا في زمانه، فماذا كان سيقول لو رأى زماننا؟!.

عباد الله، إن المؤمن ينظر إلى الدنيا أنها يومان: يوم صبر، ويوم شكر، فيوم الصبر يوم جوع ومرض وبلاء ويوم الشكر يوم شبع وصحة ونعمة.

و من نعم الله عليك -أيها الإنسان- أن خلقك ربك تعالى إلى هذه الحياة وخلق معك رزقك، سواء كنت ذكياً أم غير ذكي، وفاوت بين عباده في هذه النعمة بسطاً وتضييقاً بناء على علمه وحكمته جل وعلا، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الروم: ٣٧].

أيها المسلمون: إن العبرة في المال ليست بقلته ولا بكثرتة، بل العبرة فيه ببركته وحسن تصريفه، فلا خير في مال كثير تعمل فيه مناجل المحق والإذهاب، والخير كل الخير في مال تعيش فيه البركة وتصاحبه ولو قل.

عن أبي هريرة عن النبي ص قال: "ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس" (١).

(١) متفق عليه.

النور السائر من خطب المنابر

إخوة الإسلام، إن البركة نماء وزيادة، حظي بها بعض عباد الله، ورسولنا ص دعا بها في مواطن متعددة، ولعدد من الصحابة منهم أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال عليه الصلاة والسلام فيه: (اللَّهُمَّ أَكْثَرُ مَالِهِ وَوَلَدِهِ وَبَارِكْ لَهُ فِيمَا أُعْطِيَتْهُ) (١). فوجد أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أثر هذه الدعوة في حياته فقال كما في الأدب المفرد للبخاري بسند صحيح: "فدفنت مائة وثلاثة، وإن ثمرتي لتطعم في السنة مرتين، وطالت حياتي حتى استحيت من الناس وأرجو المغفرة". وعند مسلم قال أنس: فوالله إن مالي لكثير، وإن ولدي وولد ولدي يتعاقبون على نحو المائة".

أيها المسلمون، إننا نشكو اليوم من قلة أو ذهاب هذه النعمة: نعمة البركة في الأموال والأرزاق، مع أن الأرباح كثيرة والمصادر المالية متعددة، ولكن البركة لا مكان لها فيها، لماذا نزعنا البركة في المزروعات والمصنوعات، والمكاسب والمرتبات؟! نسمع الآباء يحدثوننا عن البركة في أيامهم الماضية فنعجب مما كان وما آلت إليه الأحوال.

أيها الأحبة الكرام، نزع البركة يعد مصيبة من المصائب، وعقوبة من العقوبات، وجزاء وفاقاً للأعمال، واسمعوا قوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]. وقوله عز وجل: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٥٣].

(١) متفق عليه.

وقال جل جلاله: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ  
بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم ٤١].

إن ذنوب العباد وتعددهم على حدود الله أصاب البلاد وأهلها بصنوف من  
المصائب والكوارث، فما هلكت أمة إلا بسيناتها، ولا رُحمت إلا بطاعاتها. كم يُبارز الله  
بمعاصي عباده في مجالات شتى: في الحكم والقضاء، والأعراض والدماء، وفي المآكل  
والمشارب، والكلام والأسماع والأبصار. أكل الربا وكثرت المعاملات فيه وتساهل  
الناس في التعامل به دون حياء، والله تعالى يقول: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرُّبَا وَيُرِيهِ الصَّدَقَاتِ  
وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [البقرة ٢٧٦]. فكيف يرجو البركة من يتقلب بين أحضان  
الربا آكلًا وشاربًا وراكبًا وساكنًا؟!

كثر الظلم وقل العدل والإنصاف بين الناس، ففي بعض الآثار: "كان الملك إذا  
ظلم أو هم بالظلم ذهب البركة من بين رعيته"، وفي أثر آخر: "إذا كان آخر الزمان  
رفع الله أربعة أشياء من أربعة: البركة من الأرض، والعدل من الحكام، والحياء من  
النساء، والغيرة من الرجال".

فإن تساءل الناس: لماذا نزعت البركة، وحل المحق؟

فالجواب أن البركة نزعت لكثرة الغش والتدليس، والتطيف ونقص الكيل في  
البيع والشراء، فقلما تجد تاجرًا يعرف فقه البيع والشراء والحلال من الحرام فيه. قال  
رسول الله ص- كما في الصحيحين-: (البيعان بالخيار ما لم يتفرقا أو قال: حتى يتفرقا،

فإن صدقا وبيننا بورك لهما في بيعهما، وإن كتها وكذبا محقت بركة بيعهما).

وقال عليه الصلاة والسلام: (يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المئونة وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلب الله عليهم عدواً من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخبروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم)<sup>(١)</sup>.

ونزعت البركة أيضاً لكثرة الحلف في البيع والشراء من غير صدق، قال رسول الله ص: (الحلف منفقة للسلعة، محقة للبركة)<sup>(٢)</sup>.

وذهاب البركة في ذلك: ذهاب المال إما بتلف يلحقه، أو بإنفاقه في غير ما يعود على صاحبه نفعه في العاجل أو الآجل.

ونزعت البركة بمجئ المال من الطرق المحرمة، فالمال نعم الصاحب إذا أخذ من حلال وصرف في حلال، وهو بئس العدو إذا أخذ من حرام وصرف في الحرام،

(١) رواه ابن ماجه والطبراني في الكبير، وهو حسن.

(٢) رواه مسلم.



قال رسول الله ص: "من اقتطع مال أخيه بيمينه -أي بقوته- فلا بارك الله له فيه" (١).

ونزعت البركة لأن بعض الناس صار عبداً للمال: هممه ووقته وجهده وموالاته ومعاداته وحياته كلها للمال، فلا يرضى بالقليل.

قال رسول الله ص: (ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنه، حسب ابن آدم ثلاث أكالات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث طعام وثلث شراب وثلث لنفسه) (٢).

ونزعت البركة بسبب فساد القلوب وتشاحنهما وتحاسدها وتنافرها بين الأقارب والجيران وبين المجتمع كله، فالأرض الذي تحل فيها المحبة والألفة تنزل فيها البركة، فحينما ينزل عيسى عليه السلام في آخر الزمان حكماً عادلاً تحصل بركة عظيمة وترفع البغضاء من الناس، قال رسول الله ص: (.. فيكون عيسى بن مريم عليه السلام في أمتي حكماً عادلاً وإماماً مقسطاً. يدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويترك صدقة فلا يسعى على شاة ولا بعير، وترفع الشحناء والتباغض. وتنزع حمة كل ذات حمة حتى يدخل الوليد يده في الحية فلا تضره. وتفر الوليدة الأسد فلا تضرها. ويكون الذئب في الغنم كأنه كلبها. وتملأ الأرض من السلم كما يملأ الإناء من الماء. وتكون الكلمة واحدة فلا يعبد إلا الله... وفي لفظ: يجتمع النفر على القطف فيشبعهم ويجتمع النفر على الرمانة فتشبعهم ويكون الثور بكذا وكذا من المال ويكون الفرس

(١) رواه الضياء المقدسي في المختارة، وإسناده صحيح.

(٢) رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه، وهو صحيح.

بالدرهيمات) (١).

ونزعت البركة أيضاً- يا عباد الله - حينما كثر الإسراف والتبذير، والعبث بالمال في مأكول أو مشروب أو ملبوس أو مركوب وغير ذلك. حتى رميت الأطعمة الكثيرة إلى القمامة وهناك مئات الناس يتضورون من الجوع!.

قال بعض السلف: "ثلاث لا تكون في بيت إلا نزعته منه البركة: السرف والزنا والخيانة".

أيها المسلمون: هناك أسباب كثيرة لتحصيل البركة في الأرزاق، يعيش بها الإنسان حياة رغبة مطمئنة،

فمن ذلك:

تقوى الله تعالى وطاعته واتباع مرضيه، قال الله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف ٩٦]، وتقوى الله هي: فعل أوامره واجتناب نواهيه.

المال يذهب حُلُّه وحرامه يوماً ويبقى بعده آثامه

ليس التقى بمتقى لإلهه حتى يطيب طعامه وكلامه

ومن تقوى الله: كثرة الاستغفار والتوبة قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ

كَانَ غَفَّاراً، يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً، وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبْنِيَنَّ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ

(١) رواه ابن ماجه، وأبو نعيم في الحلية، وهو صحيح.

وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٠-١٢﴾.

ومن تقوى الله: صلاة الضحى، قال شقيق البلخي رحمه الله: "طلبنا خمساً فوجدناها في خمس: طلبنا البركة في الرزق فوجدناها في صلاة الضحى...".

ومن أسباب البركة: أخذ المال من حله ووجوهه المشروعة، قال رسول الله ص: "إن الدنيا حلوة خضرة، فمن أخذها بحقها بارك الله له فيها، ورب متخوض في مال الله ورسوله له النار يوم يلقاه"<sup>(١)</sup>.

وفي صحيح مسلم قال رسول الله ص: "فمن يأخذ مالاً بحقه يبارك له فيه، ومن يأخذ مالاً بغير حقه فمثله كمثل الذي يأكل ولا يشبع".

فأين المتحرون الرزق الحلال في زمان الطمع وكثرة الهلع؟! إنهم قليل بين الجمع الكثير، وأين الذين لو عرضت عليهم الدنيا وما فيها ما بالوا فيها إذا كانت من الحرام؟! إنهم أقل ذلك القليل.

إخوة الإسلام، التبكير في طلب الرزق من أعظم أسباب البركة، ويدخل في ذلك حضور الدوام الوظيفي في ابتداء وقته المحدد. فعن صخر الغامدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ص: (اللهم بارك لأمتي في بكورها)، قال: وكان إذا بعث سرية أو جيشاً بعثهم أول النهار، وكان صخر رجلاً تاجراً وكان إذا بعث تجارة بعث أول النهار

(١) رواه الطبراني وابن أبي عاصم بسند حسن.

فأثرى وكثر ماله، حتى كان لا يدري أين يضعه" (١).

فهنيئاً لأولئك الذين يخرجون مع الطير لطلب رزق الخلاق سبحانه وتعالى.

إن الأمانة في البيع والشراء بسلامة الثمن والمثمن من التدليس والخداع عامل من عوامل دخول البركة على البائع والمشتري، جاء في الصحيحين قول رسول الله ص: (البيعان بالخيار ما لم يتفرقا أو قال: حتى يتفرقا، فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما).

وفي البخاري عن عروة البارقي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أن النبي ص أعطاه ديناراً يشتري له به شاة فاشترى له به شاتين فباع إحداهما بدينار وجاءه بدينار وشاة فدعا له بالبركة في بيعه، فكان لو اشترى التراب لربح فيه).

قال أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "البيت الذي يكون فيه خيانة لا يكون فيه البركة".

أحبتني الكرام، هناك سبب عظيم قلَّ أهله في زماننا خاصة مع غرق الناس في أمواج الدنيا وسُكْرِ لهوها حتى ضعف الدين وقل اليقين، هذا السبب هو: القناعة والرضا بما قسم الله للعبد من الرزق بدون تطلع واستشرف نفس.

قال رسول الله ص: (إن الله تبارك وتعالى يبتي عبده بما أعطاه فمن رضي بما قسم الله عز وجل له بارك الله له فيه ووسعه ومن لم يرض لم يبارك له) (٢).

(١) رواه الخمسة والبيهقي في الكبرى، وهو صحيح.

(٢) رواه أحمد، وهو صحيح.

وقال عليه الصلاة والسلام: (وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس) (١).

وقال رسول الله ص: (إن هذا المال خضر حلو فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه وكان كالذي يأكل ولا يشبع، واليد العليا خير من اليد السفلى) (٢).

صلة الرحم سبب كبير من أسباب البركة في الرزق، ففي الصحيحين قال رسول الله ص قال: (من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه) (٣).

إخواني الكرام، من الأسباب العظيمة لتحصيل البركات العامة في الأرض: تطبيق شريعة الله بين الناس، وإقامة العدل ونصر المظلوم من الظالم وإعطاء كل ذي حق حقه، وقرأوا التاريخ وانظروا كيف كانت البركة في أزمنة العدل والإنصاف، حُمل مرةً إلى عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مال عظيم من الغنائم فقال: إن قوماً أدوا الأمانة في هذا لأمناء فقال له بعض الحاضرين: إنك أديت الأمانة إلى الله تعالى فأدوا إليك الأمانة ولو رتعت رتعا. وفي عهد عمر بن عبد العزيز رحمه الله حينما بلغ العدل الذروة فاضت البركات والأموال فأدى عمر الدين عن المدينين، وبقي المال كأنه لم ينقص منه شيء، فماذا نقول عن زماننا الذي أصبح يتجشأ ظلماً وجوراً من كل جوانبه، فرحماك يا ربنا رحماك.

(١) رواه الترمذي، وهو حسن.

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه.

\_\_\_\_\_النور السائر من خطب المنابر

اللهم بارك لنا في أرزاقنا، وأهلينا وأولادنا، واجعل ما أعطيتنا عوناً لنا على طاعتك.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

## الخطبة الثانية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه،  
أما بعد:

أيها المسلمون، الطعام رزق تقوم حياة الأحياء بوجوده وكفايته، والخير فيه  
بحصول البركة فيه قل أو كثير، وقد جاء عن نبينا ص آداب تقال أو تفعل لنيل البركة  
في رزق الطعام، فمن ذلك:

التسمية في أوله والحمد في آخره، فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كان رسول الله  
ص يأكل في بيته فجاء أعرابي جائع فأكله بلقمتين فقال رسول الله ص: (لو ذكر اسم  
الله لكفاكم فإذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله، فإن نسي- أن يذكر اسم الله في أوله  
فليقل: باسم الله في أوله وفي آخره)<sup>(١)</sup>.

وعن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي ص كان إذا رفع مائدته قال: (الحمد لله كثيراً  
طيباً مباركاً فيه غير مكفي ولا مودّع ولا مستغنى عنه ربنا)<sup>(٢)</sup>.

والحمد بعد الفراغ من الشكر، وصاحبه موعود بالمزيد، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ  
تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم ٧].

ومن ذلك: الاجتماع على الطعام وكثرة الأيدي عليه، فعن وحشى بن حرب عن  
أبيه عن جده أن أصحاب النبي ص- قالوا: يا رسول الله إنا نأكل ولا نشبع. قال:

(١) رواه أحمد والنسائي وأبو داود، وهو صحيح.

(٢) رواه البخاري.

النور السائر من خطب المنابر

(فلعلكم تفرقون)؟ قالوا: نعم. قال: (فاجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله عليه يبارك لكم فيه)<sup>(١)</sup>.

وقال رسول الله ص: (إن أحب الطعام إلى الله ما كثرت عليه الأيدي)<sup>(٢)</sup>.

وإن من العادات التي وفدت علينا من بلاد الكفر: التفرق في الأكل، فالعرب كانوا يجبون الاجتماع على الطعام ويكرهون الانفراد، قال حاتم لزوجته:

إذا ما صنعت الزاد فالتمسي - له أكياً فإنه فيني لست آكله وحدي

ومن الآداب: تغطية الطعام وعدم تركه مكشوفاً تأكل منه الشياطين، عن أسماء بنت أبي بكر أنها كانت إذا ثردت غطته شيئاً حتى يذهب فوره ثم تقول: إني سمعت رسول الله ص يقول: (إنه أعظم للبركة)<sup>(٣)</sup>.

ومن ذلك أيضاً: الأكل من حافات الطعام، والأكل باليمين، ولعق الأصابع عند الفراغ من الطعام، ونحو ذلك من الأسباب.

فيا من يبحثون عن البركة هذه بعض أسبابها فاعملوا بها يبارك لكم في رزقكم فيرغد عيشكم، واطرقوا أبواب السماء بمفاتيح الدعاء، واستحضروا هذا الأمر حين قولكم في الوتر: وبارك لنا فيما رزقتنا وأعطيت، واستمروا على هذه الدعوة في أوقات

(١) رواه أبو داود وابن ماجه، وهو صحيح.

(٢) رواه أبو يعلى والطبراني، وهو حسن.

(٣) رواه أحمد وابن حبان، وهو حسن.





خطب

من

السائر

النور

ليلكم ونهاركم.

هذا وصلوا وسلموا على الرحمة المهداة....

## الشتاء حكم وأحكام<sup>(١)</sup>

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ اللَّهُ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ، وَحِجَّةَ عَلَى الْخَلَائِقِ أَجْمَعِينَ، فَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ؕ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ؕ وَالْأَرْحَامَ ؕ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ؕ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

أيها المسلمون، لقد أقبل علينا فصل الشتاء يحمل معه شدة البرد، وكثرة المرض، وصعوبة الحركة، وقلة الإنتاج. وهذه مضار لكن مع المضار منافع للبشرية لا تتحقق إلا في فصل الشتاء، ولا تتم إلا في ظل البرد.

(١) ألقى في مسجد ابن الأمير الصنعاني في ٢١/١/١٤٣٣هـ، ١٦/١٢/٢٠١١م.

قال ابن القيم رحمه الله: "تأمل أحوال هذه الشمس في انخفاضها وارتفاعها لإقامة هذه الأزمنة والفصول وما فيها من المصالح والحكم؛ إذ لو كان الزمان كله فصلاً واحداً لفاتت مصالح الفصول الباقية فيه، فلو كان صيفاً كله لفاتت منافع مصالح الشتاء، ولو كان شتاء لفاتت مصالح الصيف، وكذلك لو كان ربيعاً كله، أو خريفاً كله، ففي الشتاء تغور الحرارة في الأجواف وبطون الأرض والجبال، فتتولد مواد الثمار وغيرها، وتبرد الظواهر، ويستكثف فيه الهواء، فيحصل السحاب والمطر، والثلج والبرد الذي به حياة الأرض وأهلها، واشتداد أبدان الحيوان وقوتها، وتزايد القوى الطبيعية، واستخلاف ما حلته حرارة الصيف من الأبدان، وفي الربيع تتحرك الطباع، وتظهر المواد المتولدة في الشتاء، فيظهر النبات ويتنور الشجر بالزهر، ويتحرك الحيوان للتناسل".

عباد الله، في فصل الشتاء يسخن جوف الإنسان، ويبرد في الصيف؛ لأنه في الشتاء يكون بارداً، فيبرد ظاهر البدن، فتهرب الحرارة إلى باطن البدن؛ لأن الضد يهرب من الضد؛ ولهذا يسخن جوف الأرض في الشتاء؛ لسخونة الظواهر، فتهرب البرودة إلى الأجواف.

ومن حكم الله أن نبات وفواكه الشتاء لو أكلت في الصيف أو العكس لربما أضرت بالبدن وسببت له الأذى، فسبحان الخالق الحكيم.

معشر المسلمين، إن محبي العبادة المكثرين منها يفرحون بقدوم الشتاء؛ لأنه موسم للازدياد من الطاعة ليلاً ونهاراً، وموعد للراحة في التمتع بطول ملازمتها.

\_\_\_\_\_ النور السائر من خطب المنابر

قال ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "مرحباً بالشتاء، تنزل فيه البركة، ويطول الليل للقيام، ويقصر النهار للصيام.

وحينها حضرت الوفاة معاذاً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بكى، وقال: إنما أبكي على ظمأ الهواجر، وقيام ليل الشتاء، ومزاحمة العلماء بالركب على حلق الذكر.

إن زمن الليل في فصل الشتاء يمتد ويبارك فيه؛ فهو بذلك فرصة لتطويل صلاة الليل، مع أخذ الجسم حظه الكافي من النوم، وللروح بعد ذلك أن تحلّق في آفاق القيام ما شاءت.

قال تعالى: ﴿كَأَنُوءَا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ، وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات ١٧-١٨].

والشتاء فصل ملائم لعبادة الصيام؛ لأنّ نهار الشتاء بارد لا يحس الإنسان فيه بشدة الظمأ، وألم الجوع، وضمك التعب، ولأنّ النهار في الشتاء أيضاً يمضي سريعا؛ لقصر زمانه فيه.

وهذا كله يعين المسلم الحريص على الصيام أن يكثر منه، ويداوم عليه؛ لتحصيله الأجر بلا تعب ولا مشقة كبيرين.

ولذلك جاء في الحديث: الصيام في الشتاء الغنيمة الباردة<sup>(١)</sup>.

(١) رواه أحمد والترمذي والبيهقي والطبراني، وهو حسن.

قال بعض العلماء: "إنها وصفها بالبرد؛ لأن الغنيمة إنما أصلها من أرض العدو ولا تنال ذلك إلا بمباشرة الحرب والاصطلاء بحرهما، يقول: فهذه غنيمة ليس فيها لقاء حرب ولا قتال".

أيها المسلمون، إذا جاء فصل الشتاء كثرت فيه أمراض الزكام والحمى والصداع، وغير ذلك.

ولكن الإسلام يعلمنا ما يخفف عنا وقع هذه الأمراض وآثارها، فيعلمنا التفاؤل عند المكاره؛ لأن المكاره قد تحمل معها المحاب والمسار. قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة ٢١٦].

فما يحمله الشتاء من العناء-ويختلف ذلك باختلاف الأماكن شدة وخفة- في طياته منافع للأرواح وللأبدان، فكم زُرعت في الشتاء من خيرات، وجُنت من حسنات، ومُحيت من سيئات، لدى من جدّ وسعى وتفكر.

وكم عوفيت من أبدان بتلك الأمراض، وربما صحت الأجسام بالعلل.

يقول ابن القيم رحمه الله: "الحمى فيها من المنافع للأبدان ما لا يعلمه إلا الله، وفيها من إذابة الفضلات وإنضاج المواد الفجة وإخراجها ما لا يصل إليه دواء غيرها، وكثير من الأمراض إذا عُرض لصاحبها الحمى استبشر بها الطبيب. وأما انتفاع القلب والروح بالآلام والأمراض فأمر لا يحس به إلا من فيه حياة؛ فصحة القلوب والأرواح

النور السائر من خطب المنابر

موقوفة على آلام الأبدان ومشاقها، وقد أحصيت فوائد الأمراض فزادت على مائة فائدة".

فالمرض يذكر الإنسان ضعفه وعجزه؛ فيلجأ إلى القوي القادر ليذهب عنه سقمه وألمه، فيعرف الإنسان حينذاك أنه عبد لمعبود حق، وأنه مفتقر إليه معتمد عليه، وأن قضاء حوائجه، وتفريج كرباته، وتحصيل راحتته وسعادته لا يكون إلا عن طريق التجائه إلى مولاه، وسعيه في سبيل مرضاته.

فلو بقي الإنسان قوياً بلا ضعف، قادراً لا يطرأ عليه العجز، صحيحاً لا يزوره المرض لطغى وبغى وتجر وتكبر، فجاء المرض ليعرفه حقيقة نفسه، وحق ربه عليه.

وعلمنا الإسلام - عند تلك الأمراض - أن نواجهها بالصبر والاحتساب، فمن صبر ورضي خف ألمه، وسهل سقمه، وقوي أمله بما ادخره الله له؛ جزاء تسليمه لقضائه وقدره، فحين ذلك ينسى الوجد بسبب الموعود المنتظر. بل قد يجد بعض الراضين المؤمنين لذات في عنفوان الآلام والأسقام لا يجدونها أيام العافية، والعامل النفسي له أثره على ما يرد إلى البدن من مسار أو مضار.

قال النبي ص: (ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب، ولا هم ولا حزن، ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياها) (١).

وقال عليه الصلاة والسلام: (لا يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في جسده وماله

(١) رواه البخاري.

ونفسه حتى يلقي الله وما عليه من خطيئة<sup>(١)</sup>.

عباد الله، والإسلام يعلمنا -كذلك- الحِميَّة والابتعاد عن مظان الداء، وأسباب  
البلاء، قال رسول الله ص: (فَرَّ مِنَ الْمَجْذُومِ فَرَارِكِ مِنَ الْأَسَدِ)<sup>(٢)</sup>.

وهذا الحديث قاعدة في الوقاية عن مخالطة أصحاب الأمراض المعدية، مع  
الاعتقاد بأن كل شيء يجري بقضاء الله وقدره.

ويعلمنا الإسلام أيضاً فعل الأسباب الممكنة في دفع ضرر شدة البرد كالاستدفاء  
والاحتواء والاستشفاء.

فقد أنعم الله على الإنسان بما يقيه البرد من ملابس وفرش وأغطية وأردية معدة  
لذلك، إضافة إلى البيوت والمسكن التي يتحصن بها، ويأوي إليها. وفي عصرنا  
الحاضر بلغت هذه النعمة مبلغاً كبيراً في جودتها وتوفرها وتمام الانتفاع بها لدفع أذى  
الشتاء.

يقول الله تعالى -ممتناً على عباده-: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ  
لَكُمْ مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا  
وَأُوبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَانًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ، وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ  
مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمُ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ

(١) رواه أحمد وابن حبان، وهو صحيح.

(٢) رواه البخاري.

نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسَلِّمُونَ ﴿النحل ٨٠-٨١﴾.

إخواني الكرام، إن صيام رمضان يذكر الصائم آلام الجائعين، وحاجة الفقراء والمساكين، ومجيء الشتاء- كذلك- يذكرنا بما أنعم الله علينا من وسائل الدفء والحماية من إيذاء البرد. وفي ظل ذلك علينا أن نتذكر إخواناً لنا يعانون شراسة البرد وتبعاته، وآلامه ومضراته، هجم عليهم البرد بخيله ورجله فخلف من بينهم بلايا وضحايا، حينها لم تكن لهم بيوت واقية، وملابس كافية، وأطعمة الخاصة التي تعطيهم طاقة وحرارة تحجز عنهم بعض سهام البرد الحادة، بل لقد وجدت حالات مأساوية لبعض الأسر الفقيرة التي مات بعض أطفالها أيام شدة البرد.

أخي المسلم المليء، إذا كان لديك ملابس شتوية تقيك البرد من أخمص قدميك إلى هامة رأسك، فتذكر أن هناك أجساماً مُسلمة لباسها الصيفي الرقيق هو لباسها في الشتاء البارد، وإذا كان عندك فرش وثيرة وأغطية كثيفة كثيرة فتذكر من ليس معه من ذلك شيء، أو له شيء منه ولكن لا يكفيه وأسرته، فتصدق مما أعطاك الله؛ إن الله يجزي المتصدقين.

إخوة الإسلام، إن في أيام الشتاء عبراً وعظات لمن أراد أن يتعظ ويعتبر؛ فريح الشتاء تذكر الإنسان أن الله عذب قوماً بها، وهم قوم عاد؛ نصراً لنبيه هود عليه السلام، ومن معه من المؤمنين. قال تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادُ فَاهْلَكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ، سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعِجَازُ نَحْلٍ خَاوِيَةٍ، فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِّنْ بَاقِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٦-٨].



وردّ الله بها كيد الأحزاب التي تحزبت لغزو المدينة؛ نصراً لرسول الله محمد عليه الصلاة والسلام، ومن معه من الصحابة الكرام رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الأحزاب ٩].

وقال: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب ٢٥].

وفي هاتين الريحين -الريح التي أهلكت عاداً، والريح التي ردت كيد الأحزاب- يقول النبي عليه الصلاة والسلام: (نُصِرْتُ بِالصَّبَا وَأُهْلِكْتُ عَادَ بِالذَّبُورِ) (١).

عباد الله، إن الريح جندي من جنود الله مسخرة بأمره لما يشاءه سبحانه وتعالى، فقد ترسل بالرحمة، وقد ترسل بالعذاب؛ ولهذا كان رسول الله ص إذا رأى أو سمع هبوب الريح عُرفت الكراهية في وجهه؛ خشية أن تكون عذاباً أُرسِلَ إلى أمته، وهذا من رحمته ورأفته عليه الصلاة والسلام بأمته كما وصفه الله تعالى بقوله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة ١٢٨].

فلأجل هذا يستحب للمسلم أن يسأل الله خيرها ويستعيذ به من شرها، ولا يجوز له سبها أو لعنها، فقد كان النبي ص إذا عصفت الريح قال: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا، وخير ما فيها، وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها، وشر ما فيها، وشر ما

(١) متفق عليه.

أرسلت به) (١).

وروى البخاري في الأدب المفرد وأحمد في مسنده وغيرهما عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أخذت الناس الريح في طريق مكة وعمر حاج فاشتدت فقال عمر: لمن حوله ما الريح؟ فلم يرجعوا بشيء، فاستحشثت راحلتي فأدركته فقلت: بلغني أنك سألت عن الريح، وإني سمعت رسول الله ص يقول: (الريح من رَوْحِ اللَّهِ - أي: من رحمته بعباده - تأتي بالرحمة وتأتي بالعذاب؛ فلا تسبوها، وسلوا الله خيرها، وتعوذوا من شرها).

وعن ابن عباس أن رجلاً نازعته الريح رداءه على عهد النبي ص فلعنها - فقال النبي ص: (لا تلعنها؛ فإنها مأمورة، وإنه من لعن شيئاً ليس له بأهل رجعت اللعنة عليه) (٢).

معشر- المسلمين، إن برد الشتاء يذكرنا ببرد جهنم، نسأل الله أن يقينا عذابه يوم يبعث عباده، نعم، هناك برد في جهنم، ولكنه برد عذاب لا برد نعيم على أهل الحرارة واللهيب. قال الله تعالى - عن أهل الجنة -: ﴿مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ [الإنسان ١٣]، بخلاف أهل النار فإنهم يرون الشمس والزمهرير.

قال رسول الله ص: (إذا اشتد الحر فأبردوا بالصلاة؛ فإن شدة الحر من فيح جهنم، واشتكت النار إلى ربها فقالت: يا رب، أكل بعضي - بعضاً، فأذن لها بنفسين:

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه أبو داود، وهو صحيح.

نفس في الشتاء، ونفس في الصيف، فهو أشد ما تجدون من الحر، وأشد ما تجدون من  
الزمهرير<sup>(١)</sup>.

قال ابن رجب رحمه الله: "وقد جعل الله تعالى ما في الدنيا من شدة الحر والبرد  
مذكراً بحر جهنم وبردها، ودليلاً عليها؛ ولهذا تستحب الاستعاذة منها عند وجود ذلك".  
قال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا في قوله تعالى ﴿هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ [ص: ٥٧]:  
الغساق: الزمهرير البارد، الذي يُحرق من برده".

نسأل الله العفو والعافية، والوقاية والحماية من كل أذى في الدنيا والآخرة.  
قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم؛ إنه هو الغفور الرحيم.

(١) متفق عليه.

## الخطبة الثانية

الحمد لله الذي وسع كل شيء رحمة وعلماً، وتبارك الذي أسبغ على عباده عفوه كرمًا وحلماً، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله الطيبين، وصحابته الأكرمين.

أما بعد:

إخواني الكرام، هناك أحكام فقهية يحتاجها المسلم كل وقت ولا سيما في فصل الشتاء، وهذه الأحكام تتعلق بعباداته خاصة عبادة الصلاة التي هي عبادة مستمرة فرضها ونفلها في الليل والنهار، فجدير بالمسلم أن يتفقه فيها، ويستفيد من معرفتها لامثالها؛ لكي يعبد الله على علم وبصيرة، ولتيسر له العبادة في أوقات الشدة.

فمن سمات هذه الشريعة الغراء: اليسر. ودفع المشقة عن المكلفين، قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقال: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨].

وقال رسول الله ص: (بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ) (١).

وفي صحيح البخاري أن رسول الله ص قال: (فإننا بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين).

(١) رواه أحمد والطبراني، وهو حسن.

ومن غايات هذه اليسر في العبادات: أن يظل المسلم على اتصال بالعبادة التي هي سبب انشراح صدره وراحة نفسه، وحصول أنسه، فلا ينقطع عنها عند ورود المشقة في صفة معينة، وكيفية واحدة، فلو شقت هيئة تيسرت هيئة أخرى.

قال النبي ص: (صل قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب)<sup>(١)</sup>.

عباد الله، إن الصلاة مناجاة لله تعالى ووقوف بين يديه ومخاطبة له، فتحتاج إلى طهارة ونقاء، والماء أفضل وسائل الطهارة وأنقاها، وفي أوقات شدة برد الشتاء قد يشق استعمال الماء غير المسخن للوضوء أو الاغتسال، فمن استطاع تحمّل مشقة الوضوء أو الغسل الكاملين في شدة البرد ثم انتصر على نفسه وهواه فخرج للصلاة في بيوت الله تعالى فقد عمل عملاً عظيماً يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات، ويجلب له الحسنات.

قال رسول الله ص: (ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات؟ قالوا: بلى، يا رسول الله، قال: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطى إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط)<sup>(٢)</sup>.

وإذا كان أجر الذاهبين للصلوات في الظلمات كبيراً كما قال النبي ص: (بشر- المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة)<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه أبو داود والترمذي، وهو صحيح.

النور السائر من خطب المنابر

فلا يمتنع فضل الله وكرمه عن أن ينال المشائين إلى بيوت الله في شدة البرد التاركين للدفع والفراش الوثير، والله تعالى أكرم وأعلم.

وأما من لم يستطع - بصدق - تحمل هذه المشقة في الطهارة من الحدث الأصغر أو الأكبر فقد خفف الله تعالى عنه حيث شرع له استعمال التراب بدل الماء، فقام التيمم مقام الوضوء والغسل.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦].

عن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك فتيمنت، ثم صليت بأصحابي الصبح فذكروا ذلك للنبي ص، فقال: (يا عمرو، صليت بأصحابك وأنت جنب)؟! فأخبرته بالذي منعني من الاغتسال وقلت: إني سمعت الله يقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩]، فضحك رسول الله ص ولم يقل شيئاً<sup>(١)</sup>.

والتيمم طهارة حكمية تعبدية ليس الغرض منها تغيير الوجه والكفين، بل

(١) رواه أبو داود وأحمد والبيهقي، وهو صحيح.

المقصود امتثال أمر الله في هذا التيسير والتخفيف؛ ولذلك لم تكن لكل الجسم مكان الغسل، ولا لكل الأعضاء مكان الوضوء، بل هي ضربة واحدة على الصعيد الطيب ومسح للوجه والكفين مرة واحدة، كما جاء في الآية السابقة وفي الأحاديث النبوية الشريفة أيضاً.

عباد الله، ومن تيسير الله تعالى لدفع مشقة البرد في التطهر: جواز المسح على ما يغطي القدمين من خفاف وجوارب وما يقوم مقامهما كالشرابات بدلاً عن غسل القدمين في الوضوء، وهذا التخفيف عن الأمة ثبت عن النبي ص من قوله ومن فعله، قال الحسن البصري رحمه الله: "حدثني سبعون من أصحاب النبي ص أن رسول ص كان يمسح على الخفين".

وحدث إبراهيم النخعي عن همام بن الحارث قال: رأيت جرير بن عبد الله بال ثم توضأ ومسح على خفيه، ثم قام فصلى، فسئل؟ فقال: رأيت النبي ص صنع مثل هذا، فقال إبراهيم: فكان يعجبهم حديث جرير؛ لأن جريراً كان من آخر من أسلم<sup>(١)</sup>.

ومعنى قول إبراهيم هذا: الدلالة على أن جواز المسح على الخفين باق ولم ينسخ بآية الوضوء في المائدة والتي فيها وجوب غسل الرجلين؛ لأن جريراً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أسلم بعد نزولها، ورأى النبي ص يمسح عليها.

غير أن المسح على الخفين له شروط حتى يكون مسحاً صحيحاً، فأول هذه

(١) متفق عليه.

النور السائر من خطب المنابر

الشروط: أن يكون الخفان أو ما يقوم مقامهما طاهرين غير نجسين، والثاني: أن يدخل المتوضئ خفيه على طهارة، بمعنى: أن يتوضأ ثم يلبس بعد الوضوء، والثالث: أن يكون المسح من الحدث الأصغر لا الأكبر، فإذا حصل الحدث الأكبر فلا بد من نزعها حتى يصيب الماء القدمين، والشريط الرابع: أن يبقى المسح على المدة المحددة شرعاً، وهي يوم وليلة للمقيم وثلاثة أيام لباليهن للمسافر، وتبدأ المدة من أول مسح على القول الراجح من أقوال الفقهاء.

وهذا الشروط استنبطت من أحاديث رسول الله ص المذكورة في كتب السنة.

ومما يصح مسحه للمتوضئ: العمامة الساترة، بدل نزعها والمسح على الرأس، فقد روى ابن حبان وأبو داود وغيرهما عن المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَسَحَ عَلَى نَاصِيَتِهِ وَعَلَى الْعِمَامَةِ، ثُمَّ مَسَحَ عَلَى خَفِيهِ.

أيها المسلمون، ومن الأحكام الفقهية المحتاج إليها في الشتاء وفي غيره: أن بعض المصلين يدخل الصلاة وهو ملثم أنفه وفاه، وهذا خطأ ينبغي التنبيه عليه، فقد نهى رسول الله ص عن السدل في الصلاة، وأن يغطي الرجل فاه<sup>(١)</sup>.

وحكمة ذلك بعد التعبد: أن في فعله تشبهاً بالمجوس عند نيرانهم التي يعبدونها، ونحن مأمورون بمخالفة الكفار؛ ولأن هذا الفعل ليس من الزينة المأمور بأخذها عند الصلاة، كما قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا

(١) رواه أبو داود وابن حبان، وهو حسن.



تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿[الأعراف ٣١]﴾.

إلا أنه يجوز التلثم لحاجة كمرض أو رائحة كريهة، فلا يكره عند ذلك.

إخواني الأفاضل، مما يكثر حصوله أيام البرد: كثرة الزكام، وهو مرض كغيره من الأمراض التي ينبغي الحرص على البعد عن أسبابها، فإذا حصل فالمشروع للمسلم الصبر فيه واحتساب الأجر عند الله تعالى عليه، والممنوع سبه وإظهار السخط والجزع من حصوله.

وهذا المرض -يا عباد الله- يولد كثرة العطاس، والعطاس قد يظن بعض الناس أن لا فائدة منه، وهذا ليس بصحيح؛ فالعطاس نعمة من الله تعالى على الإنسان؛ لأنه يحمل على النشاط وخفة الروح، ويُخرج من الجسم مواد محتقنة وفضلات مؤذية يضر بقاءها البدن.

ولهذا شرع الله للعطاس أن يقول: الحمد لله؛ لأنه حصلت له نعمة. وبعض معبري الرؤى يؤولون رؤيا العطاس بتفريج الكربات.

ولما كان العطاس بهذه المثابة كان مما يحبه الله تعالى، قال النبي ص: (إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب)<sup>(١)</sup>.

وحينما كان العطاس نعمة على الإنسان فلا يصح له أن يجعله نقمة على غيره، فعلى العطاس أن يتأدب بآداب العطاس كتغطية الفم والأنف باليد أو المنديل أو الثياب؛

(١) رواه أهل السنن إلا ابن ماجه، وهو صحيح.



النور السائر من خطب المنابر

حتى لا يؤذي الآخرين بخروج شيء من أنفه أو فمه، وينقل إليهم العدوى.  
ومن أدب العاطس: أن لا يرفع صوته أثناء عطاسه؛ لأن في ذلك إيذاء وتهيجاً  
للآخرين على الزكام.

فقد روى الحاكم والترمذي بسند صحيح عن أبي هريرة: أن النبي ص كان إذا  
عطس غطى وجهه بيده أو بثوبه، وغض بها صوته.  
نسأل الله تعالى أن يجعل علينا الشتاء برداً وسلاماً، وأن يرزقنا خير ما فيه، ويحمينا  
شر ما فيه.

هذا وصلوا على خير الورى.....

## خسر المتشائمون (١)

الحمد لله الذي عمَّ كلَّ شيءٍ علَّمه وقضاؤه، ووصل إلى عباده فضله وعطاؤه، لا تُحصى- آلاؤه، ولا تُعدّ نعمائه، جل ثناؤه، وتقدست أسماؤه، وتنزهت علياؤه، تسبح بحمده أرضه وسماؤه.

أزجي إليك ربي، حمداً كثيراً قاصراً عن بلوغ حق حمدك ومجديك، وشكراً جزيلاً يعجز عن الوفاء بمكافأة فضلك ورفدك.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تفرّد بالخلق والملك والتدبير، واستحق الإفراد بالعبادة والقصد والتقدير، وتعرّف إلى عباده بجلال ذاته، وكمال صفاته، وجمال فعّاله، وسعة إفضاله، فسبحانه ما أعظمه وأكرمه، وما أرحمه وأحلمه! وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أفضل من ذكر ووحد، وتبتل وتعبد، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين وصحابته الأكرمين، وأتباعه المقتفين، وسلم تسليماً.

أما بعد:

فاتقوا الله-عباد الله- فتقوى الله بها السعادة والفلاح، والظفر والنجاح، واليمن والنجاة، والطمأنينة والحياة، فحَقَّ للتقوى أن تكون وصية رب العالمين إلى الأولين

(١) ألقيت في مسجد ابن تيمية، إب، في ١٤٢٩/٢/٨ هـ.

النور السائر من خطب المنابر

والآخرين، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾ [النساء ١٣١].

أيها الناس، اعلّموا أن الله تعالى خلق الإنس والجن ليعبدوه وحده لا شريك له الذي شهدت بوحدانيته مخلوقاته، ونطقت بتفرده أفعاله وصفاته، أطاعه كل شيء وخضع، وسجد له وركع، ما عدا الكثرة الكاثرة من الجن والإنس.

فواعجباً كيف يُعصى — الإله      أم كيف يجحده الجاحد  
وفي كل شيء له آية      تدل على أنه الواحد

لقد كان توحيد الله تعالى عنوان رسالة الأنبياء ومفتتح دعوتهم بين قومهم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ﴾ [النحل ٣٦].

فسعد من أقوام الرسل من آمن ووحيد، وشقي من أشرك وتمرد، قال رسول الله ص: (حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشرِكوا به شيئاً، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرِك به شيئاً)<sup>(١)</sup>.

أيها المسلمون، إن توحيد الله تعالى يقتضي أن لا يجري شيء في الكون إلا بمشيئة

(١) متفق عليه.

الله تعالى، ومشية الله تنفذ في عبادته، لا مشية للعباد إلا ما شاء لهم، فما شاء لهم كان وما لم يشاء لم يكن.

فالخلق خلقه والملك ملكه، فمن ذا الذي يقدر أن يصنع شيئاً لم يردده الله، أو يمحو شيئاً أَرَادَهُ اللهُ؟! لا يخرج شيء عن علم الله وقدرته، وما من شيء إلا قد سبق به علمه وخطه قلمه، قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلٍ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد ٢٢].

عباد الله، لما ضعف في قلوب بعض المسلمين توحيدهم لربهم، ومعرفتهم بكماله في حسن صفاته وفعاله، وإحاطته بكل شيء علماً، وحمايته لكل من وحده باللجوء والضراعة دوماً، صدرت منهم أفعال تكشف عن هذا الضعف الكثيف.

ومن تلك الأفعال المشينة: التطير والتشاؤم ببعض المسموعات والمرئيات، ومرور بعض الأزمان والأوقات، وهذه عادة مقبته وتركة سيئة ورثتها الجهالة عن الجاهلية، وتلقاها ضعفاء القلوب عن ضلال الدروب.

فقد كان من عادة الجاهليين الاعتماد على الطير إقداماً وإحجاماً، فإذا عزم أحدهم على أمر كنكاح أو سفر أو غير ذلك زجر الطير ونظر جهة طيرانه، فإن طار يمينه تيمن به ومضى- في قصده بنشاط، وإن طار يسرة تشاءم به ورجع. وربما كان أحدهم يهيج الطير فيعتمده، فما ولى المتطير ميامنه سموه السوانح، وما ولاه مياسره سموه البوارح.

وقد كانوا يتشاءمون- أيضاً- بالأيام والأوقات، فتشاءموا بشهر شوال قليلاً

النور السائر من خطب المنابر

وشهر صفر كثيرا. فيقعدون عن قضاء سفرهم أو زواجهم حتى تخرج أيام هذين الشهرين.

ومن صور تشاؤمهم: التشاؤم بالنجوم بطلوع نجم أو خفوته أو تغير بعض ملامحه.

ولم يقف بهم الخور عند هذا الحد بل صاروا يتشاءمون ببعض المرئيات وبعض المسموعات.

فإذا رأوا الغراب أو سمعوا نعابه تطيروا، وربما كان حالهم كما قال بعضهم:

إذا نعب الغراب وقال خيراً فأين الخير من وجه الغراب؟!

وإذا هبط البوم على البيوت كانوا يزعمون أنه إذا قتل القليل صارت عظامه هامة أي: بومة تطير وتصرخ حتى يؤخذ بثأره، وليس صوت البوم هو صوتها الطبيعي، وربما اعتقد بعضهم أنها روحه، أو يقولون-إذا وقعت على بيت أحدهم: إنها تنذر بموت أحد من أهل البيت.

عباد الله، لا عجب أن تكون هذه المعتقدات المنحرفة عند أهل الجاهلية؛ فهم أهل الحيرة عن الرشاد، والضلال عن طريق السداد، لكن العجب أن تبقى بعض هذه الاعتقادات لدى بعض المسلمين إلى اليوم.

إن دين الإسلام حينما بزغ نوره خلع تعلق القلوب بغير خالقها وردّها إلى التعلق بالذي بيده كل شيء، فنهى عن هذه الخرافات التي تقوم على شفا جرف هار، معتمدة

على ضعف الدين وكثرة الجهل والاضطراب الداخلي، بدلاً من قوة اليقين، وجلاء الحقيقة، وسطوع ضياء العلم.

فعندما كان أهل الجاهلية يبنون إقدامهم أو إحجامهم في الأمور على الاستقسام بالأزلام جاء الإسلام بصلاة الاستخارة. عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كان رسول الله ص يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن يقول: (إذا همَّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم؛ فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال: عاجل أمري وآجله فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال: في عاجل أمري وآجله فاصرفه عني واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان، ثم أرضني. قال: ويسمي حاجته) (١).

ولما كان أهل الجاهلية يعتمدون في السعود والنحوس على زجر الطير أمر الإسلام المسلم بالتوكل على الله تعالى، وفعل الأسباب المشروعة لذلك المقصود.

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق ٣].



النور السائر من خطب المنابر

وقال رسول الله ص: (لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر)<sup>(١)</sup>.

معشر المسلمين، إننا عندما ذكرنا هذه الانحرافات عن أهل الجاهلية فإن ذلك لا يعني إطباق جميعهم على ذلك، فهناك من أنكر التشاؤم والتطير وتمدح بتركه له، قال أحدهم:

الزجر والطير والكهان كلهم مضللون ودون الغيب أفعال

وقال آخر:

لعمرك ما تدري الطوارق بالحصى- ولا زاجرات الطير ما الله صانع  
سلوهن إن كذبتموني متى الفتى يذوق المنيا أو متى الغيث واقع

إن مما يؤسف له- يا عباد الله- أن تبقى هذه المعتقدات الضالة لدى بعض المسلمين، بحيث صار عندهم نظرة سوداوية إلى بعض الأحوال والأزمان كشهرا هذا شهر صفر.

أو ينظر بعضهم في النجوم عند إرادة الزواج أو غيره، أو ينظر في البروج التي تعرض في بعض المجالات مبينة سعود ذلك الشهر ونحوه، أو يقلبون أوراق عداد العام لينظروا حظوظهم، فسبحان الله كيف تضل العقول وقد تبدى لها نور الطريق المستقيم!.

أيها العقلاء الكرام، إن الإسلام دين يحترم الحقيقة وينفي الوهم والخرافة، ويقدر

(١) متفق عليه.



العقل ويرمي السفه والجهل، والتطير والتشاؤم من ذلك المتروك غير المحترم؛ لأنها ظنون لا تقوم على يقين ولا تستقر على أرض الحقيقة.

ولهذا أبطل ديننا هذا العدول عن الحق وجعل اعتقادها أو فعلها من الشرك، قال رسول الله ص: (الطيرة شرك، الطيرة شرك، ثلاثا، وما منا إلا، ولكن الله يذهب به بالتوكل)<sup>(١)</sup>.

وإنما جعلت الطيرة من الأمر المنكر لكون المتطير قطع توكله على الله واعتمد على غيره، ولأنه اعتمد على تحييل ووهم لا على حقيقة، فأى رابطة بين هذا الأمر وبين ما يحصل له؟!، ولأن التطير من إلقاء الشيطان وتخويفه ووسوسته، وذلك بتعلق القلب به خوفاً وطمعاً، واعتقاد النفع والضرر في طائر لا علم عنده ولا قصد.

إن التطير ذنب وكفارته ما جاء في حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ص: (من ردته الطيرة من حاجة فقد أشرك) قالوا: يا رسول الله، ما كفارة ذلك؟ قال: (أن يقول أحدهم: اللهم لا خير الا خيرك، ولا طير الا طيرك، ولا إله غيرك)<sup>(٢)</sup>.

عباد الله، إن الله تعالى لا ينهى عن فعل شيء إلا وفي تركه مصالح وفي فعله مفسد عاجلة وآجلة. فالتشاؤم ينافي الإيمان والتوكل، ويبرهن على ضعف العقل واضطراب النفس، ويسوق إلى الفشل والوساوس، وضيق العيش.

(١) رواه أبو داود وأحمد وابن حبان، وهو صحيح.

(٢) رواه أحمد وهو حسن.

النور السائر من خطب المنابر

فالتشاؤم بلاء يجب على المسلم أن يتجنب أسبابه ودواعيه، وأن يحسن الظن بالله تعالى، ويعلق قلبه به وحده، وأن يقضي- حوائجه متوكلاً على الله فإن تردد فليستخر وليستشر، وليرض بعد ذلك بما قدره الله وقضاه.

وسيعلم المتشائمون إذا انقلبوا إلى ربهم ماذا خسروا، وسيعلم المتوكلون ماذا ربحوا، قال رسول الله ص: (يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب، هم الذين لا يسترقون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون)<sup>(١)</sup>.

بارك الله الله لي ولكم بالقرآن العظيم ونفعي وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروا.

(١) متفق عليه.

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين،  
وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إمام المتقين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين،  
أما بعد:

أيها المسلمون، إن المؤمن حسن الظن بالله تعالى، يرى من اشتداد الألم بريق  
الأمل، ومن امتداد المرض قرب العافية. يتفاءل ويفرح حينما يسمع أو يرى شيئاً ساراً.  
يفرح بطاعته وإحسانه ويتفاءل بحسن عاقبة ذلك من طيب العيش وجمال المال.  
وقد كان رسول الله ص كثيرَ التفاؤل بالحسن من المسموع أو المرئي، فعن أبي  
هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله ص يعجبه الفأل ويكره الطيرة<sup>(١)</sup>.

وكان عظيم الحب للأشياء الطيبة، فمن ذلك أنه كان يحب الأسماء الحسنة؛ لأن لها  
أثراً في المسمى، فعن عبد الله بن بريدة عن أبيه أن النبي -ص- كان لا يتطير من شيء  
وكان إذا بعث عاملاً سأل عن اسمه، فإذا أعجبه اسمه فرح به ورُئي بشر. ذلك في  
وجهه، وإن كره اسمه رئي كراهية ذلك في وجهه، وإذا دخل قرية سأل عن اسمها،  
فإن أعجبه اسمها فرح بها ورُئي بشر ذلك في وجهه، وإن كره اسمها رئي كراهية ذلك

(١) رواه ابن ماجه وابن حبان، وهو صحيح.

في وجهه) (١).

عباد الله، إن كان للتشاؤم مكان يصح أن يكون فيه فإنه بالذنوب والمعاصي؛ فإن لها شؤماً يرفع النعم ويستنزله النقم، ويكدر العيش ويُظلم النفس، قال الله تعالى عن أصحاب القرية التي جاءها المرسلون: ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجِمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ، قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [يس: ١٨-١٩].

قال بعض المفسرين: طائرکم معکم أي: هو ما معکم من الشریک والشِر. المقتضي. لوقوع المكروه والنقمة وارتفاع المحبوب والنعمة.

قال بعض السلف وقد شكى إليه بلاء وقع في الناس: ما أرى ما أنتم فيه إلا بشؤم الذنوب.

فيا أيها الناس، حافظوا على توحيدكم من شوائب الشرك، وعلى عقولكم من هجوم الخرافة، ووثقوا صلتكم بالله بحسن الظن به وقوة التوكل عليه، واليقين بأنه لا يحدث شيء في الحياة إلا بقضاء الله وقدره، وكونوا متفائلين بالأشياء الطيبة، وبالأعمال الصالحة، فالأيام أيام الله والزمان زمانه يصرفه خالقه تعالى وحده، والسعود والنحوس نتائج كسب الجوارح لا بالسوانح ولا بالبوارح، فما للمسلم والتشاؤم بعد هذا؟! وصدق من قال:

طيرة الناس لا ترد قضاء      فاعذر الدهر لا تشبه بلوم  
أي يوم تخصصه بسعود      المنايا ينزلن في كل يوم

(١) رواه أبو داود والبيهقي، وهو حسن.

ليس يومٌ إلا وفيه سعاد ونحوس تجري لقوم فقوم

هذا وصلوا على سيد المتوكلين المتفائلين.....

## إنه الحق (١)

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وأرسل إلينا خير الأنام، وأنزل عليه خير الكلام، هدى للناس ونوراً مبيناً يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه، ويهديهم إلى صراط مستقيم.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطاهرين وصحابته الأكرمين.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِءَ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

(١) ألقى في مسجد ابن الأمير الصنعاني في ٢٢/٥/١٤٣٢هـ، ٢٩/٤/٢٠١١م.

أيها المسلمون، لقد عاش الناس قبل شروق شمس الرسالة المحمدية-فترة من الزمن- في دياجي حالكة، وسلكوا مسالك للحق غير سالكة، عبدوا الشجر والحجر، والصنم والبشر، والنجوم والنار والهوى، فمقتهم الله جميعاً عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب الباقيين على الحق، ومع هذا الانحدار الروحي كانوا يعيشون حياة سياسية ذليلة مضطربة، وحياة اقتصادية منهارة، وحياة اجتماعية متفككة.

حتى أذن الله ببزوغ الحق من غار حراء فبعث الله محمد بن عبد الله ص من مكة المكرمة، منة عظيمة، وعطية كريمة من المنان الكريم، قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران ١٦٤].

أرسل الله تعالى محمداً عليه الصلاة والسلام بدين الإسلام لينقذ البشرية من دياجير الخرافة إلى نور الحقيقة، ومن ضيق الذل إلى سعة العز، ومن أوحال الخطيئة إلى سماء الفضيلة، ومن ذيول التبعية، إلى هام القيادة، ومن ظلام الجهل إلى صفاء المعرفة والعلم.

عند ذلك أصبح الإنسان يعرف معبوده الحق سبحانه وتعالى، ويعرف نفسه، ويدري كيف يعيش، ولماذا يعيش، وإلى أين يصير.

بعد أن كان حاله كما قال ذلك التائه في متاهات ضلاله:

جئتُ لا أعلم من أين ولكني أتيتُ

ولقد أبصرتُ قدامي طريقاً فمشيت

وسأبقى ماشياً إن شئتُ هذا أم أبيت

كيف جئتُ؟ كيف أبصرتُ طريقتي؟

لستُ أدري؟

أجديدُ أم قديم أنا في هذا الوجود

هل أنا حرٌّ طليق أم أسيرٌ في القيود

هل أنا قائدٌ نفسي في حياتي أم مقود

أتمنى أنني أدري ولكن...!

لست أدري

ولماذا لست أدري؟

لست أدري!

أيها المسلمون، إن هذا الدين نعمةُ الله العظمى على عباده الذي ارتضاه لهم وأكمله وأتمه فقال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

فهو دين كامل لحياة كاملة، يلبي جميع حاجات البشرية الروحية والمادية، ويصلح حياة الناس الدينية والدنيوية، وينظم شؤون الدولة والمجتمع، فنُظِمَ الحياة التعبديّة والسياسية والاقتصادية والقضائية والعسكرية والاجتماعية وغيرها تضمنها وضبطها



ونظمها بنظام دقيق، فليس هناك دين يشجع على المعرفة النافعة ويوائم بين العقل والعلم إلا الإسلام، والاكتشافات الطبية والعلمية برهان على هذا، ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

وهو دين يتسم بالديمومة والبقاء والاستمرار والنماء، لا يغيره تغير الزمان والمكان والأجيال والأحداث؛ لأنه التشريع الذي كتب الله له الأبدية إلى قيام الساعة، وأبده العليم القدير، الحكيم الخبير.

﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

وهو دين سهل ميسر لا حرج فيه ولا مشقة ولا آصار فيه ولا أغلال، ولا تضيق ولا إكراه، قال تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨].

وهو وسط بين الإفراط والتفريط، يعطي الروح حظها كما يعطي البدن حقه، وإذا اهتم بالجماعة فإنه لم ينس الفرد، فأعطى كل ذي حق حقه، فصارت الأمة به أمة الوسط بين الأمم، كما صار هو الوسط بين الأديان. قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

وهو دين السلام والأمن العام، ونشر- السكينة والاستقرار، وإزالة الخوف والاضطراب، والفساد والظلم؛ فلذلك جاء ليحافظ على الضروريات الخمس التي فيها أعلى مصالح البشرية، وبانتهاكها ذهاب الحياة كلها، وهي: الدين والنفس والمال

والعرض والعقل.

قال رسول الله ص: (كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه)<sup>(١)</sup>.

وبعد حفاظه على الضر-وريات وسّع عليهم في الحاجيات التي هي مشهد من مشاهد اليسر والسعة كالرخص في السفر وغير ذلك.

وحقق لهم بعد هذا تمام النعمة بإباحة الأمور التحسينية المشروعة والتي بها صلاح الحياة السعيدة، والاستمتاع بفضل الله على عباده، قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف ٣٢].

والمتتبع يجد أن ما حرم الله على عباده- مما لهم فيه مصلحة عاجلة أو آجلة- يجده قليلاً بجانب ما أباح لهم تصریحاً أو بالبقاء على البراءة الأصلية؛ إذ الأصل في الأشياء الإباحة، قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحجّية ١٣].

عباد الله، إن ديننا الحنيف دين واقعي متسق المبادئ والتشريعات لا يعروه تناقض ولا اختلاف ولا تعارض وعدم ائتلاف؛ لأنه من عند الله، ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء ٨٢].

الإسلام- يا أهل الإسلام- دين لكل البشر فلا تفریق فيه بين الأجناس والألوان،

ولا بين اللغات والبلدان، لا قومية لا طبقية لا عنصرية، لا تفاضل إلا بالعلم والتقوى، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات ١٣].

﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة ١١].

خطب رسول الله ص في وسط أيام التشريق فقال: (يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى) (١).

أمة الإسلام، إن ديننا الإسلامي العظيم دينٌ كتب الله له الخلود حتى يذهب زمان الحياة الدنيا، فليس هناك خطر على الإسلام مهما تكالب عليه الأعداء، وحاكوا له المؤامرات، وبذلوا الجهود المختلفة من أجل إطفاء نوره، قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة ٣٢].

لقد حارب الإسلام منذ بزوغه إلى يومنا هذا حروباً عدة ظاهراً وباطناً، حارب فكرياً وسياسياً واقتصادياً وعسكرياً، فحاربه قريش واليهود، والمشركون من خارج مكة، وحاربه المجوس والرومان، والهندوس والصلبيون، والتتار والمغول والبربر، وحاربه الاستعمار الحديث تحت مسميات عدة، وأساليب شتى، ومع هذه الحرب

(١) رواه أحمد، وإسناده صحيح.

النور السائر من خطب المنابر

الضروس الممتدة لم يزد الإسلام إلا لمعناً وتوهجاً، وثباتاً ورسوخاً، وانتشاراً وامتداداً، إنه كشجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها. قال رسول الله ص: (ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر الا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيز أو بذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام، وذلاً يذل الله به الكفر)<sup>(١)</sup>.

**عباد الله**، إن الحروب المعاصرة ضد الإسلام صنعت للإسلام دعاية إعلامية واسعة النطاق في أرجاء العالم، ومع التطور الإعلامي الحديث بدأ من لا يعرف الإسلام - حينها يتابع مجريات الأحداث الدولية الساخنة وهو يرى الغرب وحلفاءه يجاربون الإسلام والمسلمين - بدأ يقرأ عن الإسلام ويهتم بالبحث عنه، وهذا أدى إلى قلق المحاربين للإسلام؛ لأن الناس عرفوا الإسلام وأنه هو الحق الذي غاب بل وغيب عنهم كثيراً، وإن وصل إليهم شيء عنه ففي صورة مشوهة، فالإسلام شرع يتغلغل في أعماق دول الكفر، ويسيح فيها سيحان النهر الجاري الذي لا يصده شيء، ويسرع إسراع الغيث استدبرته الريح، ولو اشتدت وطأة المحاربين عليه فهي - في الحقيقة - نشرٌ لنوره وليست حجاباً أمام ضوئه المتشعشع، وعذبه الدفاق. فهذا أحد المسلمين الجدد من أمريكا يعترف بأن بوش كان سبب إسلامه!، بسبب الأقوال والمواقف البوشية الرعناء تجاه الإسلام والمسلمين

معشر المسلمين، إذا قلنا - واثقين - بأنه لا خطر على الإسلام، فنقول بلا تردد: إنها

(١) رواه أحمد والبيهقي والحاكم، وهو صحيح.

الخطر على المسلمين الذين يضيِّعون دينهم بقلة فهمه ومعرفته، وضعف تطبيقه والعمل بشرائعه، وضآلة الاهتمام بالدعوة إليه وتبليغه إلى من لا يعرفه بطريقة صحيحة بالكلمة الطيبة والأسلوب الحسن الناجح.

إخواني الكرام، إذن -بعد- هذا: ما واجبنا ونحن نرى العالم اليوم يضطرب ويعيش أزمات حقيقية على الأصعدة كافة، ونحن على دراية لا تتزحزح أنه لن يستقر إلا على سفينة الإسلام، ولن يحل مشكلاته إلا هذا الدين؟

وما واجبنا ونحن نشاهد الواقع الحديث يحيا معركة فكرية وثقافية تنتج عنها المعارك السياسية والاقتصادية والعسكرية؟

وما وجبنا ونحن نلاحظ أن من أسباب صدِّ بعض الكافرين عن الإسلام انحطاط المسلمين السحيق في جميع الجوانب، حتى لقد قال بعض الغربيين الذين أسلموا حديثاً: الحمد لله أني عرفت الإسلام قبل أن أعرف المسلمين.

فالمطلوب منا -يا عباد الله- أولاً: أن نعرف ما هو الإسلام الذي ندين الله به، وما هي العقائد والشرائع التي تخالف الإسلام، وهذا يكون بتعلم هذا الدين ومعرفة شريعته، والسؤال عما يُجهل منه، وغرس ثقافة الاعتزاز بهذا الدين في النفوس، وتربية الأجيال على ذلك.

ثانياً: لا يكفي أن نبقى مسلمين بالانتساب، بل لابد من إظهار إسلامنا الصادق في واقعنا العام والخاص في أعمالنا وأقوالنا وجميع أحوالنا.

النور السائر من خطب المنابر

ثالثاً: أن نكون حذرين متيقظين من كيد الأعداء، وأن لا نغتر بكلماتهم التي ظاهرها الرحمة والسلام، وفي باطنها العذاب والحرب الزبون.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةَ مِّنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران ١١٨].

رابعاً: أن نهتم بالتقدم المعرفي، والتطور التقني، والنمو الاقتصادي، والبناء الحضاري الشامل؛ لأن تخلف المسلمين الحياتي يمثل عائقاً كبيراً أمام من يريد دخول الإسلام، فإذا تقدم المسلمون في مجالات الحياة المختلفة كان ذلك دعوة صامتة ناجحة للإسلام.

خامساً: أن يقدم كل مسلم دوره تجاه دينه، فيدعو البعيدين عن هذا الدين بكل وسيلة متاحة: بالكلمة الطيبة في كتاب أو منشور، أو صحيفة أو إذاعة، أو قناة أو مساحة الكترونية، أو مكالمة هاتفية أو لقاء في عمل أو مجلس في وسيلة مواصلات، فمن لم يستطع ذلك فليحسن معاملته لمن يعرفه من الكفار، فقد تبلغ الأفعال ما لا تبلغ الأقوال، ورب دعوة صامتة أفصح من دعوة ناطقة، قال عليه الصلاة والسلام: (ولئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك كن حمر النعم)<sup>(١)</sup>، وقال: (من دل على خير فله

(١) متفق عليه.

مثل أجر فاعله<sup>(١)</sup>.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

(١) رواه مسلم.

## الخطبة الثانية

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، والصلاة والسلام على الرحمة المهداة والنعمة المسداة، صلاة وسلاماً دائمين إلى يوم الدين.

أما بعد:

أيها المسلمون، إن بشائر ظهور الإسلام لتلوح في الأفق متسللة من بين حجب الظلام الكثيفة والآلام المتعددة، وتقول للكون كله: إن المستقبل للإسلام، وإن الحق سيعود إلى أهله. ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١].

وهذا وعد الله لعباده المؤمنين الصادقين، يقول تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ-

الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

وقال: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ- رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ

الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١].

وقال رسول الله ص: (تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا

شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم

يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون ملكاً عاضاً، فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم

يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً جبرياً، فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها



إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، ثم سكت<sup>(١)</sup>.

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: سئل رسول الله ص: أي المدينتين تفتح أولاً: أقسطنطينية أو رومية؟ فقال رسول الله ص: مدينة هرقل تفتح أولاً<sup>(٢)</sup>. يعني: قسطنطينية، وقد تحقق الفتح الأول على يد محمد الفاتح العثماني رحمه الله بعد ثمانمائة سنة من إخبار النبي ص بالفتح، وسيحقق الفتح الثاني في روما عاصمة الفاتيكان، بإذن الله تعالى ولا بد.

أمة الإسلام، هذه بعض البشارات في القرآن والسنة، وأما بشارات الواقع فهي كثيرة، فلقد أصبح الإسلام هو الديانة الأولى في العالم في سعة الانتشار، ودخول أعداد المؤمنين به.

ففي أوروبا أضحي يمتد ويبسط ظلالة الوارفة رغم التضيق، حتى قال بعض المتابعين الأوروبيين: نخشى أن تتحول أوروبا إلى قارة إسلامية!

وفي أفريقيا شع الإسلام بنوره في أدغالها وخيامها، وبراريها وغاباتها، وصار أكثر قبولاً بين أهلها، رغم إمكانيات الحملات التنصيرية الهائلة التي تحمل معها الأموال والإغراءات، ومن عجائب الإسلام هناك أنه قد يسلم فرد فيسلم بإسلامه الفئام الكثيرة من أفراد قبيلته.

(١) رواه أحمد، وهو حسن.

(٢) رواه أحمد والدارمي والحاكم، وهو صحيح.

\_\_\_\_\_النور السائر من خطب المنابر

وهكذا في الأمريكيتين وأستراليا مازال الإسلام في نمو واتساع. ولا يزال من قال: إنه يسلم في العام الواحد في عصرنا الحاضر عدد من مات النبي عليه الصلاة والسلام وهم أحياء مسلمون.

فيا أيها المسلمون، اعملوا علم اليقين أنه لن يقف أمام الإسلام شيء؛ لأنه يسير وعين الله ترعاه، وقوته تحفظه وتدفع عنه كيد الكائدين ومكر الماكرين. فأبشروا وأملوا، ولكن ابدلوا واعملوا، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا.  
ثم صلوا على نبي الأمة وسراج الظلمة....

## أدب الجوار (١)

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وعلمنا القرآن خير الكلام، وجعله نوراً للعقول، وحياة للقلوب، وشفاءً لما في الصدور.

أحمده على جزيل إنعامه، وأشكره على جليل إحسانه، وأشهد أن لا إله إلا الله، إله واحد، ورب شاهد، ونحن له مسلمون.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، نبي خاتم، ونور هادي، ونحن له متبعون. هدى الله به من الضلالة، وعلم به من الجهالة، فصلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً.

أم بعد:

اعلموا -عباد الله- أن خير القبيل قبيل الله، وخير الهدي هدي رسول الله محمد بن عبد الله، وأن كل محدثة في الدين بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار. ثم اعملوا بتقوى الله: بفعل أوامره واجتناب زواجره سامعين مطيعين لقوله في محكم التنزيل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُونُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

أيها المسلمون، اعملوا أن الأيام والليالي عبرٌ تتوالى؛ لتربي الإنسان على الرشد،

(١) ألقى في مسجد ابن الأمير الصنعاني في ٢٠/٢/١٤٣٣هـ، ١٣/١/٢٠١٢م.

وتلقنه دروس الحكمة والنصح.

ومن عبر الزمان ودروسه النافعة: أن أصدقاء الإنسان أيام نعمته: -أيام صحته وغناه وجاهه وقوته- كثير، وأن أصدقاء محنته قليل.

وأن الإنسان-مهما علت منزلته في الدنيا بالجاه أو المال أو القوة- محتاج إلى غيره، ولا يمكن أن يستغني بنفسه عن حاجته للآخرين، فالقريب محتاج إلى قريبه، والزميل إلى زميله، والصديق إلى صديقه، والجار إلى جاره، وإن حصل التفاوت بين هؤلاء في أعراض الدنيا وأسباب القوة فيها.

وهذه الحياة ميدان فسيح، تربط بين ساكنيه أواصر وروابط، وصلات ووشائج، فهناك رابطة القرابة، ورابطة النسب والمصاهرة، وهناك رابطة الصداقة والزمالة، وهناك رابطة الجوار، وغيرها من الوشائج والعلائق، وعلى هذه الروابط تقوم الأمم وبها تتكون الممالك والدول، ومتى ما قامت هذه الروابط على أساس من الدين، استمر بقاؤها وزاد نواؤها، وصارت تلك الأمة التي شيد بنيانها عليها منيعة الجانب، عزيزة المكانة، مهيبة القدر.

عباد الله، إن من بين تلك الروابط التي دعا الإسلام إلى الاعتناء بها، والوفاء بحقها: رابطة الجوار. فقد اهتم الإسلام بها أيما اهتمام، وأولاها آداباً وحقوقاً تضمن لها الديمومة والبقاء، وجعل الله تعالى حق الجوار من الحقوق العشرة التي أمر بالإحسان فيها، فقال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ

وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنْبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ  
وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً ﴿النساء ٣٦﴾.

ومما يدل على اعتناء الإسلام بهذه الرابطة: أن جبريل عليه السلام - كان كثير الوصية لرسول الله بها. قال رسول الله ص: (ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه) (١).

لقد كانت هذه الرابطة مفخرة إنسانية عربية قبل أن تكون مفخرة إسلامية؛ لأنها تنبع من التمسك بالأخلاق الكريمة التي كانت موجودة بين الناس في ذلك الوقت، قال رسول الله ص: (إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق) (٢). ولهذا كلما تلاشت الأخلاق الحسنة والقيم الحميدة في أي مجتمع ذهب أداء حق الجوار كما ينبغي.

و المتأمل بيننا -نحن المسلمين- في عصرنا المتحضر. يجد ذوبان هذه الرابطة يوماً بعد يوم، خصوصاً في المجتمعات المدنية والأحياء الراقية، حيث صار الجار لا يعرف من يسكن بجواره، ولا يدري عن أحواله، وقد يجاور جاره سنين طويلة ثم يموت، وجاره القريب منه لا يعلم! ولا شك أن الأوضاع القروية أحسن بكثير مما عليه الحواضر والمدن.

لقد كان العربي في الجاهلية يفتخر بإحسانه إلى جاره، ويعتز ببناء جاره عليه،

(١) متفق عليه.

(٢) رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد، وهو صحيح.

النور السائر من خطب المنابر

خصوصاً إذا كان الجار ضعيفاً. فيصير بهذه الرابطة قوياً بعد الضعف، وعزيزاً بعد الذلة، وغنياً بعد القلة، قال الشاعر العربي:

تعيرنا أنا قليلٌ عديداً      فقلتُ لها إن الكرام قليل  
وما ضرنا أنا قليل وجارنا      عزيزٌ وجار الأثرين ذليل  
لنا جبل يحتله من نجيره      منيعٌ يردُّ الطرفَ وهو كليل

ويتمدحون بكف الأذى عن الجار حيث يقول شاعرهم:

ولا نخذل المولى ولا نرفع العصا      عليه ولا نزجي إلى الجار عقربا

وإذا أصاب الهوان جارهم تألموا لذلك، وعدّوه فاقرة من الفواقر، قال الشاعر:

وإنَّ هوانَ الجار للجار مؤلمٌ      وفاقرة تأوي إليها الفواقر

أيها المسلمون، إن مما ينفع الإنسان قبل سكنى الدار أن يختار الجار، ومن أعظم السعادة أن يوفق المسلم لجار صالح؛ فقد قال عليه الصلاة والسلام: (من سعادة المرء: الجار الصالح، والمركب الهنيء، والمسكن الواسع)<sup>(١)</sup>.

قال بعض العلماء: لقد اختارت زوجة فرعون المؤمنة آسية بنت مزاحم عليها السلام الجار قبل الدار، كما قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةٌ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [التحریم ١١].

(١) رواه أحمد وابن حبان، وهو صحيح.

قال الشاعر:

يقولون قبل الدار جار موافق      وقبل الطريق النهج أنس رفيق

وقال الآخر:

اطلب لنفسك جيراناً توافقهم      لا تصلح الدار حتى يصلح الجار

فإذا ابتلي الإنسان بجار سوء يؤذيه فعليه أن لا يرد الإساءة بمثلها، بل يردها بالصبر والعفو، والإحسان وبذل المعروف. يروى أن رجلاً جاء ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فقال: "إن لي جاراً يؤذيني ويشتمني ويضيق علي، فقال: اذهب، فإن هو عصى الله فيك فأطع الله فيه".

أيها المسلمون، إن الجوار الذي تعارف عليه الناس هو الجوار في المنزل الذي يعيش فيه الإنسان فحسب، وهذا مفهوم قاصر؛ فإن الجوار العام يشمل من يجاورك - أيها المسلم - في دارك، ومن يجاورك في العمل أو المتجر أو المسجد أو الطريق، وكل من يليك في البلدة التي تعيش فيها وما يجاورها، والدولة المسلمة وما يجاورها. ويعتبر الجوار بين الدول مثل الجوار بين الأفراد حيث يطلب فيه الإحسان وعدم الاعتداء، وما قامت الحروب بين الدول المتجاورة إلا بسبب انتهاك حقوق الجوار.

عباد الله، إن للجار على جاره حقوقاً يجب الوفاء بها، وعدم التقصير فيها والتماطل في أدائها. ويتفاوت الجيران في استحقاق هذه الحقوق زيادة ونقصاناً؛ لاختلاف الروابط والعلاقات الزائدة على هذه الرابطة. فإن من الجيران من له حق،

النور السائر من خطب المنابر

ومنهم من له حقان، ومنهم من له ثلاثة حقوق: فالأول: هو الجار الكافر، والثاني: هو الجار المسلم الذي ليس من الأقارب، والثالث: هو الجار المسلم القريب.

**معشر- المسلمين،** إن أداء هذه الحقوق -الآتي ذكرها- لا يرتبط بصلاح الجار وعدم صلاحه؛ ولذلك تؤدي هذه الحقوق لجميع الجيران، فالجار يشمل: الجار المسلم والكافر، والعايد والفاسق، والصديق والعدو، والبلدي والغريب، والنافع والضار، والقريب والأجنبي. وللجوار مراتب فليؤدى لكل جار حقه.

**إخوتي الأفاضل،** إن حقوق الجوار كثيرة متعددة، قد تختلف باختلاف الزمان والمكان والبيئة، ولكنها تعود إلى أصول جامعة تنضوي تحتها، ومن تلك الأصول:

كف الأذى عن الجار بجميع صورته وأشكاله، سواء كان أذى قولياً أم أذى فعلياً، مباشراً أم غير مباشر.

قال النبي ص: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره)<sup>(١)</sup>.

فمن الأذى: سلاطة اللسان بالسباب والشتائم والهمز واللمز، وهذا الأذى خطره على صاحبه كبير، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل لرسول الله ص: إن فلانة تصلي الليل وتصوم النهار، وفي لسانها شيء يؤذي جيرانها؟ قال: (لا خير فيها، هي في النار). وقيل له: إن فلانة تصلي المكتوبة، وتصوم رمضان، وتتصدق بالأثوار-اللبن

(١) رواه البخاري.



المجفف - وليس لها شيء غيره، ولا تؤذي أحداً قال: (هي في الجنة) (١).

الله أكبر! إنه فرق شاسع بين المرأتين، وجزاء شديد لمن يؤذي الجيران بلسانه، وإن أكثر من العمل الصالح، وإنه جزاء عظيم في الخير لمن أحسن المعاملة ولم يؤذ الخلق، وإن قل عمله.

ومن الأذى: التعدي على أرض الجار وحدود بيته والسطو على ممتلكاته، وهذه صورة مشاهدة عند بعض الجيران أورثت أحقاداً ومشكلات وصلت إلى آثار خطيرة.

ولو تأمل الجار المتعدي - وكان عنده إيمان - في عقوبة ذلك لانكف عن هذا الأذى، قال رسول الله ص: (من اقتطع شبراً من الأرض ظلماً طوّقه الله إياه يوم القيامة من سبع أرضين) (٢).

ومن الأذى: وضع القاذورات في طريقه ومضايقته فيها، وتسليط الزوجة أو الأولاد لإيذائه أو إيذاء أهل بيته، وإزعاجه بالأصوات المؤذية من أجهزة المسجل وغيرها.

ومن الأذى: هجره وقطعه، وحسده في نفسه أو زوجته وأولاده، أو في وسائل راحته، وسعة ذنياه.

ومن الأذى: احتقاره والسخرية منه: بمأكله أو مشربه، أو ملبسه أو مسكنه، أو

(١) رواه أحمد وابن حبان والحاكم، وهو صحيح.

(٢) متفق عليه.

خَلَقَهُ أَوْ خُلِقَهُ

قال حسان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

فَمَا أَحَدٌ مَنَا بِمَهْدٍ لَجَارٍ      أَذَاةً وَلَا مُزْرِبَهُ وَهُوَ عَائِدٌ  
لَأَنَّا نَرَى حَقَّ الْجَوَارِ أَمَانَةً      وَيَحْفَظُهُ مَنَا الْكَرِيمُ الْمَعَاهِدُ

ومن الأذى: كشف أسراره، والبحث عن عيوبه، والفرح بزلاته ومصائبه؛ فالجار أقرب الناس إلى جاره وأعرفهم بأخباره، فمن اللؤم والحرمة كشف خبره وهتك سره،

قال الخطيئة:

لَعَمْرُكَ مَا الْمَجَاوِرُ مِنْ كَلِيبٍ      بِمَقْصَى فِي الْجَوَارِ وَلَا مَضَاعٍ  
هُمْ صُنْعٌ لَجَارِهِمْ وَلَيْسَتْ      يَدُ الْخَرْقَاءِ مِثْلَ يَدِ الصَّنَاعِ  
وَيَحْرَمُ سُرُّ جَارِهِمْ عَلَيْهِمْ      وَيَأْكُلُ جَارِهِمْ أَنْفَ الْقَصَاعِ

أي: أول الطعام.

والجار الصالح لا يتتبع عثرات جاره، بل يسترها، ولا يفرح لهفواته بل يحزن إن وصل علمه إليها، قال الشاعر:

لَا يَفْطَنُونَ لِعَيْبِ جَارِهِمْ      وَهُمْ لِحَفْظِ جَوَارِهِ فَطْنٌ

معشر- المسلمين، إن إيذاء الجيران ذنب كبير يذهب من الإيمان جزء كبيراً، وإذا ذهب كمال الإيمان تعرّض صاحبه للعقوبات، وتخلّى الله عن عونه ومعيته له.

قال النبي ص: (والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن). قيل: ومن يا رسول الله؟ قال: (الذي لا يأمن جاره بوائقه)(١). فانظروا رحمكم الله! إلى هذا التكرار في نفي الإيثار عن الجار المؤذي.

بل أعظم من ذلك أن الجار المؤذي متوَّعد بعدم دخول الجنة، إذا استمر على إيذائه، أو استحل ذلك، ومات على هذه الحالة السيئة.

قال رسول الله ص: (لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه)(٢).

وبالوائق: الشرور. فاتق أيها الجار في جيرانك، واحذر الأذية؛ فإنها إلى النار مطية. أيها المسلمون، ومن حقوق الجار على جاره:

حمايته من كل سوء يعرض له، والدفاع عنه، وحفظه في أهله وماله حال غيبته، والتضحية من أجله، في حدود المقدور عليه، ما عدا غير المستطاع.

وهذا الحق - إن كان من حق المسلم على المسلم - فالجار من أحق الناس به، كما قال رسول الله ص: (المسلم أخو المسلم: لا يظلمه، ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته)(٣).

فمعنى (لا يسلمه) أي: لا يخذله، ولا يتركه لعدوه، بل ينصره وينجده.

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم.

(٣) متفق عليه.

النور السائر من خطب المنابر

وهذا الصنيع الشجاع يدل على شرف الجار المُعين، وعلو همته ونجدته، وكرم شيمه وسمو أخلاقه. وقد كان هذا الخلق النبيل فخراً وشرفاً يفتخر به العربي في الجاهلية والإسلام، كما قال الشاعر:

وإني لأحمي الجارَ من كل ذلِّه      وأفرح بالضيف المقيم وأبهج

وقالت الأخرى تمدح أخاها بحمايته جاره:

وجارك محفوظٌ منيعٌ بنجوة      من الضيم لا يؤذى ولا يتذلل

وقالت:

يُحامي عن الحيِّ يوم الحفا      ظٍ والجار والضيف والنُّزَل

وقال الشاعر:

أنتِ أختي وأنتِ حرمةٌ جاري      وحقيق عليَّ حفظُ الجوار

إن للجار إن تغيب غيباً      حافظاً للمغيب والأسرار

ما أبالي أكان للجار سترٌ      مسبلٌ أم بقي بغير ستار

وهذا الحق الكبير - عند ذوي النفوس العلية، والخصال الزكية - لا يسقط بالجفاء والأذية، والفعال غير الرضية، بل يبقى ليؤدى، ولعله سيكون سبباً لهداية ذلك الجار البعيد عن إحسان الجوار، وتغيير أسلوبه المعوج؛ فقد كان لأبي حنيفة رحمه الله جار بالكوفة يؤذيه بصوته ليلاً حينما يعود من عمله، ويرفع صوته منشداً وهو في حالة سُكر:

أضاعوني وأيّ فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

فيسمع أبو حنيفة صوته، فاتفق ذات ليلة أن أخذه الحرس وحبسوه، ففقد أبو حنيفة صوته تلك الليلة، فسأل عنه في الغد فأخبروه بحبسه، فركب إلى أمير البلد، وطلب منه إطلاق الجار فأطلقه في الحال.

فلما خرج الفتى دعاه أبو حنيفة وقال له - سراً: فهل أضعناك يا فتى؟

قال: لا، ولكن أحسنت أحسن الله جزاءك، ولن أعود إلى ما كنت أفعل.

وإن من العجيب في حماية الجار ما فعله أحد العرب الذي نزل الجراد حول خبائه فمنع أحداً أن يصيده حتى طار وبعُد عنه.

عباد الله، ومن حقوق الجار على جاره:

الإحسان إليه بكل ما استطاع من وجوه الإحسان القولية والفعلية. فلا يكفي الجار أن يسلم من الأذى، وإنما يضاف إليه الإحسان ويصل المعروف.

قال رسول الله ص: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره)<sup>(١)</sup>.

قال حاتم الطائي لزوجته:

إذا كان لي شيئان يا أم مالك فإن لجاري منهما ما تخيراً  
وفي واحد إن لم يكن غير واحد أراه له أهلاً إذا كان مُقْتِراً

النور السائر من خطب المنابر

ومن وجوه الإحسان إلى الجار: تهنته عند فرحه، وتعزيتته عند مصيبتته، وعيادته عند مرضه، وبداءته بالسلام والبشاشة في وجهه، والإحسان إلى أهله وأولاده، وتفقد أحواله، وإرشاده إلى ما ينفعه في أمر دنياه ودينه، والإهداء إليه، وإعارته، أو إعطاؤه ما يحتاج إليه ونحو ذلك.

ومن أهم ما يحسن إليه: سد خلته، وتفقد مطعمه ومشربه؛ لأن قوام الحياة بذلك، قال رسول الله ص: (يا أبا ذر، إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك) (١).

وعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه ذبحت له شاة في أهله فلما جاء قال: أهديتم لجارنا اليهودي؟ فإني سمعت رسول الله ص يقول: (ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه) (٢).

وينبغي النظر في مراتب الجيران وتقديم الأقرب فالأقرب، والأولى فالأولى في الإهداء وبذل المعروف.

فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قلت: يا رسول الله، إن لي جارين فإلى أيهما أهدي؟ قال: (إلى أقربهما منك بابا) (٣).

إخوتي الكرام، لا يحتقر أحدنا هديته لجاره مهما قلت، فهي - وإن لم تكن تُسر -

(١) رواه مسلم.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه البخاري.

العيون، أو تشيع البطون، أو تناسب الأقدار- لكنها تقرّب القلوب، وتذيب العداوات، وتعمّق الود، وتعمل على مد جبال التعاون والتواصل.

قال الشاعر:

إن الهدية حلوة كالسحر تجذب القلوبا  
تُدني البعيدَ عن الهوى حتى تصيرَه قريبا  
وتعيد مضطغن العداوة بعد بغضته حيبا  
تنفي السخيمة عن ذوي الشحنا وتمتحق الذنوبا

لقد ورد الوعيد-معشر المسلمين- في حق من يقصر في هذا الحق، قال النبي ص: (ليس المؤمن الذي يشع وجاره جائع)<sup>(١)</sup>.

وقال رسول الله ص: (ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه، وهو يعلم به)<sup>(٢)</sup>.

وعن ابن عمر قال: لقد أتى علينا زمان وما أحد أحق بديناره ودرهمه من أخيه المسلم، ثم الآن الدينار والدرهم أحب إلى أحدنا من أخيه المسلم، سمعت رسول الله ص يقول: (كم من جار متعلق بجاره يوم القيامة يقول: يا رب، هذا أغلق بابَه دوني

(١) رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد، وهو صحيح.

(٢) رواه الطبراني، وإسناده حسن.

النور السائر من خطب المنابر

فمنع معروفه<sup>(١)</sup>. وهذا النص الشريف-يا عباد الله- يحتم علينا مراجعة أنفسنا ها هنا في الدنيا قبل الآخرة في تقصيرنا في بذل المعروف الحسي والمعنوي للجار.

يقول حاتم الطائي لزوجته:

إذا ما عملت الزاد فالتمسي له      أكيلاً فإني لست آكله وحدي  
أحاً طارقاً أو جار بيت فإني      أخاف مذمّات الأحاديث من بعدي  
وكيف يسبغ المرء زاداً وجاره      خفيف المعى بادي الخصاصة والجهد

أيها المسلمون، ومن حقوق الجار على جاره: احتمال أذاه، والصفح عن هفواته، والعفو عن عثراته، واحتمال سوء تصرفاته.

وهذا أدب عظيم يكشف عن حسن المعدن، وكرم المنبت، وشرف الخلق، ونبيل الصفات.

وهذا الحق كثيراً ما قصر- فيه الجيران، وضائق بعض النفوس عن استيعابه، وعدّته العادات شيئاً غريباً. فكم من مشكلات حدثت، وروابط انفصمت، ومحبة تحولت إلى بغضاء، ووصل تبدل إلى جفاء، وإحسان تحول إلى إساءة، وسبب ذلك: ضعف مراعاة هذا الأدب.

فهذا الحق يحتاج إلى انتصار على النفوس، ونجاح في هضم الحمية المقيتة، وكبح لجماح الغضب والطيش، وهذا صعب على كثير من النفوس، خصوصاً من لها مكانة

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد، وهو حسن.



بين الجيران، أو جاءها الأذى ممن هو أدنى منزلة منها؛ ولهذا فإن هذا الحق أصعب الحقوق على النفوس؛ فبذل المعروف قد يكون شيمة يطبع عليها الإنسان، بخلاف الصبر على أذى الآخرين.

فالجار الصالح حقيقة إنما يتلى بهذا الحق ويُعرف به.

قال بعض الصالحين: "ليس حسن الجوار كف الأذى، حسن الجوار الصبر على الأذى".

وقال أحد الناس يمدح بعض جيرانه الصالحين:

ياسائلي عن حسينٍ      وقد مضى أشكاله  
أقل ما في حسين      كف الأذى واحتماله

بارك الله لي ولكم بالقرآن العظيم، ونفعمي وإياكم بما فيه من الآيات والذكر

الحكيم

أقول قولي هذا واستغفر الله؛ إنه غفور رحيم.

## الخطبة الثانية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه،

أما بعد:

أيها المسلمون، إن من شقاء المرء أن يجاور جارَ سوء، والإنسان الصالح لا يضيق بشيء ذرعاً ضيقه بجار السوء الذي يسمع منه الخنا، ويلقى منه العناء، إن كلمه بالحسنى عاداه، وإن سكت على شره آذاه، عيل صبره، وضاق صدره، فاضطر إلى بيع داره، أو تحوّل عنه إلى سواه، خاصة في هذا الزمن الذي قلت فيه المساكن وضافت البيوت بمن فيها، فحين يرحل جار آذاه جاره، ويسأل عن سبب رحيله يقول:

يلومني أن بعثت بالرخص منزلي      وما علموا جاراً هناك ينغص  
فقلت لهم كفوا الملامة إنها      بجيرانها تغلو البيوت وترخص  
أو يقول:

إذا ما الحرُّ هانَ بأرض قوم      فليس عليه في هرب جُنّاح  
وهنا بأرضكم وصرنا      كقبيء الأرض تذرّوه الرياح  
وإن أراد أن يصرّح يقول:

تنكّر من كُنّا نُسرُّ بقُربه      وعاد زعافاً بعد ما كان سلسلا  
وحق لجار لم يوافقَه جاره      ولا لآئمتَه الدار أن يتحوّلا

ولضرب الجار السيء كان النبي ص يقول: (اللهم إني أعوذ بك من جار السوء في دار المقامة؛ فإن جار البادية يتحول)<sup>(١)</sup>.

ومعناه: أن رسول الله ص يستعيد من الجار السيء الملازم في الوطن المستقر فيه، بخلاف الجار المؤذي الذي يبقى زمناً ثم يذهب كصاحب البادية ونحوه.

عباد الله، إن الجار الصالح حين يسمع برحيل جاره الصالح يحزنه ذلك أشد الحزن، ويعد رحيله من جواره مصيبة من المصائب، كأنها رحل واحد من أهل بيته.

لما عزم بعض السلف على الرحلة إلى الشريق، وكان من بلاد المغرب، قال له

أحدهم:

أشمسَ الغرب حقاً ما سمعنا      بأنك قد سئمت من الإقامة  
وأنتك قد عزمت على طلوع      إلى شريقٍ سموت به علامه  
لقد زلزلت مّا كل قلب      بحق الله لا تُقم القيامه

بهذه المشاعر الفياضة والحب الصادق يشبه رحيل جاره المغربي إلى المشرق بحصول علامة من علامات قيام الساعة وهي: طلوع الشمس من مغربها، كما أخبر سول الله ص، فأين نحن اليوم من هذه المشاعر؟!

وأراد جار لأبي حمزة السكري رحمه الله أن يبيع داره، فقيل له: بكم؟ قال بألفين

ثمن الدار، وبألفين جوار أبي حمزة.

(١) رواه النسائي وابن حبان، وإسناده حسن.

النور السائر من خطب المنابر

وباع أحد السلف داره بمائة ألف درهم؟ ثم قال: بكم تشترون جوار جاري فلان؟ فقالوا: وهل يشتري جوار قط؟!

قال ردوا علي داري، وخذوا مالكم، لا أدع جوار رجل إن قعدت سأل عني، وإن رأني رحب بي، وإن غبت حفظني، وإن شهدت قربني، وإن سألته قضى حاجتي، وإن لم أسأله بدأني، وإن نابتني نائبة فرج عني. فبلغ ذلك جاره الذي مدحه بهذا الكلام فبعث إليه بمائة ألف درهم.

معاشر المسلمين، وبعد هذا: علينا أن نحاسب أنفسنا قبل أن نعاتب جيراننا، وأن نؤدي الحقوق التي علينا قبل أن نطلب حقوقنا.

فلنبداً بأنفسنا، ولنحذر كل الحذر الإساءة إلى الجيران؛ فإن العاقبة وخيمة، والعقوبة أليمة، واللعنة تنتظر المؤذي، والذنب مضاعف، فليتبه.

فعن أبي جحيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَشْكُو جَارَهُ، قَالَ: (اطرح متاعك على طريق)، فطرحه فجعل الناس يمرون عليه ويلعنونه، فجاء إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله، لقيت من الناس ما لقيت، قال: (وما لقيت منهم؟) قال: يلعنونني، قال: (قد لعنك الله قبل الناس) فقال: إني لا أعود، فجاء الذي شكاه إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: (ارفع متاعك؛ فقد كفيت) (١).

وعن المقداد بن الأسود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ الزَّانَا؟

(١) رواه الطبراني والبخاري، وهو حسن.



قالوا: حرام حرمه الله ورسوله، فقال: (لأن يزني الرجل بعَشْرٍ. نسوة أيسرُ. عليه من أن يزني بامرأة جاره)، وسألهم عن السرقة؟ قالوا: حرام حرمها الله عز وجل ورسوله فقال: (لأن يسرق من عَشْرَةِ آيَاتِ أيسر عليه من أن يسرق من بيت جاره)<sup>(١)</sup>.

**فاتقوا الله -يا عباد الله- وأصلحوا ما بينكم اليوم قبل الوقوف بين يدي الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].**

ثم صلوا وسلموا على خير البرية...

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد والطبراني في الكبير، وهو صحيح.

## فضل يوم الجمعة (١)

الحمد لله البرّ الكريم، يخلق ما يشاء ويختار، ما كان لعباده الخيرة، سبحانه وتعالى هو العليم الحكيم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ذو العرش المجيد، الفعال لما يريد.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وخيرته من خلقه، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطيبين وصحابته الراشدين.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَبَدَنٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا

وِنِسَاءً ءَاتَقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ءَ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ

ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي رسول محمد بن عبد الله، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

(١) أُلقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في ٧/٧/ ١٤٣٤هـ، ١٧/٥/٢٠١٣م.

أيها الناس، إن الله تبارك وتعالى خلق خلقه بعلمه وقدرته، وملك أمرهم بتدبيره وحكمته، فهو الخالق وهم المخلوقون، وهو الرب وهم المربوبون، يتصرف فيهم بما يشاء وكيفما يريد

بعلم وحكمة، وقدرة ورحمة، وعدل وعزة. ومن مظاهر ذلك: اصطفاؤه لأزمنة على أزمنة، وأمكنة على أمكنة، وذواتٍ على أخرى؛ لمزيد عناية واختصاص، وتكريم وتفضيل.

ومن ذلك: اختيار الله لهذه الأمة واصطفاؤها على سائر الأمم بمزايا وخصائص، ومن أعظم هذه الخصائص لهذه الأمة: يوم الجمعة؛ ليكون لها بفضائله وأجوره دون غيرها من الأمم.

قال أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "أتى جبريل بمرآة بيضاء فيها نكتة سوداء إلى النبي ص، فقال: (ما هذه)؟ قال: هذه الجمعة، فضلت بها أنت وأمتك، والناس لكم فيها تبع: اليهود والنصارى. لكم فيها خير، وفيها ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يدعو بخير إلا أستجيب له"<sup>(١)</sup>.

يا أهل الجمعة، إن هذا اليوم المقدس له مكانة عظيمة، ومزية جلييلة على سائر أيام الأسبوع، فهو سيد الأيام وخيرها، ولم تطلع الشمس على يوم أفضل منه.

(١) رواه البيهقي والشافعي وابن أبي شيبة، وهو حسن.

النور السائر من خطب المنابر

قال النبي ص: (إن يوم الجمعة سيد الأيام وأعظمها عند الله) (١).

وقال رسول الله ص: (خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة) (٢).

عباد الله، ولما كان هذا اليوم خير الأيام عند الله تعالى فقد جعله مبدأ الخلق ونهايته، ففيه خلق آدم، وفيه تقوم الساعة؛ ولهذا تظل الحيوانات والعجاوات مستمعة منتظرة لقيامها؛ خشية البغته والفتنة، وهي غير مكلفة، إلا الإنس والجن وهم المكلفون، لكنهم عنها غافلون!

قال رسول الله ص: (خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أهبط، وفيه مات، وفيه تيب عليه، وفيه تقوم الساعة، وما من دابة إلا وهي مصيخة يومس الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس شفقا من الساعة إلا الجن والإنس) (٣).

ويوم الجمعة يوم التوبة الأولى، وبداية التكليف على الأرض، كما في الحديث السابق، فتذكر -أيها المسلم- في هذا اليوم أبك الأول آدم عليه السلام وما جرى له في السماء والأرض؛ لتعلم تكريم الله تعالى لهذا الإنسان وتفضله عليه بالتوبة، ولتعرف أثر المعصية -ولو كانت صغيرة- في تفويت المنح وجلب المحن.

عباد الله، إن يوم الجمعة ما كانت له هذه المكانة إلا لفضله وخيره، وكثرة عوائد الله فيه على عباده من الأجر والقرب.

(١) رواه ابن ماجه والحاكم والطبراني، وهو حسن.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه ابن حبان وأحمد والحاكم، وهو صحيح.



وقد أخبر رسول الله ص أن أهل الكتاب أعرضوا عنه بعد أن أمروا به، فاختلّفوا فيه، فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

قال رسول الله ص: (أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا، فكان لليهود يوم السبت، وكان للنصارى يوم الأحد، فجاء الله بنا فهدانا الله ليوم الجمعة، فجعل الجمعة والسبت والأحد، وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة، نحن الآخرون من أهل الدنيا، والأولون يوم القيامة، المقضي لهم قبل الخلائق. وفي رواية: المقضي بينهم)<sup>(١)</sup>.

ولهذا حسدنا أهل الكتاب على هذا الاختيار والهداية، كما قال عليه الصلاة والسلام: (لا يحسدونا على شيء كما يحسدونا على يوم الجمعة التي هدانا الله لها وضلوا عنها، وعلى القبلة التي هدانا الله لها وضلوا عنها، وعلى قولنا خلف الإمام: أمين)<sup>(٢)</sup>.

أمة الإسلام، إن هذا اليوم المبارك يوم لتكفير السيئات التي أثقلت الظهر، فأين الحريص على تكفير ذنوبه هذا اليوم من أسباب المغفرة في قول النبي ص: (لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من طهر، ويدهن من دهنه، أو يمس من طيب بيته، ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين ثم يصلي ما كتب له، ثم ينصت إذا تكلم الإمام إلا غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى)<sup>(٣)</sup>.

وهذا اليوم موسم خصب لكثرة الأجور والحسنات، واغتنام الخيرات والقربات،

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه أحمد، وهو صحيح.

(٣) رواه البخاري.

النور السائر من خطب المنابر

فأين تجار الآخرة الحريصون على كثرة الأرباح، وحياسة بضاعة الفوز والفلاح؟

يقول رسول الله ص: (من غسّل واغتسل يوم الجمعة، وبكّر وابتكر، ومشى ولم يركب، فدنا من الإمام فاستمع، ولم يلغُ كان له بكل خطوة عمل سنة: أجر صيامها وقيامها)<sup>(١)</sup>.

قال النبي ص: (إذا كان يوم الجمعة وقفت الملائكة على باب المسجد يكتبون الأول فالأول، ومثل المهجّر كمثل الذي يهدي بدنة، ثم كالذي يهدي بقرة، ثم كبشاً، ثم دجاجة، ثم بيضة فإذا خرج الإمام طووا صحفهم ويستمعون الذكر)، وفي رواية: (من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة، ثم راح فكأنما قرب بدنة، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً أقرن، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر)<sup>(٢)</sup>.

ويوم الجمعة فيه صلاة الجمعة وخطبتها، وهي اجتماع أسبوعي متجدد واجب بشروطه، يتقاطر الناس إلى المساجد ليستمعوا موعظة تذكّرهم بالله ودينه، وتعظّمهم فيما ينفعهم في أمر دنياهم، فهذا اليوم وخطبته يميلان للمسلمين خيراً كثيراً. معشر المسلمين، إلى كل صاحب هم وضيق، وإلى كل طالب خير عاجل أو آجل لقد أهداك الله يوم الجمعة ليكون زمناً لإجابة الدعاء، فلا تحرم نفسك فضله.

(١) رواه أحمد والطبراني، وهو صحيح.

(٢) متفق عليه.

قال رسول الله ص: (في الجمعة ساعة لا يوافقها مسلم قائم يصلي يسأل الله خيراً إلا أعطاه). وقال بيده ووضع أناملته على بطن الوسطى والخنصر كأنه يزهداها<sup>(١)</sup>.

ومعنى يصلي: يدعو، ويزهداها أي: يقللها، فوقتها ضيق.

وأرجح الأقوال في تحديد هذه الساعة أنها بعد العصر إلى المغرب. والله أعلم.

يا أهل الجمعة، أ بشروا إذا داوتم عليها وأحستتم علاقتكم مع ربكم بمشهد مضيء يوم القيامة، قال رسول الله ص: (إن الله يبعث الأيام يوم القيامة على هيئتها، ويبعث يوم الجمعة زهراء منيرة، أهلها يحفون بها كالعروس تُهدى إلى كريمها، تضيء لهم يمشون في ضوئها، ألوانهم كالثلج بياضاً، ويريجهم تسطع كالمسك، يخوضون في جبال الكافور، ينظر إليهم الثقلان ما يطرقون تعجباً حتى يدخلوا الجنة، لا يخالطهم أحد إلا المؤذنون المحتسبون)<sup>(٢)</sup>.

أيها المسلمون، هذا اليوم المبارك مخصوص على سائر أيام الأسبوع بآداب تقرب صاحبها إلى ربه وترفع أجره ومنزلته عند الله تعالى، فمن تلك الآداب: كثرة الصلاة والسلام على النبي ص، وكيف لا نكثر عليه ص من الصلاة والسلام وهو الذي كان سبب نيلنا فضل هذا اليوم يوم الجمعة، ص. قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: (أكثرُوا علي من الصلاة في كل يوم جمعة؛ فإن صلاة أمتي تعرض علي في كل يوم جمعة،

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البيهقي والحاكم وابن خزيمة، وهو صحيح.

فمن كان أكثرهم علي صلاة كان أقربهم مني منزلة<sup>(١)</sup>.

فصلى الله وسلم على رسولنا محمد عدد ما خلق الخالق ورزق الرازق، وتكلمت الخلائق، وتدفق في الأرض عطاء الله الدافق.

ويستحب في صلاة الفجر من هذا اليوم أن يقرأ الإمام بسورتي السجدة والإنسان؛ لأن هاتين السورتين تذكّران بيوم القيامة بما فيهما من الحديث عنه، والساعة لا تقوم إلا يوم الجمعة.

ويستحب في هذا اليوم أيضاً للمسلم أن يقرأ سورة الكهف، قال النبي ص: (من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين)<sup>(٢)</sup>.

ويستحب في هذا اليوم أيضاً التبكير لصلاة الجمعة منذ شروق الشمس؛ ليقضي المسلم وقته في عبادة الله تعالى، وليحوز على الجوائز الثمينة التي أعدت لأصحاب التبكير لصلاة الجمعة.

إن المشاهد -يا عباد الله- في أيامنا هذه يرى قلة الحرص على هذا الخير العظيم، فالخطيب قد يصعد المنبر ولا يرى أمامه إلا القليل ثم يبدأ الناس بعد ذلك بالحضور، فأين هم من فضل الساعات الأولى التي يجني أهلها خيراً وافراً، وأين هم من تدوين الملائكة الذين يسجلون الأول فالأول من الداخلين حتى يصعد الخطيب المنبر فيطوي

(١) رواه البيهقي، وهو حسن.

(٢) رواه البيهقي والحاكم، وهو حسن.

الملائكة- عند ذلك - صحفهم ويستمعون الخطبة؟! فيا خسارة الغائبين، ويا ندامة المفرطين!.

قال بعض أهل العلم: كانت الطرقات في عهد السلف- كما روى بعضهم - عامرةً وقت السَّحر وبعد الفجر بالمبكرين إلى الجمعة الذين يمشون بالسُّرج، ويقال: إن أول بدعة في الإسلام: تركُّ البكور إلى الجمعة.

فأين نحن من التبكير يا أهل الجمعة، نسأل الله أن يعيننا على مرضاته.  
قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

## الخطبة الثانية

الحمد لله المتفضل الكريم، الرؤوف الرحيم، والصلاة والسلام على نبي الرحمة، وسراج الأمة، التي أخرجها الله به من دياجير الظلمة إلى نور الطريق المستقيم، أما بعد:

أيها المسلمون، من شرف هذه اليوم المقدس: هذه اللحظات المباركات التي نلتقي فيها؛ لنجدد إيماننا، ونقوي الصلّة الحسنة بيننا، ونستضيء ببصيص نور منها في أسبوعنا، ونغنم الأجر الكبير بحضورنا إلى هنا.

ولهذا كان علينا أن نتعلم بعض الأحكام والآداب التي توصلنا إلى هذه المقاصد النافعة.

فمن ذلك: أن الجمعة فرض عين على كل رجل بالغ عاقل صحيح مقيم، ولا يجوز التأخر عنها بعد صعود الخطيب المنبر؛ انشغالاً ببيع أو شراء أو غير ذلك، وكل بيع أو عقد بعد النداء الثاني فهو باطل وماله حرام.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الجمعة ٩].

ويحرم تركها والتخلف عنها بغير عذر شرعي، فمن فعل ذلك فقد ارتكب ذنباً عظيماً، وغداً أثيماً، وجنى على نفسه بختم قلبه، وعصيان ربه.

قال رسول الله ص يوماً على أعواد منبره: (ليتتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين)<sup>(١)</sup>.

هذه عقوبة معنوية، وهناك عقوبة حسية همَّ بها رسول الله ص ولم يفعلها من أجل النساء والأطفال الذين في البيوت قال: (لقد هممت أن أمر رجلاً يصلي بالناس، ثم أنظر فأحرق على قوم بيوتهم لا يشهدون الجمعة)<sup>(٢)</sup>.

أيها الأخوة الأفاضل، إن الإسلام دين النظافة والذوق الرفيع، فلا يجب من أهله أن يؤدي بعضهم بعضاً بمنظر تكرهه العيون، أو رائحة تنفر منها الأنوف، خصوصاً في الاجتماع على العبادة؛ فلذلك جاء الحث على تنظيف الجسم، والتطيّب والتسوك والادهان يوم الجمعة،

خطب النبي ص يوم الجمعة فرأى عليهم ثياب النهار فقال: (ما على أحدكم إن وجد ساعة أن يتخذ ثوبين لجمعه سوى ثوبي مهنته)<sup>(٣)</sup>.

وقال رسول الله ص (إن هذا يوم عيد، جعله الله للمسلمين، فمن جاء إلى الجمعة فليغتسل، وإن كان طيباً فليمس منه، وعليكم بالسواك)<sup>(٤)</sup>.

فإذا وصل المسلم المسجد فليجلس في المكان الذي انتهى به، ولا يتخطّ رقاب

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه أحمد والبيهقي وهو صحيح.

(٣) رواه ابن حبان وابن ماجه، وهو صحيح.

(٤) رواه ابن ماجه، وهو حسن.

النور السائر من خطب المنابر

الناس فيؤذيمهم، وعلى الجالسين التقارب والتفسيح؛ حتى لا يدعوا مجالاً لتخطي الرقاب للأماكن الشاغرة، فعن عبد الله بن بسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاء رجل يتخطى رقاب الناس يوم الجمعة والنبي ص يخطب فقال له النبي ص: (اجلس فقد آذيت وآنيت)<sup>(١)</sup>.

فقوله: (آذيت) أي: الناس بتخطيك، و(آنيت) أي: أخرت المجيء وأبطأت.

فإذا جلس المسلم في المسجد - بعد أن يصلي ركعتين - فلينصت للخطبة ولا يله بشيء آخر متكلماً أو عابثاً، فإن فعل فقد ذهبت جمعته، قال رسول الله ص: (إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة: أنصت والإمام يخطب فقد لغوت)<sup>(٢)</sup>.

ومما يتعلق بالإنصات: البعد عن النوم أثناء الخطبة، فإذا هجم النوم على العينين فليتحول السامع عن مكانه إلى مكان آخر، قال رسول الله ص: (إذا نعس أحدكم في مجلسه يوم الجمعة فليتحول منه إلى غيره)<sup>(٣)</sup>.

ومما يساعد على الإنصات: الدنو من الخطيب، والقرب منه؛ لأنه أوعى للكلام، وأبعد عن المنام.

أيها المسلمون، قد يحصل سبب من أسباب الجمع بين الظهر والعصر. كالسفر أو

(١) رواه أحمد وابن حبان وابن ماجه، وهو صحيح.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه أحمد والترمذي وابن حبان، وهو صحيح.



المطرفي وقت الظهر فيجوز عند ذلك الجمع بين هاتين الصلاتين تقديماً؛ لاتفاق هاتين الصلاتين في كثير من الأشياء، أما الجمع بين صلاة الجمعة وصلاة العصر- فهو فعل غير صحيح- على القول الراجح-؛ لاختلاف الجمعة عن الظهر بأشياء كثيرة، فكيف يصح أن تأخذ حكمها في الجمع. والله أعلم.

إن من الأشياء التي قد يجهلها بعض الناس يوم الجمعة: أن الجمعة تُدرك بإدراك ركعة من ركعتيها، أما إذا أدرك المتأخر الإمام قد قام من ركوع الركعة الثانية، فإنه يصلّيها ظهراً أي: أربع ركعات لا ركعتين، قال النبي ص: (من أدرك ركعة من الجمعة أو غيرها فقد تمت صلاته)<sup>(١)</sup>.

فيأهل الجمعة هذا يومكم الذي فضّلتكم به فاعرفوا فضائله وتمسكوا بأدابه، وأطيعوا الله فيه واجعلوه يوماً لمزيد الطاعة والقربة، ولا تجعلوه يوماً للهو وتضييع الصلوات، والغفلة عن العبادات والقربات، فأظهروا لله من أنفسكم أنكم أحق به وأهلّه باتباعكم سننه، ومعرفتكم فضله، وبصلاحكم وحرصكم على قبول ضيافة الله فيه، والكريم من يشكر فضل ربه، ويعرف حق النعمة عليه، فمن شكر فلنفسه جلب الخير، ومن جحد أو غفل فعلى نفسه جنى، ولا يضر الله شيئاً.

ثم صلوا وسلموا على سيد الأنام...

(١) رواه النسائي والدارقطني، وهو صحيح.



## إدراك السعادة في ظلال العبادة<sup>(١)</sup>

الحمد لله الذي خلق فسوى، وقدر فهدى، أحمده على نعم تترى، وآلاء لا أدرك لها حصراً، وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة صدق تنجي صاحبها يوم الحق، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، أرسله رحمة للعالمين، ومناراً للسالكين، وحجة على خلقه أجمعين، صلوات ربي وسلامه عليه، ما تعاقب الملوان، واستمر الجديدان، وعلى آله وأصحابه وأزواجه، ومن انتهج هديه، واقتفى سعيه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله، في أول أمركم ومنتهاه؛ فبتقوى الله صلاح دنيا المرء وأخراه:

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

أيها الناس، هناك ناس كثيرون ما زالوا يبحثون وسيبقون باحثين عنها حتى يصلوا إليها إن قُدر لهم ذلك؛ لأنها مطلب حياتي لا تحلو الحياة إلا بها، نعم، ظلوا واستمروا يبحثون عن السعادة وعن الراحة؛ عليهم يلقون في ظلالها الاطمئنان والأمان.

يقول كثير من الناس: إنهم غير سعداء، يعيشون حياة مغمورة بالكدر والضنك

(١) ألقى في مسجد ابن تيمية في ٢١/١١/١٤٢٨ هـ.

والحزن والهم، والقلق والوحشة، لا ابتهاج ولا سرور، ولا ارتياح ولا نعيم، ظلام دامس، في نهار شامس، وضيق خانق، في وسع مترامٍ باسق، يطول الزمان دون الوصول إلى الأمانى وشواطئ الراحة، حتى تمنوا الموت، وما وصلوا إلى هذه الحال إلا من آثار هذا الشعور.

بحثوا عن السعادة في المال فلم يجدوها فيه، بل كان سبب شقائهم وتعاستهم لما وجدوه، ماذا حصّل قارون من ماله الوافر غير الهلاك! قال تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ [القصص ٧٦] ثم كانت النهاية: ﴿فَحَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُتَنَصِّرِينَ﴾ [القصص ٨١].

بحثوا عنها في الجاه والتسلط على رقاب الآخرين، فوجدوا الشقاء، وما وجدوا الحياة الطيبة.

هل سعد فرعون وقد قال: ﴿.. يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ. وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الزخرف ٥١]؟!، ألم يكن هذا الماء الذي افتخر به قبرا له ولجبروته!، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى، فَاتَّبَعَهُمْ فَرَعُونُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ [طه ٧٧ - ٧٨].

\_\_\_\_\_ النور السائر من خطب المنابر

بحثوا عنها بكثرة الأولاد والذرية، فماذا وجدوا؟ ماذا استفاد أبو لهب منهم، وقد تباهى بهم!، لم يجد أحداً منهم يتولى دفنه وإراحة الناس من جيفته عندما مات، قال تعالى: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ [المسد ٢].

بحثوا عنها في الشهرة بالفن أو الجمال أو القوة، أو غير ذلك فما وجدوها.

فأين تكمن السعادة وأين نراها يا عباد الله؟

ماهي السعادة؟ وماذا تعني الحياة الطيبة؟

إن السعادة هي: راحة القلب، وطمأنينة النفس، وانسراح الصدر، وهدوء البال.

فأين نجد هذه النعم؟

أنجدها في سوق أم في ملعب أم في بيت أم في أغنية أم في وظيفة أم في زواج أم في

سفر؟

أيها المسلمون، إن الله تعالى خلق الإنسان من جسد وروح، فأما الجسد فمخلوق من شيء محسوس وهو التراب؛ لذلك فسعادته تحصل عن طريق الأمور المحسوسة فيسعد سمعه بالمسموعات، وبصره بالمرئيات، وبطنه بالمأكولات والمشروبات، وهكذا.

وأما الروح فنفخة من الملك؛ ولذلك فإن سعادتها تكون عن طريق الملك، ومن

طريقه جاء الوحي عن الله تعالى، فسعادتها بامتثال الدين الحق الذي شرعه الله تعالى

قال تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

فمن هذه الآية تظهر أولى منارات طريق السعادة وأول علم من أعلام سبيلها، ألا وهو الإسلام الذي به صلاح الروح وسعادتها. فإذا سعدت الروح سعد الجسد وإن قل نصيبه من الأشياء الحسية من طعام أو شراب أو كساء أو نكاح، وإن شقيت الروح شقي الجسد ولو زاد نصيبه من تلك الشهوات؛ لأن الجسد تابع للروح لا العكس.

ولذلك نجد من الكفار من عندهم ترف ورفاهية في هذه الحياة لكنهم لا يجدون السعادة، بل ربما يحملهم ضيق الروح وتعاستها على الانتحار.

أجريت مسابقة في بريطانيا مضمونها إجابة لسؤال يقول: ما المال؟ ما مفهومه وتعريفه؟

فكان الجواب الفائز: أن المال جواز سفر يذهب به الإنسان إلى كل بلد، ويحصل منه ما يريد، غير أنه لا يستطيع أن يجلب به السعادة!.

يا خادم الجسم كم تسعى لخدمته

أقبل على الروح واستكمل فضائلها

أتعبت جسمك فيما فيه خسران

فأنت بالروح لا بالجسم إنسان

أيها المسلمون، كلما ارتقى المسلم في سلم الإيمان زادت راحته وأقبلت سعادته، وكلما أسرف على نفسه بالمعاصي والذنوب جلب لنفسه الشقاء.

النور السائر من خطب المنابر

والعجب ممن يخيون هذه الحياة الضنكة ثم تراهم على معصية الله كشراب الخمر والمخدرات وسماع الغناء فينصح في ترك ذلك المحرم، فيقول: أريد أن أسلي على نفسي! وما يدري هذا المسكين أن ما يفعله سبب لزيادة عنائه وشقائه.

والمستجير بعمره وعند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار

فالمؤمن الطائع المنيب يحيا حياة طيبة ملؤها السرور والبهجة يقول الله تعالى:  
 ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل ٩٧].

ما أحسن عيش المؤمن وما أطيبه! يحيا في جنة وارفة الظلال، يشتم عبيرها ويشرب العذب من نميرها، ويقول: لو كان أهل الجنة على هذا العيش لكفاهم.  
 يطعم الراحة على اختلاف جهاتها، ويشعر بلذاتها وهنائها. راحة قلب وطمأنينة نفس، وانسراح صدر وهدوء بال.

إن تقرب إلى الله بعبادة أحس بلذتها، وتمنى لو بقي عليها ما بقي الدهر. قال أبو سليمان الداراني: أهل الليل في ليلهم الذم من أهل اللهو في لهوهم، ولولا الليل لما أحببت البقاء في الدنيا.

ينسون- وهم غارقون في لذة العبادة- آلام الجسد، وتعب الجسم، فهذا عباد بن بشر- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقف في ثغور المسلمين حارساً، فحينما أحس بالهدوء رصّ قدميه بين يدي الله قائماً متهجداً فيرميه أحد الأعداء بسهم فيتصبب دمه وهو في لذة القيام يقول:

لولا أن العدو يطلع من المسلمين على عورة لتابعت الصلاة!.

إن المؤمن - ولو كان فقيراً معدماً وعنده نعمة الإيمان - يجد لذة لطعامه ولو كان قليلاً؛ لأن الطعام عنده وسيلة للتقوي على العبادة وليس هدفاً يعيش له.

فقد كان بعض الصالحين يعيش على كسر - من الخبز يتقوت بها لكن لذة الإيمان حملته على أن يقول: إنا لفي عيش رغيد لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف!.

فالمؤمن إن ضاق عيشه وقدر عليه رزقه يحمله إيمانه على القناعة والرضا بما قسم الله له؛ ولذلك يجد السعادة بذلك، وإلا فلا سعادة بالعدم.

عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ وَرَزَقَ كِفَافًا، وَقَنِعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ) (١).

وإن المؤمن إن أصابته مصيبة أو نزلت به ملامة تلقاها بالرضا والصبر، لا بالجزع والضجر؛ فيجد السعادة بذلك.

عن صهيب بن سنان: قال: قال رسول الله ص: (عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن: إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له) (٢).

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

النور السائر من خطب المنابر

قال عمر بن عبد العزيز: ما بقي لي سرور إلا في مواقع القدر. وقيل له ما تشتهي؟ فقال: ما يقضي الله عز وجل.

وقال عبد الواحد بن زيد: الرضا باب الله الأعظم، وجنة الدنيا، ومستراح العابدين.

وإن أصابت المؤمنَ نعمةٌ شكرها ولم يطر بها، فيتنعم في ظلها ويبارك الله له فيها، بخلاف غيره ممن إذا نزلت عليه نعمة بطر بها، وانحرفت بأخلاقه وسلوكه، وإن أصيب بمكروه نزل عليه القلق والأحزان والأمراض النفسية والفكرية

عباد الله، إن ذكر الله تعالى قولاً وفعلاً - من صلاة، أو قراءة قرآن، أو ذكر لساني مطلق أو مقيد - يجلب السعادة فيشرح الصدر ويطمئن القلب قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد ٢٨].

لا شيء أحلى وألذ من ذكر الله عند المؤمنين؛ إذ هو محبوبهم وموئل راحتهم، وعلى قدر المعرفة والعلم بالله يكون ذكر العبد لربه، وتنعمه به.

وأما المعرضون عن ذكر الله فهم في شقاء وضنك وقلق وحيرة قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه ١٢٤]، وقال: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُفِضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف ٣٦].

وقال رسول الله ص: (مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي





والميت) (١).

قال رجل للحسن البصري: أشكوا إليك قسوة قلبي! قال: أذبه بذكر الله.

أيها الناس، إن أماننا باباً مفتوحاً للسعادة والحياة الطيبة فما بالناس معرضون عنه لا نظرقه؟!

إنه باب الدعاء، فهو سلاح فاتك أمام الشقاء والعناء، لا يجيب حامله، ولا يقهر رافعه، يستدفع به البلاء قبل نزوله، ويرفع به بعد حلوله، لا مكان للهم والغم والحزن مع الدعاء. كان رسول الله ص يقول عند الكرب: (لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم) (٢).

بل كان رسول الله ص يعلم أصحابه هذا الدواء فتقول أسماء بنت عميس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: قال لي رسول الله ص: (ألا أعلمك كلمات تقولينهن عند الكرب أو في الكرب: الله الله ربي لا أشرك به شيئاً) (٣).

وهذه كلمات إيمان وتوحيد، وإخلاص وبعيدٍ عن الشرك كله، قال ابن القيم: التوحيد مفزع أعدائه وأوليائه، فأما أعداؤه فينجيهم من كرب الدنيا وشداؤها قال

(١) رواه البخاري.

(٢) متفق عليه

(٣) رواه أبو داود وابن ماجه، وهو صحيح.

النور السائر من خطب المنابر

تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت ٦٥]، وأما أولياؤه فينجيهم من كربات الدنيا والآخرة وشدائدها؛ ولذلك فزع إليه يونس فأنجاه الله من تلك الظلمات قال تعالى: ﴿وَإِذَا النُّونُ إِذْ ذَهَبَ مُغَاصِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء ٨٧]، وقال رسول الله ص: (دعوة ذي النون إذا دعا وهو في بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين؛ فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له) (١).

وروى الإمام أحمد وابن حبان عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ص قال: (ما قال عبد قط إذا أصابه هم أو حزن: اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك، ناصيتي بيدك ماضٍ في حكمك، عدلٌ في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور بصري، وجلاء حزني، وذهب همي، إلا أذهب الله همه، وأبدله مكان حزنه فرحاً) قالوا: يا رسول الله، ينبغي لنا أن نتعلم هذه الكلمات، قال: (أجل، ينبغي لمن سمعهن أن يتعلمهن).

**ألا يا عباد الله الدعاء الدعاء، وإياكم واغلاق هذا الباب، فإذا دخلتموه فلا تستحسروا، ادعوا الله بهذه الدعوات، وادعوا الله بكشف أعيان ما يهكم ويغمكم، فالموفق من وفق للدعاء، والمخذول من حُرِمَ طرق هذا الباب.**

(١) رواه الترمذي والنسائي في الكبرى، وهو صحيح.

أيها المسلمون، طوبى لعباد الله المخلصين القانتين، فما أحسن عيشهم! وأروح حياتهم! يجدون في العبادة جنة الدنيا وحلاوتها، ويتلذذون بالمناجاة والطاعة أعظم من تلذذ العاصين بالشهوات، كان رسو الله ص (إذا حز به أمرٌ لجأ إلى الصلاة)، وكان يقول لبلال: (أرحنا بها يا بلال)، وما أجمل وألذ زمانهم وهم بين أحضان السحر ناصبون لأقدامهم قياماً راعين ساجدين داعيين تالين: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانَتْ آتَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر ٩].

إذا ما الليل أظلم كابدوه      فيسفر عنهم وهم ركوع  
أطار الخوف نومهم فقاموا      وأهل الأمن في الدنيا هجوع

قال ابن المنكدر: "ما بقي من لذات الدنيا إلا ثلاث: قيام الليل، ولقاء الإخوان، وصلاة الجماعة".

فلو جالست هؤلاء وحرصت على مرافقتهم وأنت كئيب حزين سلوك وأنسوك بعد ثقل الأحزان ووحشتها، وهدوك إلى طريق السعادة والراحة بعد ضلال الهموم وشدتها، ولا سيما إن كانوا على علم بشرع الله ودينه؛ لأن العلم سعادة وإسعاد: سعادة للنفس وراحة للبال والعقل، وسبب أصيل لجلب الراحة والاطمئنان للإنسان وللآخرين.

معشر-المسلمين، شقي الظالمون-والله- وما سعدوا، وما وجدوا الراحة ولا طعموا. كيف يسعدون وهم يتعدون على حقوق خلق الله: سفكاً أو هتكاً أو ضرباً أو

نهباً؟! فما أشقى الظالم وأتعسه، وأرداه وأبأسه!

ألا وإن من الظلم -يا عباد الله- الحقد على الآخرين وحسد هم، فقد تعتصر- قلوب بعض الناس كرهاً وبغضاً على أناس لا يستوجبون الكره، في أشياء لا تستحق البغض! فيظل الحقود في ليل بهيم من الكآبة والضيق، لا يرى راحة ونوراً إلا بمصيبة تنزل على من يكرهه بفعله أو بفعل غيره! أفبهذا أمر الاسلام؟ أم لهذا دعا الخلق الكريم المبني على سلامة الصدر للآخرين، والعفو عنهم وإرادة الخير لهم؟!

وقد يحمله حقه إلى حسد من يكره متمنياً زوال نعمة ينعم بها، ومن العجب أن محسوده في نعماء، وهو في شقاء، عينه أ وسمعته في نعيم ولكن قلبه وصدوره في جحيم. فمن أراد السعادة-يا عباد الله- فليترك الظلم والحقد والحسد؛ فإنها مغارم لا مغانم، ووصائل داء لا أسباب شفاء.

إن الفرق شاسع والبون واسع بين صاحب تلك الأدواء الماضية- الظلم والحقد والحسد- وبين من يحسن إلى الناس، بل إلى كل خلق الله ناطقه وبهيمه، يبذل المعروف وينجد الملهوف، يحنو على الضعيف ويعطف على الأرملة واليتيم والمسكين، يفرج كُرب المكروبين، ويقضي الدين عن المدينين، ويساعد المحتاجين والسائلين، إن وجد خيراً أعان عليه، وإن وجد شراً نأى عنه وحذر منه، يعيش هم الجماعة لا هم نفسه، عظيم الإحساس بالآخرين، سليم من الإيذاء لهم، كثير التعاون معهم، لم يقتصر- إحسانه على أفراد جنسه، بل يعطف على الحيوان ويحسن إليه ويمد يده لبذل الخير له، حتى الشجر لم يقطعه لغير الحاجة، فإن رأى منه ما يؤذي طريق الآخرين أزاله ونحاه.

إن هذا الإنسان الخَيْرَ ليحيا في بحبوحه من العيش بإحسانه وبذله الخير بين الخلق، قال رسول الله ص: (من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر. على معسر. يسر. الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه)<sup>(١)</sup>.

وقال عليه الصلاة والسلام: (صنائع المعروف تقي مصارع السوء)<sup>(٢)</sup>.

إخوتي الكرام، إن الفراغ يصنع المشكلات، ويخلق الأزمات، ومن أعظم مشكلاته:

جلب الهموم والأحزان، والقلق والأكدار.

وإن الانشغال بالعمل المباح المحبوب للنفس مشغلة عن ذلك، ومسلاة عما يطرأ منه، وملهاة عن كتائب الأمراض النفسية التي تعشعش في قلوب الفارغين وعقولهم.

ولهذا حث الإسلام على العمل، ونبذ الفراغ والكسل، سواء كان هذا العمل جسدياً أم ذهنياً؛ فإنه يقضي على الفراغ القاتل الذي يولّد الكآبة والغم.

ويكفي المنشغل بعمل من الأعمال أن يذهب عن نفسه أمراض الفراغ، وأن يقوت نفسه ومن يعول، فإن رأى من هو أعلى منه في الدنيا فلا يحزن ولا يهتم، بل ينظر

(١) رواه مسلم

(٢) رواه الطبراني، وهو حسن.

النور السائر من خطب المنابر

إلى من هو أدنى منه؛ لئلا يزدرى نعمة الله عليه؛ فإن من نظر إلى من هو فوقه في الدنيا بعين التطلع إلى نيل ما نال - ولم يكن عنده نصيب من الإيمان بالقضاء والقدر، ومعرفة تقلبات الدنيا، ومعرفة الحياة الحقيقية - فإنه سيعيش في شقاء وهم وغم.

وليكن المرء المسلم - عباد الله - ابن يومه الحاضر، لا يجزن على أمسه الفائت، ولا يهتم اهتماماً مضراً بغده الآتي.

مافات مات والمؤمل غيبٌ      ولك اليوم الذي أنت فيه

ولأجل هذا استعاذ رسول الله ص من الهم والحزن؛ لعظم جنايتها على سعادة الإنسان وراحته.

و الهم يكون على المستقبل والحزن على الماضي

وما أصدق لسان الشافعي يوم قال، منشرح الصدر:

إذا كان عندي قوتٌ يومي      طرحتُ الهمَّ عني يا سعيد

ولم تخطر هموم غدي بيالي      فإن غداً له رزق جديد

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم.



## الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، أما بعد:

عباد الله، إن الناظر إلى حياة أسلافنا الصالحين ليرى أنهم كانوا يعيشون في سعادة وطيب حياة، لا يكدرها الهم، ولا ينقصها الحزن، وكثير من الناس في هذه الأيام غارق في القلق والهموم والأحزان والأمراض النفسية، ففتحت لأجلها مشافي، وعيادات خاصة، وما كان أولئك السعداء السابقون بأحسن دنيا منا بوسائلها الحديثة، وأنظمتها السريعة، وسهولة لقمة العيش، فنحن اليوم في عصر-التكنولوجيا الحديثة التي قربت البعيد، وأنظقت الحديد، وسهل الله بها كثيراً مما صعب على من قبلنا، فلماذا ضاق عيشنا أكثر منهم، وتكدرت حياتنا، ورغدت حياتهم؟!

إن من وراء ذلك أنهم عاشوا مؤمنين بالله وقضائه وقدره، واكتفوا من عيشهم بما قُسم لهم، وعملوا ولم يعرفوا فراغ حضارتنا الحديثة، وحيوا متحابين متآلفين، معترزين بهذا الدين، حاملين له ومبلغين غيرهم، ومدافعين عنه أعداءهم بالجهاد في سبيل الله تعالى، قال رسول الله ص: (عليكم بالجهاد في سبيل الله تبارك وتعالى؛ فإنه باب من أبواب الجنة يذهب الله به الهم والغم)<sup>(١)</sup>.

عباد الله، لا يمكن أن يعيش الإنسان في هذه الحياة دون أن يمرّ به يوم شرور، كما مرّ به يوم سرور، لكن ما يميز المؤمن أنه يعرف طبيعة هذه الدنيا: بأنه لا راحة تامة،

(١) رواه أحمد وابن حبان، وهو حسن.

النور السائر من خطب المنابر

ولا سعادة مكتملة فيها، فهي سجن في حقيقتها عما ينتظره في دار البقاء، ويصيب الكافر من الشقاء والعناء أعظم مما يصيب المؤمن، وإن روي بين الناس أنه في نعيم، لكن ذلك الشقاء يعتبر جنة له أمام ما ينتظره من العذاب، قال رسول الله ص: (الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر)<sup>(١)</sup>.

فلا يستريح المؤمن راحة تامة إلا بإطلاق أسرته من قيد الدنيا كما جاء في الحديث: أن رسول الله ص مرّ عليه بجنّازة فقال: (مستريح ومستراح منه). قالوا: يا رسول الله، ما المستريح والمستراح منه؟ قال: (العبد المؤمن يستريح من نصب الدنيا وأذاها إلى رحمة الله، والعبد الفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب)<sup>(٢)</sup>.

فالراحة والسعادة التي لا كدر ولا حزن فيها هناك هناك في جنة عرضها الأرض والسموات.

أيها الناس، إن أردتم السعادة والحياة الطيبة فما أقرب طريقها! ولكن أين السالكون؟.

فمن أراد السعادة فليلزم طاعة الله، ولينبذ معصيته، وليفهم الإسلام فهماً شمولياً، وليكن على علم وبصيرة ودراية لا يمرضها الجهل بدين الله وقلّة الإيمان بالله، وضعف التسليم لقدره وقضائه، وليتنزع من نفسه حزازاتها ووسائل تقاطعها مع

(١) رواه مسلم.

(٢) متفق عليه.



الآخرين، وليغرس حب الآخرين وإرادة الخير لهم.

فالسعيد من انتصر- على نفسه فصارت رهن أمره، والشقي من تسلطت عليه  
نفسه فصار رهن أمرها.

فهذه السعادة بين حناياك كامنة، وببيدك جلبها أو دفعها، فلا تهرب من بين يديك.

يا باحثين عن السعادة إنها لتطلّ من بين النفوس وتعجب

أنت الذي تستطيع رسم حدودها ولأنت من جعل الشقاوة تغلب!

هذا وصلوا وسلموا على النبي المختار، وآله الأطهار، وصحابته الأبرار.....

## وُلِدِ الْهُدَى (١)

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل

عمران: ١٠٢]. ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا

كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ؕ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ [النساء: ١]. ﴿يَتَأْتِيهَا

الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ

يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

أيها المسلمون، لقد كان الظلام - في ذلك الوقت - ينجيم في كل مكان، والضلال يضرب أطنابه في كل جهة، والجهل هو الحاكم الذي يأمر وينهى فيطاع.

وفي تلك الأحوال القائمة لا يرى الرائي إلا أصناماً قائمة، وجباهاً بين يديها ساجدة، وأيادي إليها ممتدة، وقلوباً فيها راغبة وراهة.

(١) أُلقيت في مسجد الأمير الصنعاني يوم ١٣/٣/١٤٣٤هـ، ٢٤/١/٢٠١٣م.



عاش الكون آنذاك في شك وحيرة، وعمى وتخبط، لم ير نوراً يدّ تنتشله من عمهه  
وليليه المدهمة.

حتى أذن الله بسطوع صباح أضواء الخافقين، فجاء إلى الثقلين، فملاء الوجود  
صفاء ونقاء، وكسا الأرض بهاء وسناء.

فتبسمت الأرجاء بانبلاج هذا الفجر الصادق

وتوالت بشرى الهواتف أن قد ولد المصطفى وعم الهناء  
ولد الهدى فالكائنات ضياء وفم الزمان تبسم وثناء  
وتعطر الكون الفسيح بنوره وتوالت الأنوار والأنداء

عباد الله، إن الله تعالى أكرم آخر الأمم بإرسال خير الأنبياء والمرسلين إليها؛  
ليكون شاهداً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً. فأخرج الله محمد بن  
عبد الله ص من خير بقاع الأرض كلها، وجاء به من أشرف نسب في العرب ممتداً إلى  
نبي الله إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، فهو خيار من خيار من خيار.

لقد تربي رسول الله وعين الله ترعاه، وتحرس سيره وخطاه من كل شائبة في عقله  
وعمله وخلقه. فما قارف الآثام، ولا مال إلى الأصنام. ولا وصلت إليه يد حقدٍ يهودية  
بالمقتل والإيذاء وقد أرادت ذلك فحال الله بينهم وما يشتهون.

طابت سيرته، وحمدت سيرته بين قومه قبل بعثته وبعدها، فكان أفضل قومه  
مروءة، وأحسنهم سلوكاً، وألطفهم معاشرة، وألينهم قلباً، وأعظمهم حلماً، وأصدقهم

النور السائر من خطب المنابر

حديثاً، وأمنهم أمانة، وأعزهم جواراً، وأكرمهم خيراً، وأعفهم نفساً، وأبرهم عملاً، وأوفاهم عهداً، وأوسعهم كرمًا ورفداً.

يحمل الكل ويكسب المعدوم ويقري الضيف ويعين على نوائب الحق.

خالط قومه في الخير والجد، وفارقهم في الهزل والباطل، وكان قد حُجِبَ إليه البعد عن بيئة الجاهلية المظلمة، فاتخذ غار حراء ملاذاً للقلب والروح والفكر، يتأمل في هذا الوجود الفسيح وتخبطه في دياجير الظلمات. فيجد في هذه البقعة النائية سعادة واطمئناناً لا يجده في غيرها.

حتى بلغ سن الأربعين فجاءه الحق بالنبوة في ليلة من ليالي غار حراء الغراء فقال له: (اقرأ)، قال: ما أنا بقارئ، -أي: لا أستطيع القراءة- فردد جبريل عليه السلام ذلك ثلاثاً، ورسول الله يقول: ما أنا بقارئ.

فقال جبريل في الرابعة -قارِعاً سمعه ببواكير وحي السماء من عند الله تعالى:  
﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق ١-٥].

أيها المسلمون، إن ذلك المجيء المفاجئ والطارق الجديد المشرق في تلك الساعة الصامته قد أفرغ قلب رسول الله ص، فرجع إلى زوجه خديجة بنت خويلد رَضِيَ اللهُ عَنْهَا راجف الفؤاد، مرتعد البدن يطلب منها التذير والتزميل، وأخبرها بما حدث، فطمأنته وسكنت من روعه، وحلفت له أن الله لن يخزيه، ولن يخيب سعيه، فبر قسمها، حين

رفع الله له ذكره، وأعلى شأنه، وجعل دينه الطريق الوحيد إلى النجاة من خزي الدنيا والآخرة.

ثم توالى الوحي بعد ذلك على رسول الله ص فأرسله الله رحمة للعالمين، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

فدعا رسول الله ص إلى هذا الدين القريبَ والبعيد، والنائي والصديق، والحر والعبد، والرجل والمرأة، والصغير والكبير، والعربي والعجمي.

فلقي من قومه صنوف الأذى فقالوا: كذاب، وهم الكذبة، وقالوا: ساحر وكاهن، وهم يعرفون في قرارة أنفسهم أنه ليس كذلك، ولكن ماذا يقولون للناس ليصدوهم عن محمد الذي يمتد نوره إلى القلوب يوماً بعد يوم؟

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُنَا الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ اللَّهِ يُجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣].

سبوه وشتموه، سخروا منه ورجموه، وألقوا عليه سلا جزور، وهو مع ذلك رابط الجأش، ماضٍ في طريقه لا يلوي على شيء قائلاً: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون. وقال: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله ولا يشرك به شيئاً.

ثم لما زاد الشقاق، وضاق الخناق خرج رسول الله ص بالنور إلى خارج مكة لعله يجد أرضاً تقبل هذا النور السماوي، فذهب إلى الطائف مع مولاه زيد بن حارثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فلقي من أهل الطائف أشد مما لقي من قريش فقد رموه حتى أدموه، فعاد

كثيماً حزيناً.

فأذن الله له بالهجرة إلى المدينة حيث الأمن والنصرة والجو البعيد عن أذى مشركي قريش وكبريائها، ومن هناك تشعشع النور فشرق وغرب، وأنجد وأتهم وبلغ أنحاء الدنيا.

عباد الله، وصل رسول الله ص المدينة النبوية فأسس دولة الإسلام الأولى التي دانت لها الدنيا - بعد ذلك - ردحاً من الزمن.

وقبل أن يبني الدولة الإسلامية بنى رجالها بناء متكاملاً، فقامت على كواهلهم وانطلقوا منها يفتحون البلدان وقلوب أهلها معها.

أولئك الرجال الذين رباهم رسول الله ص بيده - فأحسن تربيتهم - لم يشهد التاريخ لهم مثلاً في جميع جوانب الحمد والمجد.

أيها المسلمون، ومع مرور سنوات قليلة تكامل الإسلام في المدينة عقيدة وشريعة، وبلغ القاصي والداني، وجاءت الوفود من كل حدب وصوب يعلنون إسلامهم راغبين، وصار للمسلمين دولة منيعة الجانب، مرفوعة الراية، فخرجت عن الجزيرة بعد ذلك لتنشر الهدى خارجها؛ ليصير دين الإسلام ظاهراً على الأديان كلها، ولو كره المشركون.

معشر- المسلمين، فلما قر الله عين رسوله ص بما رأى من علو الدين وظهوره، وصلاحية أصحابه لحمل أمانته من بعده، واكتمل الإسلام وأتم الله به النعمة على

العالمين،

حينذاك أذن الله رسوله ص بوداع الحياة والأحياء بعد ثلاث وعشرين سنة من الكفاح والنجاح.

وفي يوم التاسع والعشرين من شهر صفر للعام الحادي عشر. للهجرة شهد رسول الله ص جنازة في البقيع فلما رجع أخذه صداع في رأسه، واتقدت حرارة جسمه، فمرض أحد عشر يوماً.

وثقل برسول الله ص المرض، وكان يجب أن يكون آخر عهده في بيت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فأذن له زوجته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بذلك فانتقل إلى حجرة عائشة.

وفي يوم الأربعاء- قبل خمسة أيام- من الوفاة اشتد وجعه حتى أغمي عليه، وكانوا يهرقون عليه قرب الماء حتى أحس بخفة فدخل المسجد والناس مجتمعون حوله فقال: لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، يحذر ما صنعوا.

ثم قال: من كنت جلدت له ظهراً فهذا ظهري فليستقد منه، ومن كنت شتمت له عرضاً فهذا عرضي فليستقد منه، ثم نزل وصلى الظهر، وأوصى بالأنصار خيراً.

وفي يوم الخميس أوصى بإخراج اليهود والنصارى والمشركين من جزيرة العرب.

وفي يومي السبت والأحد خرج رسول الله ص لصلاة الظهر، وأبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يصلي بالناس.

\_\_\_\_\_النور السائر من خطب المنابر

ثم بدأ الاحتضار برسول الله ص فأسندته عائشة إلى صدرها فدخل عبد الرحمن أخوها ويده سواك فأبده رسول الله بصره فقالت عائشة: آخذه لك؟ فأشار برأسه أن نعم، فأخذته فطيته بريقتها ليجمع الله ريقها بريقه ص في آخر لحظات الدنيا.

ثم قال رسول الله ص: (مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا، اللهم ارحمني واغفر لي، وألحقني بالرفيق الأعلى)، ثم قبضت روحه ص في ضحى يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول سنة إحدى عشرة للهجرة.

فلما مات رسول الله تفاقمت الأحزان وأظلمت على أهل المدينة أرجاؤها وآفاقها. قال أنس: ما رأيت يوماً قط كان أحسن ولا أضوأ من يوم دخل علينا فيه رسول الله ص، وما رأيت يوماً كان أقبح ولا أظلم من يوم مات فيه رسول الله ص.

ولما مات قالت فاطمة: يا أبتاه، أجب ربا دعاه. يا أبتاه، من جنة الفردوس مأواه. يا أبتاه، إلى جبريل نعاها.

ووقف عمر بن الخطاب يقول: إن رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله ص توفي، وإن رسول الله ص ما مات، لكن ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران، فغاب عن قومه أربعين ليلة، ثم رجع إليهم بعد أن قيل: قد مات.

ووالله، ليرجعن رسول الله ص، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم يزعمون أنه

مات.



يقول حسان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يرثي رسول الله ص:

بطيبة رسم للرسول ومعهد  
ولا تنمحي الآيات من دار حرمة  
فبوركت يا قبر الرسول وبورك  
وبورك لحد منك ضمن طيباً  
لقد غيوا جلاً وعلماً ورحمة  
يكون من تبكي السموات يومه  
وهل عدلت يوماً رزية هالك  
فبكي رسول الله يا عين عبرة  
فجودي عليه بالدموع وأعوي  
وما فقد الماضون مثل محمد  
منير وقد تعفو الرسوم وتهمد  
بها منبر الهادي الذي كان يصعد  
بلاد ثوى فيها الرشيد المسدد  
عليه بناء من صفيح منضد  
عشية واره الترى حين يلحد  
ومن قد بكته الأرض فالناس أكمد  
رزية يوم مات فيه محمد  
ولا أعرنك الدهر دمعك يجمد  
لفقد الذي لا مثله الدهر يوجد  
ولا مثله حتى القيامة يفقد

أمة محمد ص، إن رسول الله عليه الصلاة والسلام جاء ليقيم الملة العوجاء، وينشر شريعة الإسلام السمحاء؛ لتكون هي الحاكمة لأهل الأرض. فلا قانون ولا دستور ولا عرف ولا رأي يقدم على شريعة السماء التي جاء بها سيد الأنبياء.

وجاء رسول الله ص ليحبس سيلان الدم الحرام، ويحفظ الأعراض والأموال والعقول من خمور الشبهات وخمور الشهوات.

وجاء رسول الله ص إلى الناس ليعرفهم حقوق بعضهم على بعض: حق الراعي،

النور السائر من خطب المنابر

وحق الرعية، وحق الوالدين، وحق الجيران والأقارب، بل وحق الكفار علينا.  
عباد الله، إن حياة رسول الله ص مدرسة عملية لكل الأجيال، ومنهل عذب  
لصلاح الدين والدنيا والآخرة.  
إن حياته ص هي الحياة السعيدة لمن يريد الحياة السعيدة بجميع صورها  
وجوانبها. وهي درس نافع للأرواح والأبدان والنفوس والعقول والقلوب.  
وهي درس مفيد للحاكم العادل والعالم العامل وللمربي الناجح.  
فقد كان رسول الله ص أعبد الناس لربه وأتقاهم، وأشجعهم وأحلمهم،  
وأكثرهم تواضعاً، وأحرص الناس على جمع كلمة المسلمين ولم شعثهم وتوحيد  
صفهم.  
فصلى الله عليه في الأولين، وصلى الله عليه في الآخرين، وصلى الله عليه في الملاء  
الأعلى إلى يوم الدين.  
أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه..

## الخطبة الثانية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه،

أما بعد:

فأيها المسلمون، هذا رسولنا ص، وهذه بعض نسائم سيرته العطرة، فما واجبنا العملي نحوه، ونحو شريعته التي جاء بها إلينا؟

فهل نكتفي بالتأثر الآني، وهل نكتفي بإعلان الحب المجرد، وإعلان الانتفاء إلى أمته؟ أو أن هناك شيئاً آخر؟

نعم، هناك شيء آخر وهو أن نعظمه، ونحبه، ونتبع شريعته، قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر ٧].

ومن حقه علينا أن نتحاكم إلى القرآن الذي جاء به من عند الله، وإلى سنته التي عملها وقالها

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء ٥٩].

ومن حقه علينا طاعته والاقتران به في أقوالنا وأعمالنا، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب ٢١].

\_\_\_\_\_النور السائر من خطب المنابر

وليس من حب الرسول ص أن نقدم قولاً على قوله، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات ١].

وليس من حب الرسول ص أن نتخلى عن دين الإسلام في الاعتقاد أو العمل أو السلوك.

وليس من حب الرسول ص أن نوالي من عادي أو نعادي من والى.

وليس من حب الرسول ص أن نطعن في زوجاته وأصحابه وآل بيته، فمن كان صادق الحب لرسول الله فليحب ما يحب رسول الله وليبغض ما يبغض رسول الله، ص.

فيا من تحب رسول الله، اتبع ولا تبتدع، واقصد ولا تبتد، واسمع له وأطع فيما أمرك ونهاك.

قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور ٦٣].

هذا وصلوا وسلموا الرسول الأمين.....



## رسالة المسجد في الإسلام (١)

الحمد لله المحمود في أول الأمر وآخره، وباطنه وظاهره، له الحمد في الأولى والأخرة وله الحكم وإليه ترجعون. أحمده وهو القائل: ﴿فِي بُيُوتِ الَّذِينَ أُذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ، رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ، لِيَجْزِيَ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٦-٣٨]، والقائل جل وعلا: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ، إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَن آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة: ١٧، ١٨].

والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على النبي محمد القائل: (من بنى لله مسجداً يذكر الله فيه بنى الله له بيتاً في الجنة) (٢). والقائل ص: (المسجد بيت كل تقي) (٣).

وأنتني بالصلاة والسلام والرضوان على آل الكرام، والصحب العظام، نجوم

١ أ لقيت في مسجد ابن تيمية، في ٢٥/١/١٤٢٩ هـ.

(٢) رواه ابن حبان وابن ماجه والبيهقي، وهو صحيح.

(٣) رواه الطبراني، وهو حسن.

المهتدين، ورجوم المعتدين، أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله، فمن اتقى الله، رزق التوفيق والعون، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل ١٢٨].

أيها المسلمون! من المسجد يبزغ الفجر فتضيء الآفاق، فينحسر الظلام ويتتشر النور في الأنحاء. ومن المسجد خرج الحق فواجه الباطل وقارعه فاتضح الطريق للسالكين.

ومن المسجد انبثق العلم فعطر الكون بطيبه، وتفتحت المغلقات بحسن عرّفه وأريجها، وفي المسجد الراحة والطمأنينة، والطهر والنقاء، وفي المسجد جلاء القلوب من أدرانها، والألسن من آفاتها، وسائر الجوارح من غفلتها وعصيانها. وفي المسجد تنشرح الصدور، وتزكو النفوس، وتطيب الأبدان، وإلى المسجد يهرع العابدون، ويقبل الطائعون، ويتدفق المنيون والتائبون. وعلى المسجد أعلام الهداية والصلاح والأمان تنادي الحيارى، وتدعو الشاردين الآبقين: أن هلموا إلى ربكم الرحيم وإلهكم الكريم. وعلى المسجد تقوم المكارم، ويقوم الاعوجاج، ويهدى الناس إلى صراط مستقيم.

المسجد -عباد الله- ملاذ المؤمنين، ومهبط رحمة أرحم الراحمين، المسجد مكان تزهو جوانبه بأصوات ذاكرة، ووجوه خاشعة ساجدة، وعيون هاطلة دافقة، وقلوب رقيقة خاشية، وأقدام منصوبة قائمة أو منحنية خاضعة، تتنجس الأماكن وهو لم يزل طاهرا، وتخلو البقاع وهو لا يزال عامرا، المسجد مهد للتآلف والتعارف، والتحابب

والتواد وجمع الصفوف وتوحيد المبادئ والوجهات. هو قلعة الإيمان وحصن الفضيلة، والجدار الذي تتكسر- عليه معاول الرذيلة، هو المدرسة الأولى التي يتخرج منها المسلم عالماً يفتح القلوب المقفلة والعقول المغلقة، بمفتاح العلم والهداية. ويتخرج منه المسلم قائداً عظيماً يفتح أبواب الكفر الموصدة، ويزيل عن طريق الناس الأشواك المؤذية، كي يتبعوا الحق والإيمان، ويتخرج منه المسلم حاكماً يعرف عظم مسؤوليته، ووجوب أداء أمانته أمام ربه في حق نفسه ورعيته.

ويتخرج منه المسلم قاضياً منصفاً يعلم الحق ويقضي- به، لا يخاف في الله لومة لائم، ويتخرج منه المسلم يحمل رسالة الحب والنفع للناس في أي مجال يعمل فيه، وفي أي مسؤولية ألقيت على كاهله، ويتخرج منه المسلم عارفاً مِمَّ جاء، ولم جاء، وكيف يعيش، وإلى أين يسير ويصير، فيؤدي حقوق خالقه، وحقوق خلق الله، ويصلح دينه ودينه.

عباد الله، إن للمسجد في الإسلام دوراً كبيراً وأهمية بالغة في الحياة؛ فمنذ أن تشرفت طيبة الطيبة بأقدام النبي الطيب ص تطأ عليها قام رسول الله ص بأعمال جليلة؛ لإصلاح النفوس والمجتمع، وحفظ كيان الأمة، كان من أهمها: بناء المسجد، فقد روى البخاري أن رسول الله ص دخل المدينة راكباً راحلته فسار يمشي معه الناس حتى بركت عند مسجد رسول الله ص بالمدينة، وهو يصلي فيه يومئذ رجال من المسلمين وكان مربداً للتمر لسهل وسهيل غلامين يتيمين في حجر سعد بن زرارة، فقال رسول الله ص حين بركت به راحلته: (هذا إن شاء الله المنزل)، ثم دعا رسول

النور السائر من خطب المنابر

الله ص الغلامين فساومهما بالمريد ليتخذه مسجداً فقالا: لا، بل نبيه لك يا رسول الله، فأبى رسول الله ص أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما.

إن إقامة المسجد -معشر- المسلمين - من اللبنة المهمة التي يقوم عليها بنيان الإسلام؛ فرسول الله ص حينما وصل أراد أن يجمع قلوب المسلمين مهاجريهم وأنصارهم، وأن يذيب روابط الجاهلية التي تفرقهم، فقام بالموآخاة بين المهاجرين والأنصار، وهذا الجمع والثلة المؤمنة لا بد أن يكون لها مكان تلتقي فيه؛ لتتعلم كيف الحياة في الإسلام، ولتوثق الصلة فيما بينها، فأنشأ رسول الله ص -لأجل هذه الغايات- المسجد.

أيها المسلمون، أقام رسول الله ص المسجد ليكون منهلًا وموردًا لنيل العلوم والمعارف، وتلقي كلامه عليه الصلاة والسلام، ورؤية أفعاله ليكتمل الاقتداء بالأقوال والأفعال، وليكون داراً للهداية وتعريف الناس بخالقهم، واستقبال وفود الإسلام بعد الكفر والطغيان، ووفود التوبة بعد الإسراف والعصيان، وليكون قاعدة ينطلق منها المجاهدون وتعقد فيها ألوية الحق لتفتح القلوب والبلدان.

وعُمر المسجد ليكون ملاذاً للفقراء والمعوزين من أصحاب الصفة الذين حسبوا أنفسهم على العلم، أو عدموا الكفاية والمأوى، وارتفعت عمدة المسجد ليكون مجلساً استشارياً يتشاور فيه المسلمون، ويُدَار فيه الرأي لتحصيل مرغوب أو دفع مرهوب. وليصير ملاذاً وموثلاً للمسلمين حينما تدلهم عليهم الخطوب فينادى ب: الصلاة جامعة، فيتقاطرون عليه ليجدوا الحل والأمن.



أيها المسلمون، مما سبق يتبين أن المسجد لم يُبن للصلاة فحسب وإنما بُني لكل ما من شأنه أن يصلح حال المسلمين روحياً ونفسياً واقتصادياً وسياسياً واجتماعياً وعسكرياً، في أيام الحرب وأيام السلم. وإن أعداء المسلمين يريدون تحجيم دور المسجد وإقصاءه عن الحياة المختلفة ليكون مقراً لأداء الصلوات فقط كالكنائس والبيع والصوامع، فينفصل بذلك دوره عن المجتمع وينفصل المجتمع عنه، وهذا لعمر الله إحدى الدواهي والطوام على دين المسلمين وديانهم.

وانظروا -عباد الله- وتأملوا حال الدول الإسلامية التي استجابت لهذه الدعوة الماكرة ماذا كانت النتيجة؟ أصبحت مساجدها مهجورة غير مأهولة إلا من الشيوخ والعجزة، وبانتهاء الصلاة تغلق الأبواب ولا تفتح إلا عند دخول الصلاة الثانية، وصار المنبر مقيداً بما يملئ عليه، فغابت بذلك رسالة المسجد العامة، وقل اهتمام الناس وحبهم له وضعف إقبالهم عليه وما زال الناس يتعدون عن دينهم بقدر ابتعادهم عن مساجدهم.

وانقلوا -عباد الله- بصركم وبصيرتكم إلى من عرفوا قيمة المسجد ودوره العظيم في بناء الأجيال وتربية الشعوب عندما جعلوه جهة مقصودة لإصلاح دينهم وديانهم، وموجهاً لتقويم السلوك المعوج، وتوجيه السالك الضال أو الحائر، كيف غدت مجتمعاتهم؟ وكيف أصبح تمسكهم بالدين الحق وسلوكهم الصراط المستقيم.

وإن المسجد سيظل غصة في حلوق الأعداء، ووجعاً في قلوبهم، وعامل قلق عندهم يوم يؤدي دوره الصحيح الحكيم في توجيه المسلم في مختلف مجالات الحياة؛

النور السائر من خطب المنابر

ولذلك لا تعجبوا إذا سمعتم بعض أعداء الأمة يقولون: إن المسجد هو ورشة الإرهاب!

أيها المسلمون، إذا كان للمسجد هذه المكانة والأهمية فإن بناءه وإقامته من الأعمال الجليلة، والحسنات الباقية، والنفع العام، والأجر المدخر، والذكر الحسن والعمل المشكور لصاحبه، فعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ بَنَى مَسْجِدًا كَمَفْحَصِ قِطَاةٍ أَوْ أَصْغَرَ بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ) (١). وقال رسول الله ص: (إِنْ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ: عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ، وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَه، وَمُصْحَفًا وَرَّثَهُ، أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ، أَوْ بَيْتًا لِابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ، أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ، أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ يَلْحَقَهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ) (٢).

ولما كان هذا العمل عبادة من العبادات، وقربة من القربات اشترط في جزائه وثوابه الإخلاص وحسن القصد والبعد عن الرياء والسمعة.

فعن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ - عِنْدَ قَوْلِ النَّاسِ فِيهِ حِينَ بَنَى مَسْجِدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ بَنَى مَسْجِدًا يَبْتَغِي وَجْهَ اللَّهِ بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ). وفي رواية: (بَنَى اللَّهُ لَهُ مِثْلَهُ فِي الْجَنَّةِ) (٣).

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ بَنَى مَسْجِدًا لَا يَرِيدُ بِهِ رِيَاءً وَلَا

(١) رواه ابن ماجه وابن خزيمة، وهو صحيح.

(٢) رواه ابن ماجه والبيهقي وابن خزيمة، وهو صحيح.

(٣) متفق عليه.



سمعة بنى الله له بيتاً في الجنة<sup>(١)</sup>.

أيها المسلمون، إن من العجز والكسل والإثم أن تبنى المساجد في الأحياء والقرى والمدن ويقل روادها وقصّادها وتغدو شبه مهجورة في الصلوات الخمس، ولو دعي بعض المهاجرين للمساجد إلى مهرجان أو مكان تقسم عليهم فيه من أمتعة الدنيا لما تخلفوا.

وأبواب المساجد أبواب إلى الجنة فما بال الناس يعرضون عنها ويلوون لها ظهورهم، وإلى غيرها تتجه وجوههم وخطاهم!.

مع أن المسلم في أجر وفير وفضل كبير منذ وضوئه وذهابه إلى المسجد حتى يعود منه.

فما الذي يبعد المسلم عن المسجد؟

أهو خموله وكسله، أم تجارته وانشغاله بديناه، أم لهوه في مجالس الرفقاء والندماء، أم جهله فضل الصلاة في المساجد وأجر المشي إليها والبقاء فيها، أم أنه يتكأ على القول باستحباب الصلاة جماعة مع أن الراجح القول بالوجوب، سواء كان هذا أم ذاك فإن الإتيان إلى المساجد توفيق يعطيه الله من يشاء. ولا يلقاه إلا الذين صبروا ولا يلقاه إلا ذو حظ عظيم.

وهذا ربنا يستحثنا للمجيئ إلى بيوته فيقول في كتابه الكريم: ﴿.. فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ

(١) رواه الطبراني، وهو حسن.

اللَّهُ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ [الجمعة ٩].

وتكاثرت أحاديث نبينا ص المرغبة في الإتيان إلى بيوت الله بأساليب شتى: فأحياناً يبين ص أن المشي- إلى المسجد سبب لتكفير الذنوب، قال ص: (من راح إلى مسجد الجماعة فخطوة تمحو سيئة، وخطوة تكتب له حسنة ذاهباً وراجعا)، رواه ابن حبان وأحمد، وأحياناً يعرفنا أن المشي إلى الصلاة هو في صلاة والمنتظر لها كذلك، قال ص: (والقاعد يرمى الصلاة كالقانت، ويكتب من المصلين من حين يخرج من بيته حتى يرجع إليه)<sup>(١)</sup>.

وتارة يعلمنا أن المشي ضيف على الله يقابله تعالى بالإكرام، كما روى مسلم عنه ص قال: (من غدا إلى المسجد وراح إليه أعد الله له نزلاً كلما غدا أو راح).

وقال ص: (من توضأ في بيته فأحسن الوضوء ثم أتى المسجد فهو زائر الله، وحق على المزور أن يكرم الزائر)<sup>(٢)</sup>.

وتارة يبين لنا أن المداوم على المشي- موعود بكفاية رزقه، وإن مات على ذلك فيرجى له دخول الجنة، قال ص: (ثلاثة كلهم ضامن على الله، إن عاش كفي، وإن مات دخل الجنة: من دخل بيته بسلام فهو ضامن على الله عز وجل، ومن خرج إلى المسجد فهو ضامن على الله، ومن خرج في سبيل الله فهو ضامن على الله)<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه أحمد وابن حبان، وهو صحيح.

(٢) رواه الطبراني، وهو صحيح.

(٣) رواه أبو داود و البخاري في الأدب المفرد، وهو صحيح.

والماشي لصلاة الفجر أو المغرب والعشاء مبشر- بالنور التام يوم القيامة، قال رسول الله ص: (ليبشر المشاؤون في الظلام إلى المسجد بالنور التام يوم القيامة)<sup>(١)</sup>.

وصلاة الجماعة لها فضل كبير على صلاة الفرد والبيوت، قال ص: (صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة)<sup>(٢)</sup>.

أيها المسلمون، روى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ص: (أحب البلاد إلى الله مساجدها، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها). فالمسجد مكان محبوب لله ولعباده الصالحين فينبغي للمسلم التمسك بأدابه واتباع تعاليم الإسلام فيه.

فإن المسلم إذا أقبل إلى المسجد فعليه أن يقبل بسكينة ووقار من غير جري، قال رسول الله ص: (إذا ثوب للصلاة<sup>(٣)</sup> فلا تأتوها وأنتم تسعون، وأتوها وعليكم السكينة، فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا؛ فإن أحدكم إذا كان يعمد إلى الصلاة فهو في صلاة)<sup>(٤)</sup>.

وعلى المسلم أن يدعو في طريقه إلى المسجد بما ثبت في صحيح مسلم عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ص خرج إلى الصلاة وهو يقول: (اللهم اجعل في

(١) رواه ابن ماجه وابن خزيمة، وهو صحيح.

(٢) متفق عليه.

(٣) أي: إذا قال المقيم: حي على الصلاة حي على الفلاح.

(٤) رواه مسلم.

النور السائر من خطب المنابر

قلبي نورا، وفي بصرى نورا، وفي سمعي نورا، وعن يميني نورا، وعن يساري نورا، وفوقي نورا، وتحتي نورا، وأمامي نورا، وخلفي نورا، وعظم لي نورا). ومناسبة هذا الدعاء النوراني في الذهاب إلى المسجد: أن المكان الذي يتجه إليه هو مطلع لتشعشع النور واقتباسه، والصلاة التي يؤديها فيه هي نور، فالصلاة نور والمسجد نور، نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء، فإذا دخل المسجد قال: بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله، اللهم افتح لي أبواب رحمتك، أو: أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم. وحينما يخرج يقول: بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله، اللهم إني أسألك من فضلك، اللهم اعصمني من الشيطان الرجيم. وعندما يصل المسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين تسميان بتحية المسجد، كل ذلك ثابت عن رسول الله ص من أقواله وأفعاله.

عباد الله، إن دخول بيوت الله والبقاء فيها ليس كالدخول إلى غيرها؛ فإن المسجد مكان مقدس لم يُبن إلا لذكر الله تعالى وما والاه؛ ولذا على المسلم أن يتعد عن المحظورات والمنهيات التي تخل بقدسية هذا المكان الطاهر أو تؤذي زائره. فعلى المسلم: أن يقضي وقته في المسجد بذكر الله وطاعته، وأن يعرض عن حديث الدنيا غير النافع، وأن يسارع إلى استباق الصفوف الأولى، وأن يحافظ على نظافة المسجد ورائحته الطيبة.

وعليه أن يتجنب إيذاء الآخرين أو ما فيه أذية لهم كالبصاق والنخامة، ورائحة البصل والثوم والكراث والدخان ونحو ذلك، وأن يترك رفع الصوت وإنشاد الضالة

والبيع والشراء؛ فإن المساجد لم تعمر لهذا، وقد جاء في هذه الأمور أحاديث عن نبي الله ص.

عباد الله، طوبى لمن تعلق قلبه بالمساجد، وأضحى رائداً من روادها وقاصداً من قاصديها، فيا بشراه حين يستظل في ظل الله يوم القيامة، قال عليه الصلاة والسلام: (سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلق في المساجد..)<sup>(١)</sup>. تعلق قلبه بالمساجد للعبادة وإصلاح النفس، ولم يتعلق قلبه بغيرها كالأسواق، أو دور اللهو والضياع، فكان هذا الوعد الصادق جزاءه.

وما أطيب جلساء الإنسان في بيوت الله، وأكرمهم، وأحسن عوائدهم، فمن هولاء الجلساء؟ قال عليه الصلاة والسلام: (إن للمساجد أوتاداً- أي: رواداً- الملائكة جلسائهم، إن غابوا يفتقدونهم، وإن مرضوا عادوهم، وإن كانوا في حاجة أعانواهم. وقال: جلس المسجد على ثلاثة خصال: أخ مستفاد، أو كلمة حكمة، أو رحمة منتظرة)<sup>(٢)</sup>.

وما أعظم راحته وطمأنينته وجزاءه حين يكون المسجد منزله الذي يديم الإقامة فيه لطاعة الله، قال عليه الصلاة والسلام: (تكفل الله لمن كان المسجد بيته بالروح والراحة والجواز على الصراط إلى رضوان الرب عز وجل سبحانه) رواه البزار

(١) متفق عليه.

(٢) رواه أحمد والحاكم، وهو حسن.

النور السائر من خطب المنابر

والطبراني. وأي صوت أجمل، وأي سعد يزف إليه أعظم من سماعه ذلك النداء العذب يترقق في سماعه يوم القيامة، كما قال ص: (إن الله لينادي يوم القيامة: أين جبراني أين جبراني؟ قال: فتقول الملائكة: ربنا! ومن ينبغي أن يجاورك؟ فيقول: أين عمار المساجد؟<sup>(١)</sup>). فنسأل الله أن يجعلنا من عمار المساجد. بارك الله لي ولكم بالقرآن العظيم، ونفعمي وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

(١) انظر: تخرجه في السلسلة الصحيحة.



## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

عباد الله، إن المساجد بنيت لإقامة طاعة الله وذكره، والتقرب إليه وعبادته، ولجمع كلمة المسلمين، وتوحيد صفوفهم وتأليف قلوبهم، يوم يجتمعون في هذا المكان الطاهر لا يفرق بينهم جنس أو لون أو غنى أو فقر أو جاه، يجتمعون في هذه البقعة المقدسة لإصلاح ظواهرهم وتصفية بواطنهم من الأحقاد والأضغان، يوم يصفون صفوفاً متساوية على أقدام متراسة وأكتاف ملتصقة ببعضها.

ألا يربي المسلمين هذا -عباد الله- على جمع الكلمة ولم الشتات صفواً واحداً وأمةً متحدة، أم أن أفعالنا في مساجدنا صارت حركات لا معاني لها وشعائر ظاهرة لا أثر لها في واقعنا، ولا تعمق فينا شيئاً من الاتحاد والمحبة. لماذا لا نترك أسباب التفرق والتشطي من تعصب لقبيلة أو منطقة أو حزب أو جماعة أو رأي؟! فإن هذه الأدواء قد عملت على تمزيق ألفتنا ووحدتنا ما لم تعمله أسلحة الأعداء. فأين الواعون، وأين المصلحون المخلصون، وأين المتأملون في رسالة المسجد الشاملة؟

فيا أيها الناس، لنكن واعين رسالة المسجد التي أقيم لأجلها، ولننطلق بها إلى بناء الحياة بناء سليماً متحدين غير متفرقين، ومتحايين غير متناحرين، وأن لا نجعل المسجد بداية الصراع ومنطلق الشقاق، فالخصومة والتشاجر لا تليق بالمساجد، فإذا

النور السائر من خطب المنابر

صارت المساجد أماكن للخصومات والمنازعات فأبي خير سترجو منها أو هدى نلقاه فيها؟ فلعل ذلك الاختلاف سيؤدي إلى نفور بعض الناس عن المساجد وكرهيتهم لها ولأهلها.

يقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة ١١٤].

قال بعض المفسرين: يدخل في خرابها: الخراب الحسي بهدمها وتخريبها، والخراب المعنوي بمنع الذاكرين لاسم الله فيها على أي وجه كان.

هذا وصلوا وسلموا على الهادي البشير...

## وصايا في خضم البلايا<sup>(١)</sup>

الحمد لله القادر الحكيم، اللطيف الرحيم، المحمود على كل حال، المطلع على جميع الأحوال، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم، يتلى عباده بما يشاء بالسراء أو بالضراء؛ ليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له المتفرد بالديمومة والبقاء، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، خير الأنبياء، وسيد الأصفياء، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً.

فأوصيكم -أيها الناس- وإياي بتقوى الله القائل:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

والقائل: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا

رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

والقائل: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ

وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي رسوله محمد بن عبد الله، وشر

(١) أُلقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في جمادى الآخرة ١٤٣٢هـ، ٨/٤/٢٠١١م.

النور السائر من خطب المنابر

الأمر محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.  
أيها المسلمون، إن الوضع الذي تعيشه بلادنا - هذه الأيام - وضع لا يفرح  
الصديق ولا يجزن العدو، اضطراب سياسي، وتدهور اقتصادي، واختلال أمني،  
وتفكك اجتماعي، ونتج عن ذلك سفك للدماء، ونهب للأموال، وتعطيل للأعمال،  
واتساع لرقعة الخوف والقلق.

فكل يوم تشرق فيه الشمس على الناس يترقبون فيه تطوراً جديداً في قضية البلاد  
المصرية.

وفي خضم هذه المعضلات نحتاج إلى إرشادات ووصايا منيرات، تخفف عنا ما  
نزل بنا من الملمات، وتكون طريقاً للحل بإذن الله تعالى.

إخوة الإسلام، إن أسلوب إيحاء الآخرين طريق مسلوك سلكه القرآن الكريم،  
ومشت عليه السنة النبوية، ودرج عليه الحكماء والمربون في الأمم.

فقال تعالى - بعد أن ذكر وصايا خلقه -: ﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ  
تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام ١٥١]، وقال: ﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام ١٥٢]، وقال:  
﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام ١٥٣].

وقال رسول الله ص: (أوصيكم بالأنصار؛ فإنهم كرشبي وعيبي، وقد قضاوا  
الذي عليهم، وبقي الذي لهم، فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم)<sup>(١)</sup>.

(١) متفق عليه.

وأوصى حكيم ابنه فقال: "يا بني، عزُّ المال للذهاب والزوال، وعزُّ السلطان يوم لك ويوم عليك، وعزُّ الحسب للخمول والدثور، وأما عزُّ الأدب فعزُّ راتب رابط لا يزول بزوال المال، ولا يتحول بتحول السلطان، ولا ينقص على طول الزمان".

والمؤمنون مفتقرون إلى التواصي بينهم بالحق في كل زمان، فكيف بزماننا هذا ونازلتنا هذه، قال تعالى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ وَالْعَصْرِ. إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٢﴾ [العصر ١-٣].

أيها المسلمون، الوصية الأولى: اليقين بأن ما يجري من أحداث هو بعلم الله وتقديره الكوني؛ فلا يخرج عن علم الله وقضائه شيء دقيق أو جليل. قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلٍ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد ٢٢].

والله يقضي- في خلقه ما يشاء، ويصنع به ما يريد على مقتضى- حكمته البالغة، وعلمه الواسع الذي لا نحيط به، يتليهم بذنوبهم؛ لعلهم إليه يعودون، قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم ٤١].

والعبرة بعواقب الأمور وخواتمها، لا بأولها وفواتحها، ولعل في أرحام هذه البلايا والفتن خيراً كثيراً لهذا الشعب، لا يكون ذلك إلا بعد التمحيصات والاختبارات، وفي التاريخ أمثلة على ذلك.

ولو نظرنا بعين الإيذان والحكمة فماذا سنرى في فعل من هو أرحم بنا من أنفسنا،

ومن آباءنا وأمهاتنا؟! سنرى أن اختيار الله خير لنا من اختيارنا.  
 قال تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة ٢١٦].

عباد الله، الوصية الثانية: تفاءلوا ولا تشاءموا. فالتفاؤل من سمات الكبار، ومن صفات أهل الإيثار، ومن أخلاق رسول الله ص.

وهو جالب للسعادة إلى النفس والقلب، وفيه ترويح للمؤمن وسرور له، وتقوية لعزيمته، وباعث له على الجد والظفر. فاستبشروا وتفاءلوا وأملوا بالله خيراً؛ فإن الله يقول في الحديث القدسي: (أنا عند ظن عبدي بي، إن ظن خيراً فله، وإن ظن شراً فله) (١).

والتفاؤل مطلوب في كل حال، ويعظم حين تعظم المصائب؛ لأن شدة المصيبة مؤذنة بقرب زوالها، والكروب إذا توالى تولت، والليالي إذا ادهمت تجلت.

اشتدي أزمة تنفرجي قد آذن لي لك بالبلج

وإياكم والتشاؤم، وسوء الظن، وقالة اليأس والقنوط؛ فإن البلاء موكل بالمنطق.

إخوة الإسلام، والوصية الثالثة: اصبروا ولا تجزعوا. فهذه الأيام من أيام الصبر التي لا ينعم الإنسان فيها إلا بالتدريج بالصبر والمصابرة. وعبودية الله تعالى لا تقوم إلا على ذلك، والفلاح الموعود لا ينجز إلا عقب هذه الأعمال العظيمة، قال تعالى: ﴿يَا

(١) رواه الطبراني وابن حبان، وهو صحيح.

أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿[آل عمران ٢٠٠].

فما أحوَجنا اليوم إلى إرغام النفوس على الصبر وترك الجزع وهي ترى هذا الترددي المتنوع، وتغير مواقف الناس من حين لآخر!

فالحذرَ الحذرَ من الطيش ونزق الغضب وردود الأفعال والمسارعة إلى تلبية حاجات الهوى والشيطان، فمن صبر ظفر، وحمد عند الصباح سراه.

الصبر مثل اسمه مُرٌّ مذاقته لكن عواقبه أحلى من العسل

معشر المسلمين، والوصية الرابعة: تأخوا؛ فإنما المؤمنون إخوة. لقد جمع الله أهل الإسلام تحت مظلة واحدة دون أن تفرقهم اللغات والبلدان، ولا الأجناس والألوان، ولا الأنساب والأعراق. فلكل مسلم على أخيه المسلم حقُّ المحبة والنصرة، والتعاون والألفة، قُرب المسلم أم بعد.

ومن ضيق الأفق وقلة الدين أن تحصر- الأخوة والموالاتة في الحزب الواحد، أو الجماعة الواحدة، أو المنطقة الواحدة، أو المذهب الواحد، بأن يوالى من كان فيها، ويعادى من كان خارجاً عنها، وليست الأخوة الإسلامية أن تكون في الشيء الذي تجتمع فيه مصالحنا، فإذا ذهبت المصالح المشتركة ذهبت الأخوة الإسلامية.

إنما الأخوة الإسلامية فيك أيها المسلم، أن تحب وتوالي المسلم الصالح سواء كان معك في رأيك أو حزبك أو مذهبك أو بلدك أم كان خارجاً عن ذلك، وتكره أهل الفسق والعصيان سواء اتفقوا معك في الانتهاك أم اختلفوا.

النور السائر من خطب المنابر

فهذه الأطر الضيقة تفريق للأمة قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران ١٠٣].

إخواني الكرام، إن من القواصم التي حلت في بلادنا فقصمت ظهر إخواننا: التعددية الحزبية التي زادت الطين بلة والمرض علة والخرق اتساعاً، حتى تفرق الوطن وتشتت الجمع، وتباغض الأحبة، وتقاطعت الصلة، وصار الحزب هو معقد الولاء والبراء، ومن قواصم القواصم: أن الموقف الذي يتبناه قادة الحزب قد يغدو شرعاً متبعاً لدى المتتمين إلى ذلك الحزب ولو كان حراماً، والحال كما قال الأول:

وما أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد

لكن المسلم الواعي لا تأسره هذه السجون الضيقة، ولا تقيده هذه الأغلال الجاهلية، فهو يتعصب للحق ولإيماناً وبراءاً فحسب.

عباد الله، والوصية الخامسة: حافظوا على حرمة المسلمين الذين قد تختلفون معهم في الموقف السياسي.

قال رسول الله ص: (كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه) (١).

فيجب على المسلم أن يحفظ دم أخيه المسلم فلا يريق منه قطرة؛ لأن ثمنها غال



عند الله تعالى.

قال رسول الله ص: (لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق)<sup>(١)</sup>.

وقال رسول الله ص: (يجيء المقتول آخذاً قاتله وأوداجه تشخب دماً عند ذي

العزة فيقول: يا رب، سل هذا فيم قتلني؟ فيقول: فيم قتلته؟ قال: قتلته لتكون العزة

لفلان، قيل: هي لله<sup>(٢)</sup>.

ويجب على المسلم أن يحفظ مال أخيه المسلم، فلا يحل له أن يأخذه بغير حق

بسرقه أو نهب أو اختلاس أو غش أو غير ذلك.

قال النبي ص: (لا يحل لامرئ أن يأخذ عصا أخيه بغير طيب نفس منه) قال ذلك

لشدة ما حرم الله من مال المسلم على المسلم<sup>(٣)</sup>.

وقال رسول الله ص: (أتدرون من المفلس)؟ قالوا: المفلس فينا يا رسول الله،

من لا درهم له ولا متاع، فقال ص: (المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاته وصيامه

وزكاته فيأتي وقد شتم هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيقعد

فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته - قبل أن يقضى ما عليه -

أخذ من خطاياهم فطرح عليه، ثم طرح في النار)<sup>(٤)</sup>.

(١) رواه ابن ماجه والنسائي، وهو صحيح.

(٢) رواه ابن حبان بإسناد صحيح.

(٣) رواه الطبراني والنسائي، وهو حسن.

(٤) رواه مسلم.

النور السائر من خطب المنابر

ويجب على المسلم أن يحافظ على عرض أخيه المسلم فلا يتعرض له بهتكٍ أو سب أو شتم.

فوأسفاه مما يجري هذه الأيام في الإعلام عبر وسائله المختلفة، وما تلوكه السنة بعض الناس في أماكن اجتماعهم من بهتان وسباب، وشتائم وطعون، ولمز ونبز، وغيبة وسخرية، ألا يظن أولئك أنهم محاسبون على ما يقولون عند ربهم؟! قال رسول الله ص: (ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا البذيء ولا الفاحش)<sup>(١)</sup>.

وقال رسول الله ص: (لما عرج بي ربي عز وجل مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم)<sup>(٢)</sup>.

وقال النبي ص: (إن من أربى الربا الاستطالة في عرض المسلم بغير حق)<sup>(٣)</sup>.

وحينما يسمع المسلم هذه المزالتق اللسانية فلينصح بما يعرف أنه الحق، وليدافع عن أخيه المسلم الغائب بما يدري عنه من الخير، وهذا يخلصه من إثم سماع الطعن، وينال به خيراً يوم القيامة، قال رسول الله ص: (من ردّ عن عرض أخيه ردّ الله عن

(١) رواه أحمد والترمذي وابن حبان والبيهقي، وهو صحيح.

(٢) رواه أحمد والترمذي والنسائي وأبو داود، وهو صحيح.

(٣) رواه أحمد والبيهقي وأبو داود، وهو صحيح.

وجبه النار يوم القيامة)<sup>(١)</sup>.

أيها المسلمون، الوصية السادسة: آثروا ولا تستأثروا، فالحال الاقتصادية في هذه الأحداث في انحدار مستمر، ووضع غير مستقر، كثر العاطلون عن الأعمال، وغلت الأسعار وساءت الأحوال، فليُنظر كل جار إلى جاره، وكل قريب إلى قريبه وليُفضل عليه مما أعطاه الله أو ليؤثره ولا ينظر إليه وهو يصطلي في أتون الحاجات، ويعاني فقدان الضروريات التي تحفظ حياته من الممات، فرحم الله امرأ أعطى من فضل، أو أثر من قلة، أو واسبى من كفاف. فلنقتسم اللقمة كما اقتسمنا الأزمة كما كان يصنع آباؤكم الأشعريون الذين أثنى عليهم رسول الله ص في هذا الصنع، قال رسول الله ص: (إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو أو قلّ طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما عندهم في ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية، فهم مني وأنا منهم)<sup>(٢)</sup>.

إخواني الأفاضل، الوصية السابعة: تثبتوا وتبينوا قبل أن تتكلموا وتحكموا. ما أكثر ما يُسمع اليوم من الأخبار، وأكثر ما يُرى من إصدار الأحكام على الآخرين من غير علم!! تكاثرت الأنباء وصارت عليها هالات من البهجة منها الصادق ومنها الكاذب، والإعلام قد يُري الناس الكذب صدقاً حتى يصدقوه، والصدق كذباً حتى يكذبوه، وبعض الناس هذه الأيام آذان صاغية وقلوب واعية لما يُعرض في الإعلام من غث وسمين بدون تثبت، ألم يعلمنا الله عز وجل أدب التثبت قبل أن نندم إذا

(١) رواه الترمذي والبيهقي، وهو صحيح.

(٢) متفق عليه.

النور السائر من خطب المنابر

تكلمنا بلا تثبت، فقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنِيٍّ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات ٦].

فالتثبت في الأخبار من العدل الذي يحافظ على التمام الأمة وترباطها ويقوي نسيجها الاجتماعي، والتمهل والتريث صفة محمودة، وخصلة منشودة لكل عاقل؛ لأن العجلة في غير محلها مسلك شيطاني قد يورث الندامة حين لا تنفع الندامة، قال أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "التأني من الله والعجلة من الشيطان".

لا تعجلنَّ فربما عجل الفتى فيما يضره  
ولربما كرهه الفتى أمراً عواقبه تسره

عباد الله، إن نقل الأخبار وتصديقها وبثها دون تمحيص ظلم وبغي يوهي تماسك المجتمع، ويقوي فيه روح الضغينة والعداوة، فعلى المسلم الحريص على دينه وسمعته أن يحفظ سمعه عن تصديق كل ما يسمع، ويحفظ لسانه أن يتكلم بشيء لا يعرف صحته وسلامة عاقبة الحديث عنه. فالتثبت والتثبت قبل تحميل الناس ما لا يفعلون وتقويلهم ما لا يقولون، فلا تحسبوا ذلك هيناً بل هو عند الله عظيم، قال رسول الله ص: (كفى بالمرء إثماً أن يحدث بكل ما سمع) (١).

فاتق الله يا عبد الله، في هذه الفتنة أن تأخذ من دينك وتقضم من أخلاقك الكريمة، ولسانك المستقيمة، واحذر ظلم الآخرين في دمائهم وأمواهم وأعراضهم.

(١) رواه أبو داود وابن حبان والحاكم، وهو صحيح.

ولا تعجل على أحد بظلم      فإن الظلم مرتعه وخيم  
ولا تفحش وإن مُلّيت غيظاً      على أحد فإن الفحش لوم

بارك الله لي ولكم بالقرآن العظيم ونفّعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر  
الحكيم، قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

## الخطبة الثانية

الحمد لله الذي جمع المسلمين بهذا الدين، وأرسل إليهم خير المرسلين، بالحكمة والذكر المبين، فجمع الله به بعد الفرقة، وألف به بعد النفرة، فصلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

أيها المسلمون، الوصية الثامنة: أمّوا المساجد للصلاة والائتلاف، ولا تخرجوا منها بالكراهية والاختلاف؛ فالمساجد لم تُبن لتفريق الصفوف بل لجمعها، ولم تُفتح لإغلاق نوافذ تصفية القلوب بل لفتحها وتجليتها. فالمسجد في الإسلام رمز لجمع الكلمة، ووحدة الصف، وتعميق معاني المحبة والقرب، جسد بجانب جسد، وقدم ملتصقة بقدم، ومنكب بمنكب، الجميع يقومون ويركعون ويسجدون لا تخالف بينهم، اتحاد ظاهر يدعو إلى اتحاد باطن.

عن أبي مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْسَحُ مِنَّا كَبْنَا فِي الصَّلَاةِ وَيَقُولُ: (اسْتَوُوا وَلَا تَخْتَلَفُوا؛ فَتَخْتَلَفُ قُلُوبُكُمْ) (١).

ولأجل هذه الأهداف السامية للمسجد كان المسجد من أول أعمال رسول الله ص حينما قدم المدينة؛ ليجمع الأرواح والأبدان معاً.

فمن منطلق معرفة رسالة المسجد السامية وفي خضم هذه الفتن السياسية أوصي إخواني المصلين رواد المساجد الأفاضل الذين أنعم الله عليهم بلزوم المساجد في

الصلوات الخمس: أن يكونوا لحمة واحدة متحابين متآلفين، مجتمعين على الحق غير متفرقين، ولو تعددت الآراء واختلفت وجهات النظر السياسية فلا يؤدي ذلك إلى تغير القلوب المتحابية وتمزيق الصفوف المتماسكة، فالخلاف سنة كونية لا يمكن أن يُرفع حتى ينزل عيسى ابن مريم عليه السلام في آخر الزمان، ولكن على الجميع أن يراعي أدب الخلاف حتى يسود الوئام لا البغضاء والخصام.

وعلى ذلك فلا تُحوّل المساجد إلى ساحات عراك وصراخ، وملاسنة وكثرة كلام، وتنازع وتشاجر؛ فقد جمعنا الله بالمسجد فكان لنا مكان قوة فلا نجعله منطلق ضعف فنفسل وتذهب قوتنا، قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأففال ٤٦].

وتذكروا قول الله تعالى وكونوا من أهل هذه الآيات: ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ، رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ، لِيَجْزِيََهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٦-٣٨].

عباد الله، الوصية التاسعة: سارعوا إلى الأعمال قبل أن تسارع إليكم الأجال، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران ١٣٣].

وقال: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾

[المائدة ٤٨].

وقال رسول الله ص: (بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا)<sup>(١)</sup>.  
 فالأيام تمضي، والأعمار تنقضي، والفتن تتسارع، والأوقات تضيع، والجدي فتر، والجسد يضعف، والحياة تغرب، والحتوف تقرب.

وأبشروا فالعبادة أيام الفتن مضاعفة الأجر، قال رسول الله ص: (العبادة في الهرج كهجرة إلي)<sup>(٢)</sup>.

كثير من الناس يظل الساعات الطوال يتابع الأخبار ويتنقل بين وسائل الإعلام قارئاً وسامعاً ومشاهداً وقد ينسى استغلال بعض ذلك الوقت الكبير فيما يقرب إلى الله تعالى، فطوبى لمن شغل وقته فيما ينفعه قبل أن تباغته المنية:

اغتنم في الفراغ فضل ركوع      فعسى أن يكون موتك بغته

كم صحيح رأيت من غير سقم      ذهبته نفسه الصحيحة فلتته

أحبائي الكرام، الوصية العاشرة: الدعاء الدعاء، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾

[البقرة ١٨٦].

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.



إن دعاء الله والتضرع بين يديه من أعظم سبل كشف الكربة، وذهاب الغمة، فهو سلاح يقضي على البلاء في معركة الفتنة فلماذا تخلينا عن هذا السلاح الفتاك؟! لماذا أقبل الخلق على أبواب الخلق وتركوا باب الخالق، لماذا طرقتوا الأبواب المقفلة ولم يطرقوا الباب المفتوح الذي ينادي: هل من داخل فيُكْرَم؟! لماذا تمتد القلوب والأيدي إلى البشر. طالبة حل الأزمة ولم ترفع إلى الذي بيده كل شيء؟!!

إذا أردنا اندحار البلاء فعلينا بالدعاء

وإذا أردنا الرخاء والهناء فعلينا بالدعاء

فالدعاء الدعاء يا عباد الله، في المساجد والبيوت، والليل والنهار، والسِر. والعلن، وإذا دعونا فلنشق بالله، ولنفرده بالتوجه وانتظار الفرج، ولا نستعجل الإجابة، ولا نستحسر فندع الدعاء، ولنقل بلسان حالنا ومقالنا لربنا:

أنت الملائذ إذا ما أزمته شملت	وأنت ملجأ من ضاقت به الحيل
أنت المنادى به في كل حادثة	أنت المجيب وأنت الذخر والأمل
أنت الرجاء لمن سُدت مذاهبه	أنت الدليل لمن ضلّت به السبل
إننا قصدناك والآمال واقعة	عليك والكل ملهوف ومبتهل

فيا ربنا يا سامع دعائنا، وعالمًا بشكواننا، وببيدك وحدك كشف بلواننا، ادفع عنا هذه الفتنة سالمين، وأخرجنا من وهجها ناجين، وإذا أردت فتنة بعبادك فاقبضنا إليك

غير مفتونين،

إله الحق، انصر الحق وأهله، واخذل الباطل وحزبه، واجعل ولايتنا فيمن خافك

واتقاك، واتبع رضاك يا أرحم الراحمين.

هذا وصلوا وسلموا على سيد البشرية....

## العفاف ذلك الكنز الثمين (١)(٢)

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونَنَّ إِلَّا وَانْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ؕ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فيا أيها الناس، إن الفضيلة شيمة نبيلة، وحلية كريمة جليلة، تتصف بها النفوس الأبية العلية، وتزرع منها الأعمال والأخلاق الزكية البهية، والرذيلة جربٌ على وجوه

(١) ألقى في مسجد ابن الأمير الصنعاني- صنعاء، في ١٩/٤/١٤٣٤هـ، الموافق ١/٣/٢٠١٣م.

(٢) هذه ست خطب متسلسلة خطبت بها عن العفاف: وسائل حفظه، ومعاول هدمه، تناولت فيها أربع وسائل ومن وسائل حفظ العفاف داعياً إلى التمسك بها، ومعوولين من معاول هدم العفاف محذراً من سلوك طريقها، وقد استفتحت هذه السلسلة بخطبة تحدثت فيها عن العفاف عموماً.

النور السائر من خطب المنابر

أصحابها، وعار وشنار على متبعيها وطلابها، لا تتحلى بها إلا النفوس الدنية التي تباعدت عن العز والشرف، فزرعت فيها الهوان والسقوط، وأوردتها أسفل سافلين.

عباد الله، إن أهل الفضيلة يعيشون في رياض وارفة من الطهر والسعادة، وأما أهل الرذيلة فهم غارفون في الخطيئة وقابعون في سجون الغموم والقلق والخوف، فلذاتهم عابرة، وشقاوتهم دائمة، ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [آل عمران ١٨٢].

أيها المسلمون، إن من صور الفضيلة السامية: الحفاظ على الأعراس، وصيانتها من كل ما يחדشها ويشينها، فالعرض عند العاقل وعند العربي وعند المسلم خط أحمر، لا سماح بالجولان حول حماه، والتعرض لهتكه وخذشه، ولو أهلكت له الأموال، وأريققت - في الحفاظ - عليه الدماء، وتبعثرت لأجله الإشلاء، قال رسول الله ص: (...ومن قاتل دون أهله فهو شهيد)<sup>(١)</sup>.

ولأهمية الحفاظ عليه، وخطر التفريط فيه كان من الكليات الخمس التي جاء الإسلام للمحافظة عليها، وحراستها من كل صائل عليها.

أما الكرماء في بذله، والمتساهلون في الذود عنه ودفع الصائلين عليه فهم أهل ديانة ودناءة، وسفول وقماءة، ينتهي بهم هذا الطريق المعوج إلى لعنة الزمان، وغضب الرحمن، واحتقار عقلاء بني الانسان، قال رسول الله ص: (ثلاثة لا يدخلون الجنة،

(١) رواه أبو داود والنسائي، وهو صحيح.

ولا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاق والديه، والمرأة المترجلة، المتشبهة بالرجال، والديوث<sup>(١)</sup>.

عباد الله، إن العفاف والطهر هو أسمى صورة للحفاظ على الأعراض، فالعفاف عزة ونقاء، وطهارة وبهاء، وسعادة وهناء. وهو لذة مستمرة، وزينة باقية، وجنة واقية، وحصن منيع.

وهو راحة وأمان، واستقرار واطمئنان، وحياة رغدة سعيدة، وعيشة مملوءة بالهدوء والنعمة الظليلة. وهو صحة وسلامة، وغنى وقوة، وجنة تفوح منها نسائم السمعة الطيبة والذكر الحسن. ويبقى بين الناس العقلاء الأصحاء خصلة حميدة، وخلقاً جميلاً، وأدباً أصيلاً، يحفظ الرجال والنساء، والصغار والكبار، والأفراد والجماعات من شقاء الدنيا والآخرة.

عفافُ المرء بين الناس عزٌّ      وفخرٌ في الحياة وفي الممات  
وشمسٌ لا تُغيّبها الليالي      وحصنٌ من سهام الموبقات  
فلا تبرحِ حمَاه إلى الدنيا      فتهلك في أتون المهلكات

أمة الطهر والعفاف، إن الثورة على الدين الصحيح، والأخلاق الحميدة التي قادتها الحياة المادية المعاصرة قد وصلت بمعاولها إلى جدار العفاف، فهدمت منه ما هدمت، وخدشت منه ما خدشت، فشجّعت على الجريمة الجنسية، والانحراف

(١) [رواه أحمد والنسائي، وهو صحيح.

النور السائر من خطب المنابر

الأخلاقي، بل وقتت للفاحشة وأهلها، وفتحت لهم أماكن الدعارة من مراقص وملاهي وفنادق، وشواطئ، وغير ذلك وحرسها ليأمن مجرموها في الجريمة. بل صار الحال في بعض البلدان أن كل شيء له ثمن إلا الأعراس!

ونظراً لانتصار الكفار في الحياة المادية، وامتلاكهم وسائل التأثير والسيطرة بدأوا يصدرون قدرهم ونجسهم إلى بلدان المسلمين سراً وعلناً تحت مسميات مختلفة.

أو ذهب بعض المسلمين إليهم مستورداً: إما بتجارة وإما بدراسة وإما بعمل وإما بغير ذلك، فرجع إلى قومه وبلاده ليجرح العفاف أو ينحره بقوله أو بفعله.

عند ذلك رفعت الفاحشة رأسها، وطفقت تفتش بين المسلمين حتى صارت ظاهرة في بعض بلدانهم، وأصبحت مظهراً من مظاهر التقدم والتطور - زعموا -، وأضحى الحياء والطهر والعفاف صورة من صور الرجعية والتأخر، هكذا يقولون أو يظنون، ألا ساء ما يحكمون.

فسبحان الله! كيف تغيرت المفاهيم، وانقلبت الفطر كما انقلبت فطر قوم لوط فلاموا لوطاً ومن معه على العفاف والطهارة، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ﴾ [الأعراف ٨٢].

قال بعض الأدباء: " كانت العفة في سقاء من الحجاب موكوء فما زال عطشى الرذيلة يثقبون في جوانبه كل يوم ثقباً، والعفة تتسلل منه قطرة قطرة، حتى تقبض الوكاء وتكرش، ثم لم يكفهم ذلك حتى أرادوا أن يجلّوا وكاءه حتى لا تبقى فيه قطرة

واحدة".

أمة الإسلام، إننا بحاجة إلى الحديث في هذه الموضوع المهم؛ حفظاً لأعراضنا، وصيانة لمجتمعاتنا، ومعذرة إلى ربنا؛ لعل أصحاب الرذيلة إلى ربهم يرجعون، وجميع المسلمين يعون الخطر فيتنبهون.

وإن الشر- بدأ يتفاقم على المجتمعات الإسلامية المحافظة على عفافها كهذا المجتمع الذي نعيش فيه، فظهرت أعمال، وأقيمت متدييات، وسوقت دراسات قانونية لإقرارها وإلزام الدولة بها، لتصبح الجريمة بعد ذلك محمية بالقانون!

أيها المسلمون، إن دين الإسلام دين العفاف والطهارة؛ لأنه مصلحة في عاجل الناس وآجلهم، وإن بقاءهم في سلام مرهون ببقاء العفاف فيهم، والناظر في هذه الشريعة المحمدية يرى أن الإسلام يدعو إلى التمسك بالعفاف، والحفاظ عليه، والدفاع عنه من كل صيالة.

يذكر أحد الدعاة في بلاد الغرب أن امرأة ألمانية جاءت لتعلن إسلامها بين يديه فسألها -قبل أن تعلن الشهادة؛ ليعلم دوافع إسلامها وصدقها في ذلك؛ فإن حالنا نحن المسلمين لا يسر- حبيباً، قال: ما سبب إسلامك؟ فقالت: أنا أسلمت؛ لأن الإسلام دين العفة، ثم ذكرت قصة حدثت كانت سبباً لإسلامها.

عباد الله، إن الإسلام لا يجارب الفطرة الجنسية، ولكنه يوظفها التوظيف الصحيح، فقد دعا الإسلام إلى الزواج؛ لأنه أعظم وسيلة لقضاء الوطر من غير خطر

النور السائر من خطب المنابر

على البشر، فقال تعالى: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾ [النساء: ٣].

وحدث في الزواج على اختيار الزوج والزوجة الصالحين، فالعفيف هو الذي يقبل به أولياء المرأة زوجاً لموليتهم، والعفيفة هي التي يقبلها المسلم العاقل زوجة له، قال رسول الله ص: (تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، وجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك) (١).

وقال: (إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض) (٢).

فالفاحش الزاني لا يزوج من بنات المسلمين، والفاحشة الزانية لا يرغب فيها ذوو الشرف والطهارة من أهل الإيمان حتى يتوبوا إلى الله توبة نصوحا قال تعالى: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٣].

إن الإسلام يدعو -عند العجز عن الزواج- إلى الصبر والصوم طلباً للعفة، قال تعالى: ﴿وَلَيْسَتَعَفِيفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النور: ٣٣].

(١) متفق عليه.

(٢) رواه الترمذي وابن ماجه، وهو حسن.



وقال رسول الله ص: (ومن يستعفف يعفه الله)<sup>(١)</sup>.

وقال: (يا معشر- الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج؛ فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم؛ فإنه له وجاء)<sup>(٢)</sup>.

والإسلام يأمر المسلم والمسلمة بغض البصر- وعدم إطلاقه، قال تعالى: ﴿قُلْ لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾، وَقُلْ لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴿النور ٣٠-٣١﴾؛ لأن البصر رائد الفجور وطريق الشرور.

والإسلام يدعو الرجل إلى الغيرة على حرمانه ونسائه، قال سعد بن عبادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا رسول الله، لو رأيت رجلا مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح، فبلغ ذلك رسول الله ص فقال: (أتعجبون من غيرة سعد! والله لأنا أغير منه، والله أغير مني، ومن أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن)<sup>(٣)</sup>.

فالرجال أساس عفة النساء، فإذا عفوا وغاروا حافظت النساء على عفافهن، وإذا فحشوا فالنساء تبع لهم، قال رسول الله ص: (بروا آباءكم تبركم أبناءكم، وعفوا تعف نساؤكم)[رواه الحاكم والطبراني].

قال الغزالي: "ثمرة الحمية الضعيفة قلة الأنفة مما يؤنق منه من التعرض للحرم

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه.

النور السائر من خطب المنابر

والزوجة، واحتمال الذل من الأخصاء، وصغر النفس، والقماءة، ومن ثمراته: عدم الغيرة، وإنما خلقت الغيرة لحفظ الأنساب، ولو تسامح الناس بذلك لاختلطت الأنساب؛ ولذلك قيل: كل أمة ضعفت الغيرة في رجالها ضعفت الصيانة في نساءها".

وينسب للشافعي أنه قال:

عفوا تعف نساؤكم في المحرم      وتجنبوا ما لا يليق بمسلم  
إن الزنادين فإن أقرضته      كان الزنا من أهل بيتك فاعلم

وحفاظاً على العفاف فإن الإسلام يدعو الأبوين إلى تربية البنين والبنات ابتداءً بالقدوة الحسنة: الأب للأبناء، والأم للبنات، ثم بالمراقبة والمتابعة، فاليوم جيوش الفاحشة والرذيلة ومحاربو العفاف والفضيلة يصلون إلى البيوت من غير سلاح عبر القنوات الفضائية، ومواقع النت الإباحية، وصفحات الاتصال الاجتماعية، والمكالمات الهاتفية، ورسائل الجولات الوقحة.

فلينظر الأب والأم ماذا يُعرض في البيت، وماذا يفعل الأبناء والبنات قال تعالى:  
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ  
غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم ٦].

وحفظاً لعفة المرأة وسلامتها دعاها الإسلام إلى لزوم بيتها، وأن لا تكون خراجة ولاجه إلا الحاجة قال تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ  
الْأُولَى...﴾ [الأحزاب ٣٣].

ونهاها عن التبرج والسفور وإبداء المفاتن والتلاعب بالحجاب، واختيار الملابس والأحذية والحقائب التي تجذب أعين الناظرين فقال تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور ٣١]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِينَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب ٥٩].

ونهاها عن الخضوع بالقول وترقيق الصوت وتمليحه لينال إعجاب الرجال، فقال تعالى: ﴿إِنْ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [الأحزاب ٣٢].

وحفظاً للمرأة من مفترسي البشر نهاها الإسلام عن السفر بلا محرم، وعن الخلوة برجل ليس زوجاً ولا محرماً فقال رسول الله ص: (لا يحل لامرأة أن تسافر ثلاثاً إلا ومعها ذو محرم منها)<sup>(١)</sup>. وقال ص: (إياكم والدخول على النساء، فقال رجل من الأنصار يا رسول الله، أفرأيت الحموم؟ قال: الحموم الموت)<sup>(٢)</sup>.

ومن الخلوة ما يحدث في أماكن العمل بين الموظف والموظفة منفردين، وما يجري في وسائل المواصلات كسيارات الأجرة بين السائق والراكبة وحدهما.

أيها المسلمون، إن من حرص الإسلام على عفة المجتمع أنه شرع إقامة الحدود على الزناة والزواني، ومرتكبي جريمة اللواط، فقال تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

النور السائر من خطب المنابر

كُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةٌ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ  
الْآخِرِ وَلَيْشْهَدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿النور ٢﴾. وقال في المحصن في الآية المنسوخة  
لفظاً الباقية حكماً: ﴿الشيخ والشيخ إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله﴾.

وأقام رسول الله هذا الحد بنفسه على مرتكبيه كما في قصة ماعز، وقصة الغامدية،  
وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: (من وجدتموه يعمل عمل قوم  
لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به) (١).

والحدود زواجر تردع الناس عن فعل الكبائر.

أمة العفاف والطهر، إن العفاف في الدنيا شجرة ثمراتها: تقوية عود الحياء بين  
الرجال والنساء، ورسول الله ص يقول: (الحياء لا يأتي إلا بخير) (٢).

ومن ثمراته: الرفعة، وطيب السمعة بين الناس، ونيل اللذة بالحلال، فيوسف  
عليه السلام حينما قالت له امرأة العزيز: هيت لك فقال معاذ الله، فإن الله رفع شأنه،  
وجعله على خزائن مصر، وفي بعض الأخبار أن العزيز مات فتزوجت زوجته بيوسف،  
والله أعلم، فما عرض بالحرام ناله بالحلال، ومن ثمرات العفاف: صلاح البيوت  
وسلامتها من الحرام وتلطيف الفرش، فمن حافظ على أعراض الناس دافع الله عن  
عرضه، والجزاء من جنس العمل.

عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنْ فَتَى شَابَا أْتَى النَّبِيَّ ص فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ

(١) رواه الترمذي وأبو داود وابن ماجه، وهو صحيح.

(٢) متفق عليه.



لي بالزنا! فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه مه، فقال: (أدنه، فدنا منه قريباً، قال: فجلس قال: أتحبه لأملك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم، قال: أفتحبه لابنتك؟ قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم، قال: أفتحبه لأختك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم، قال: أفتحبه لعمتك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم، قال: أفتحبه لخالتك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم، قال فوضع يده عليه وقال: اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحسن فرجه فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء)<sup>(١)</sup>.

ومن الثمرات اليانعة والنافعة في الآخرة للضعيف والضعيفات الاستغلال بظل الله يوم القيامة قال رسول الله ص- كما في الصحيحين-: (سبعة يظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله،.... ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله).

ومن أعظم الثمرات: دخول الجنة والنجاة من النار قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِغُرُوحِهِمْ حَافِظُونَ، إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ، فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ، أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ، الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون ٥-١١].

(١) رواه أحمد، وهو صحيح.

النور السائر من خطب المنابر

فما أحسن أثر العفاف والصيانة، وأعظم عوائده النافعة! وطوبى للعفيفين  
والعفيفات، وهنيئاً لهم بالفوز بحسن السيرة، ونيل الدرجات في الجنات.  
فنسأل الله الهدى، والتقوى، والعفاف، والغنى، ومن العمل ما يرضى.  
قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

## الخطبة الثانية

الحمد لله المنعم الرحيم، العفو الحليم، والصلاة والسلام على النبي الكريم، وعلى آله وصحبه أجمعين،  
أما بعد:

أيها المسلمون، إن بعض الناس لا ينتبه من غفلته، ولا يستيقظ من رقدته إلا وقد وقع الفأس على الرأس، وصال العدو على الفراش، فصار بعد ذلك يرقع الثوب بعد أن لم يستجب لنصائح الناصحين، ويتأمل في عظات الواقع المرير، وكان الأمر إليه لو حافظ على عفته وعفاف نسائه، فخرج الأمر بعد هذا من بين يديه، وأصبح أمام أعين الناظرين، وفي مسامع السامعين، ولربما قال عند الفضيحة: ﴿يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا﴾ [مريم 23].

إن تساهل الأبوين أو الزوجين أو الأبناء والبنات في إراقة ماء العفاف وخذش جدران الصيانة والنزاهة يسوق إلى شقاء الدنيا والآخرة.

فكم يبذل الإنسان للمحافظة على سمعته وسمعته أسرته من أموال وجهود، لكنه قد لا يفكر في أسباب الحفاظ على عفته وعفة زوجته وبناته وأبنائه وإزالة كل ما يחדش العفة فتحصل المصيبة، وتسود الوجوه بعد أن كانت مبيضة، وتُنكس الرؤوس بعد ما كانت مرفوعة، وتضيق الأرض بعد أن كانت فسيحة.

النور السائر من خطب المنابر

إن بعض الزوجات اللاتي ضعف خوفهن من الله وذهب حياؤهن إذا عرفت أن زوجها فارق حصن العفاف وصار له عشيقات وخليلات يعاشرهن بالحرام فإنها قد تخون زوجها وتلطح فراشه جزاء خيانتته، وهذا فعل شائن، وعقوبة غير مشروعة. لكن أقول: من أراد بقاء عفاف زوجته فليكن عفيفاً، ومن رام طهارة فراشه فليكن شريفاً نظيفاً.

عباد الله، إن بعض المشكلات الأسرية في المجتمعات خصوصاً المشكلات الزوجية منها قد تكون بسبب ضعف المحافظة على العفة، فقد يكون الطلاق والشجار واللعان والعداوات نتائج طبيعية لقلّة المبالاة بالعفاف، وأحياناً تمتد المشكلات إلى القتل بين الزوجين أو أقاربهما لهذا السبب، فهل فكر ضعفاء العفة في هذا!.

أيها المسلمون، إن من أفتك الأمراض المنتشرة في عصرنا: الأمراض الجنسية كالإيدز ونحوه؛ فإنه يموت في العام الواحد آلاف الناس بسببه، بل هناك إحصائيات مفزعة تقول إحداها: إن عدد المصابين بهذا المرض منذ اكتشافه إلى عام ١٩٩٦ م بلغ ٢٧ مليوناً، وعدد المصابين كل يوم ٨٥٠٠ مصاب، وهذه الأمراض إنما جاءت عقوبة معجلة من الله تعالى لأولئك الذين ركبوا قطار الفاحشة، وتركوا الحلال الطيب، ولا يظلم ربك أحداً.

قال رسول الله ص: (يا معشر- المهاجرين، خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون



والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المثونة وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقصوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلب الله عليهم عدوا من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم<sup>(١)</sup>.

معشر- الغيارى الكرام، إن حد الله لو أقيم على هؤلاء الجناة: رجماً للمحصن، وجلداً للبكر لقلت الفاحشة، وذهبت هذه الأمراض عن المجتمعات المسلمة حينما يرتدع الناس ويتركون سبل الغواية، لكن الحد لما عطل فشت الجريمة فجاءت الأمراض الفتاكة نتيجة حتمية لها.

أما عقوبة الآخرة فيقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا، يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا، إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان ٦٨-٧٠]، وفي صحيح البخاري أن رسول الله رأى في المنام -ورؤيا الأنبياء وحي- ثقباً مثل التنور أعلاه ضيق وأسفله واسع فيه لغط وأصوات فاطلع فيه فإذا فيه رجال ونساء عراة يأتهم لهب من أسفل منهم فسأل عنهم فقيل له: هم الزناة والزواني.

فيا أيها المسلمون، هذا نداء للقلوب الواعية، والعقول المفكرة الصافية، نداء لكل

(١) رواه ابن ماجه والحاكم والبيهقي وغيرهم، وهو صحيح.

النور السائر من خطب المنابر

من كان له قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد: الحفاظ الحفاظ على العفاف، والحذر والحذر من إهداره، وتعريضه للشمس المؤذية، والمآلات المخزية.  
فكن أيها الأب عفيفاً فأنت قدوة لأبنائك، وكوني أيتها الأم عفيفة فأنت قدوة لبناتك.

والابتعادَ الابتعادَ عن أسباب إذهاب العفاف وتحجيمه وتعريته: من مشاهدة المسلسلات، والتعلق بالصور والأغنيات الماجنات، ودخول المواقع الإباحية، وإقامة العلاقات المحرمة فقد يكون أول البلاء رسالة أو مكالمة، فاقطع الشر. عن نفسك من أوله، ولا تسلّم قلبك إلى كف غيرك؛ فالشهوة بحر مغرق، وشهاب محرق.

وأخيراً أقول: من بُلي بشيء مما يחדش العفة والحياء، رجلاً أو امرأة، فلا ييأس ولا يقنط وليرجع إلى رشده وصوابه، وإلى باب ربه تائباً منيباً، فالله يفرح بتوبة التائبين، وبكاء المذنبين المنيين بين يديه، وليستر نفسه ولا يحدث بجريمته إلا من يغفرها، ويرحمه على التوبة منها، والعزم على عدم العودة إليها، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر ٥٣]. نسأل الله أن يحفظ أعراضنا، ويستر عوراتنا، ويؤمن روعاتنا، ويكفيننا بحلاله عن حرامه، ويغنينا بفضله عن سواه.

وصلوا وسلموا على خير البشرية.....

## الزواج طريق إلى العفاف (١)

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ؕ وَلَا تَمُونَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَنَحْوَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

(١) ألقى في مسجد ابن الأمير الصنعاني، صنعاء، في ١٠/٥/١٤٣٤هـ، الموافق ٢٢/٣/٢٠١٣م.

النور السائر من خطب المنابر

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ [النساء: ١]. ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا  
 اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ  
 فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فأيها المسلمون، اعلموا -رحمني الله وإياكم- أن الزوج الشرعي بأركانه وشروطه  
 المعروفة وسيلة عظيمة من وسائل حفظ حصن العفاف من التصدع والانهار؛ فإن الله  
 قد فطر الرجل ميلاً إلى المرأة، والمرأة ميلاً إلى الرجل، وكيف لا يكون ذلك والرجل  
 أصل المرأة، والمرأة فرع مخلوق من الرجل الأول: آدم عليه السلام قال الله تعالى:  
 ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً  
 وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ [النساء: ١].

وهذه الجبله والفترة بين الذكر والأنثى هي التي حفظت الإنسانية من الانقراض  
 والفناء، وأمدتها بالتكاثر والبقاء.

ولا عيب في هذا الميل المتبادل بين الجنسين؛ لأنه: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ  
 عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠].

وإنما العيب فيه حين تستولي هذه الفترة الجنسية على لب صاحبها ذكراً أو أنثى  
 فتجمع به للجنوح عن الطريق السوي الذي شرعه الله الحكيم الخبير لقضاء الوطر  
 فيحيد عنها ليسلك مسالك الرذيلة، ويلج موالج القدر وقتل الحياء والعفاف

والفضيلة.

ولا ريب -يا عباد الله- أن الانحراف بهذه الفطرة عن الطريق المشروع قد لقي في عصرنا ترويجاً وتشجيعاً وقُدَّ أصحابه نياشينَ التقدم والتطور والنور. ويعلم رواده -قبل غيرهم- أنه طريق الفناء والشقاء بما يجلبه من الأمراض الجنسية القاتلة من الإيدز والزهري والسيلان وغيرها، وإن الأيام حبالى بكوارث أخرى نتيجة انتهاج هذا الطريق المعوج، وورود هذا المستنقع الآسن، غير أن المستقين -مع هذا- في ازدياد وتماد.

ولكن:

إذا ذهب النهى الوضء أضحت فعأل المرء أشبه بالجنون

أيها المسلمون، إن الله شرع لخلقهِ طريقاً مستقيماً نظيفاً لأداء متطلبات هذه الفطرة، فشرع لهم الزواج المتعارف عليه بين البشر، على اختلاف الشرائع في تحديد طرق إنشائه واستقراره، ليخلد بيننا -نحن المسلمين- على الكيفية التي جاء بها رسولنا محمد ص، بولي وشاهدين، ومهر مقدم من الزوج للزوجة.

ولذا فالزواج في الإسلام اطمئنان واستقرار، وراحة وهناء، وطهارة ونقاء، وعزة ورفعة، وإحصان وعفة، وغض للبصر. عن الحرام قال رسول الله: (يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج؛ فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع

النور السائر من خطب المنابر

فعلية بالصوم؛ فإنه له وجاء<sup>(١)</sup>.

والزواج مودة وسكن يجمع قلبين في عش واحد دون سابق عهد باللقاء؛ فتنبت بينهما الرحمة والوفاء، وبذلك يكون آية من آيات الله في خلقه قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم ٢١].

والزواج حفظ للأنسب، ووسيلة للتآلف والاجتماع بين الأسر المتباعدة؛ فبه تصبح تلك الأسر متآزرة قوية.

والزواج بناء لأسرة جديدة في المجتمع تحفظه من الفواحش، وترفده بالعطاء السخي من الأعمال النافعة، والذرية الصالحة؛ فإن الزوج يشعر بالمسؤولية فينطلق لطلب الرزق والعمل فينفع نفسه، وينفع مجتمعه بدلاً من الفراغ القاتل الذي يعانيه بعض العاطلين عن الزواج.

والزواج تكثير للأمة المحمدية كما قال رسول الله ص: (تزوجوا الودود الولود؛ فإني مكاثر الأنبياء يوم القيامة)<sup>(٢)</sup>.

وقد أدرك أعداء هذه الأمة خطر تكاثرها عليهم، فراحوا يعملون كل الأسباب التي تحذ من فيضان أعداد أمة محمد ص، وكثرة الخصوبة البشرية فيها.

(١) متفق عليه.

(٢) رواه أحمد وابن حبان وغيرهما، وهو صحيح.

والزواج سبيل الصالحين، واتباع لسنة المرسلين، والانقطاع عنه، والزهد فيه شعار الجاهلين، وطريق المخفقين في حياتهم، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد ٣٨]، وفي الصحيحين من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ نَفْرًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلُوا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ عَمَلِهِ فِي السَّرِّ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَتَزُوجُ النِّسَاءَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَكُلُ اللَّحْمَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَنَامُ عَلَى فِرَاشٍ. فَحَمَدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ. فَقَالَ: (مَا بِالْأَقْوَامِ قَالُوا: كَذَا وَكَذَا! لَكِنِّي أَصْلِي وَأَنَامُ، وَأَصُومُ وَأَفْطِرُ، وَأَتَزُوجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَن سِتِّي فَلَيْسَ مِنِّي).

أمة العفاف والطهر، إن الزواج في الإسلام يقوم على قواعد راسخة لتحقيق غايات حميدة سامية، فهو ليس التقاءً أنياً لقضاء الشهوة كما تفعل المخلوقات الأخرى، وإنما هو التقاء دائم لإنشاء لبنة ناصعة جديدة في جدار المجتمع النقي، وعشرة سعيدة، وسلوكها المعروف المتبادل، قال الله تعالى: ﴿وَعَاشِرُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء ١٩]. وقال: ﴿وَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة ٢٢٨].

وليس الزواج في الإسلام إهداراً للكائن البشري، وتضييعاً لوسيلة نموه وبقائه، بل هو قضاء للوطر، وبذر لكائن جديد من البشر. يعقب أباه بعد انتهاء العمر لتستمر حياة الناس.

ولهذا حث الإسلام على استثمار الزواج بالذرية الصالحة التي تنفع الأبوين بعد

النور السائر من خطب المنابر

موتها، قال رسول الله ص: (إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له)<sup>(١)</sup>.

وليس الزواج في الإسلام تضييعاً للمرأة كما هو الحال في المجتمعات الكفرية، ومن يحدو حدوها، وليس جعلاً للمرأة مطية للتمتع، فإذا انتهت الاستفادة منها أهينت وضاعت وجاعت، بل الزواج في الإسلام إكرام للمرأة، وحفظ لها، وإنفاق عليها، ورعاية لها صغيرة وكبيرة حتى الموت.

ولهذا حث الإسلام على الإحسان إلى النساء فقال رسول الله ص: (استوصوا بالنساء خيراً)<sup>(٢)</sup>.

وجعل النفقة على الزوجة من الأعمال المأجور عليها إذا صلحت النية قال رسول الله ص: (وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت فيها، حتى ما تجعل في في امرأتك) [متفق عليه]، وبين ص أن خير الناس خيرهم لأهلهم، فقال: (خيركم خيركم لأهلهم، وأنا خيركم لأهلي)<sup>(٣)</sup>.

هذا -يا عباد الله- هو الزواج في الإسلام، إنه تحصين وبناء، وإكرام ونماء، وأمان وصحة وهناء.

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه الترمذي وابن ماجه وابن حبان، وهو صحيح.



إن الزواج سحابة هتانةٌ      تسقي الحياة جلاءها وهناءها  
تكسو النفوس بطلّ لها إشراقاً      تُهدي الوجوه ضياءها وسناءها  
تأسو جراح الأرض حين سخائها      ولها تكون دواءها وشفاءها

ومن هنا نعلم -إخواني الكرام- قبَحَ وخطر وضرر العلاقات الجنسية المحرمة على الفرد والمجتمع والإنسانية كلها.

ونعلم كذلك أن أي علاقة -ولو سُميت زوجية- خلت من أركان وشروط النكاح في الإسلام ومقاصده السامية فهي علاقة وارتباط لا تقره شريعة الإسلام النقية.

ومن ذلك ما ظهر أخيراً وعُرف باسم الزواج العرفي الذي يقوم على اتفاق رجل وامرأة على الزواج دون ولي من أقارب المرأة، ودون مهر من قبل الزوج. وإنما مقصده: المعاشرة الجنسية، ليستمر هذا الارتباط المحرم أياماً أو شهوراً ثم يلقي الرجل المرأة بعد ذلك ليبحث عن فريسة أخرى، لتصبح المرأة هي الضحية في النهاية حينما نحرت عفافها، وفضحت أهلها، ودمرت مستقبل حياتها، خاصة لو حصل هناك حمل.

أيها المسلمون، إن البعد عن الزواج -ممن تيسرت له أسباب الزواج وليس لديه موانع شرعية أو صحية- نذير شؤم، وعنوان هلاك؛ فإن الفطرة مهما دفنت فإنها ستنبعث من جديد، ولو طالت السنون، وتنتصر- على صاحبها ولو تكاثفت الموانع،

النور السائر من خطب المنابر

فإن وجدت حلالاً وإلا فستذهب في طريق الشذوذ والانحراف والفاحشة من زنا أو لواط وعادة سرية مقبولة، وعند ذلك تحل المصائب وتعم الكوارث.

كم أثمر البعد عن الزواج - مع القدرة عليه - من تجاوز بعض الشباب سنَّ الطاقة والفتوة والقوة، وأوصل بعض الشباب إلى سجن العنوسة، وفوات قطار الزواج، وهناك إحصائيات مهولة لظاهرة العنوسة في المجتمعات المسلمة وخاصة المتقدمة منها.

وقد نتج عن ذلك أمراض نفسية وانتحارات وانحرافات كثيرة.

ولو سلك الناس منهج الإسلام لما أصبحت هذه الأمور ظواهر مخيفة بين أهل الغيرة والطهر.

أمة الإسلام، إن أعداء هذه الأمة لا يريدون طهارتها وتكاثرها وصلاحها؛ ولهذا فقد سعوا بجهود كبيرة وأعمال كثيرة لتصبح مجتمعاتنا منحلّة كمجتمعاتهم، تُربى فيها الجريمة، وتوآد فيها الفضيلة والعفة.

ففي أمريكا تعرف ولاية لوس أنجلوس بأنها عاصمة حوادث الاغتصاب في العالم، وتعتبر واحدة من كل ثلاث فتيات معرضة للاغتصاب، وفي تقرير نشرته وزارة العدل الأمريكية عن جرائم ١٩٧٧م جاء فيه: تغتصب فتاة كل ثمان دقائق في الولايات المتحدة، وارتكبت خلال ذلك العام ٦٣,٠٢٢ جريمة اغتصاب. وذكرت إحصائية جديدة أنه يتم اغتصاب ١٩٠٠ فتاة يومياً في أمريكا. و٢٠٪ يغتصبن من قبل آبائهن،

وفي إحصائية أخرى صدرت في أمريكا عام ١٩٩٧م أنه في كل ثلاث ثوان تغتصب امرأة أي: بمعدل ٢٠ حالة في الدقيقة.

فيا أمة العفاف، هذا في جريمة الاغتصاب فقط، فكيف بالجريمة التي قامت على التراخي والتوافق! إنها أكثر من ذلك بلا شك.

عباد الله، إن أعداء هذه الأمة قد روجوا مفاهيم خاطئة بين المسلمين عن الزواج، ومن ذلك: أهمية تأخير الزواج على التعليم والصحة ونحو ذلك، وأن الشاب والشابة لا يتزوج إلا بعد إنهاء دراسته أي: بعد أن تذهب زهرة العمر، خصوصاً المرأة، حيث يقل الراغبون فيها بعد تقدمها في السن.

والعاقل من الفتيات تعلم أن شهادتها الحقيقية أن تكون زوجة، وأن مستقبلها المشرق أن تكون أمماً. والعاقل من الشباب يعلم أن استقراره النفسي، وتقدمه الدراسي يكون بالزواج لا بتركه، إذا كان قادراً عليه.

عباد الله، إن الكلام في الزواج المبكر لم يعد في أيامنا -وخاصة في بلادنا- ترويحاً بل يراد سنه قانوناً يُجرّم من يخالفه، وهذا التوجه المشبوه يعد جريمة في حق الحياة والأحياء.

فلو كانت هذه المنظمات الداعية إلى هذا صادقة وحريصة على المرأة في هذه البلاد وغيرها فلتساهم في مساعدة النساء العوانس اللاتي قد بلغن الثلاثين والأربعين فلتبحث لهن عن أزواج، وتكوّن لهن أسراً سعيدة، وتخرجهن من كآبة الحزن. لكننا لم

النور السائر من خطب المنابر

نسمع إلى الان أن هذه المنظمات تقوم بمثل هذا العمل لتعف المجتمع.

إن على المسلم أن يعلم أن ابنه أو ابنته متى ما بلغا بأي علامة من علامات البلوغ فقد صارا صالحين للزواج، فلا يؤخرهما ما دامت الأحوال صالحة لذلك. نعم، لا يمكن أن تأتي هذه المنظمات الكاذبة لتكون أرحم بالإنسان من خالق الإنسان سبحانه وتعالى الذي أباح للإنسان الزواج متى ما بلغ.

أيها المسلمون، إن هناك معوقات قد تقع في طريق الزواج أمام الراغبين فيه، ألا وإن شبح هذه المعوقات ومقدمها: شبح غلاء المهور وكثرة تكاليف العرس.

فأقول: على الآباء أن يعلموا أن البنات لسن تجارة للبيع، من جاء بالأكثر تزوجهن، وإلا قعدن في البيوت حتى تغلو السوق، إن حنان الأبوة يحمل الأب على إسعاد ابنته، فإذا وجد لها طالباً فإنه لا ينظر إلى ماله، بل إلى دينه وخلقه، فأنت أيها الأب إذا وجدت لبنتك خاطباً صالحاً فقد كسبت ابناً جديداً إذا زوجته، ولو أعتته من مالك، وإن جاءك غير صالح فزوجه فقد خسرت بنتك ولو دفع لك مالا كثيراً.

ثم ليعلم الأب والبنت والأسرة كلها أن الزواج السعيد ليس بالمباهاة بكثرة الذهب والملابس والحفلات والصلوات، فمصلحة البنت بالزواج - ولو قلت هذه الأمور - أولى من البقاء في كهف العنوسة المظلم.

أيها المسلمون، إن بعض الفتيات عندهن حرص على الزواج، لكن قد تحصل منهن بعض الأخطاء في سبيل الوصول إليه، ومن أخطر ذلك عليهن:



إقامة العلاقات قبل الزواج للتعرف عبر الاتصالات والرسائل واللقاءات، ولو بعد الخطبة إذا لم يكن هناك عقد، فكم من فتاة خسرت عفتها وأعظم ما تملك في حياتها قبل أن تصل إلى زوجها. وكم من فتاة ألقاها من كانت تحبه وتتواصل معه قبل الزواج في مهيب الأسى وشواطئ البكاء، وقال لها: أنت لا تصلحين أن تكوني أماً لأولادي، وقد عملت هذه الأعمال؛ فأخشى أن تصير بناتي مثلك.

ويقول الآخر بعد أن نال ما يشتهي: لا أريد أن أتزوجك؛ لأنك قد خرجت معي، وستخرجين مع غيري إذا تزوجتك، ويقول الثالث -بعد أن قضى- وطره وحاجته منها: كيف أتزوجك؛ فربما تخونيني بعد الزواج مثلما خنت أهلك ونفسك. هذه الأقوال-يا عباد الله- حقائق، وليست مقالات خيالية، وفي الواقع أكثر من ذلك.

نسأل الله تعالى أن يحفظنا، ويحفظ نساءنا وبناتنا.

بارك الله لي ولكم بالقرآن العظيم، ونفَعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، قلت ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

أيها المسلمون، ذكرنا في أول الخطبة أن الزواج أعظم وسيلة للعفاف فكيف يكون كذلك؟

يكون الزواج وسيلة للعفاف إذا حصل حسن الاختيار بين الزوجين، فيختار الزوج الزوجة التي تملأ عينه وقلبه، وتعف نفسه، وتحفظ شرفه وأولاده، وكذلك تفعل المرأة.

مع العلم أن الحصول على زوجة أو زوج توفرت فيه جميع صفات الكمال المطلوبة غير ممكن، ولكن إن كره منها شيئاً رضي منها آخر؛ ولذلك جاء الحث في الشريعة على استحباب النظر بين الخاطبين فتنظر إليه، وينظر إليها حتى يستقر الاختيار، فعن المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: (أَتَيْتَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرْتُ لَهُ امْرَأَةً أَخْطَبَهَا فَقَالَ: "اذهب فانظر إليها؛ فإنه أجد أن يؤدم بينكما"، قال: فأتيت امرأة من الأنصار فخطبتها إلى أبويها، وأخبرت بها بقول رسول الله ص فكأنها كرها ذلك، قال فسمعت ذلك المرأة وهي في خدرها فقالت: إن كان رسول الله ص أمرك أن تنظر فانظر، وإلا فإني أنشدك، كأنها عظمت ذلك عليه، قال فنظرت إليها فتزوجتها، فذكر من

موافقتها<sup>(١)</sup>.

ومعايير الاختيار قد بينها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي: الدين والخلق.

ويكون الزواج وسيلة للعفة حينما يؤدي كل من الزوجين حقوق الآخر، فمن حقوق الزوج على زوجته: طاعته في غير معصية، وخدمته من دون مشقة غير محتملة، وإعفافه من غير إحواجه إلى غيرها، وتزيناها له، وحرصها على فعل وقول ما يرضيه.

ومن جانب آخر على الزوج أن يؤدي حق زوجته:

فمن حقوقها عليه: النفقة عليها بقدر ما أعطاه الله، وصيانتها وإعفافها بقدر الطاقة، وحسن معاشرتها بالقول والفعل.

وإذا عرضت مشكلة بينها فهناك حلول لها بيبتها الشريعة البديعة.

ويكون الزواج وسيلة للعفة-إذا لم تكف زوجة واحدة- بتشريع التعدد للرجل:

أن يتزوج أكثر من واحدة قال الله تعالى: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا﴾ [النساء: ٣].

والقوانين التي تجرم ذلك إنما تريد فتح أبواب الحرام للأزواج.

والنساء اللاتي يمتنعن أزواجهن ما أباح الله لهم إنما يعرضن أزواجهن للخطيئة،

(١) رواه أحمد والنسائي وابن ماجه، وهو صحيح.

أو الحبس في المعاناة، والكره للبقاء معهن.

فيا أيها المسلمون، هذا هو الزواج الذي شرعه الله تعالى ليكون سبيلاً إلى العفة والسعادة في الدنيا والآخرة، وقارنوا في هذه العلاقة العظيمة بين المجتمع المسلم والمجتمعات الكفرية التي تتجرع يوماً بعد يوم آثار الإباحية والانحلال الأخلاقي.

فكونوا-عباد الله- يد إعانة ومساندة لإنشاء الأسرة المسلمة القائمة على هذه القاعدة الثابتة. وفي هذا المقام يطيب لنا أن نشكر كل ساع وباذل ومنفذ لأي مشروع يجلب العفاف لليوت المسلمة، ومن تلك الأيدي البيضاء: المؤسسات والجمعيات الخيرية التعاونية التي تُعنى بهذا الموضوع، فبارك الله في جهودهم، وأجزل لهم المثوبة. ونسأل الله الهدى والتقوى والعفاف والغنى.

هذا وصلوا وسلموا على الرحمة المهداة، والنعمة المسداة محمد بن عبد الله....



## عفاف الطرف<sup>(١)</sup>

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ؕ وَلَا تَمُونَنَّ إِلَّا وَآنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].  
 ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ؕ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].  
 ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۗ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

أيها المسلمون، اعلّموا أن العين آية من آيات الله تعالى الدالة على قدرته وعظمته، وعلمه ورحمته، خلقها الله فأبدع خلقها، وأودع فيها عجائب صنعه من حسن الخلقة، ودقة الصنعة وبديع التكوين والتركيب، وعوامل البقاء والحفظ والحماية، وآيات الجمال والتزيين.

(١) أُلقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني، صنعاء، في ١٧ / ٥ / ١٤٣٤هـ، الموافق ٢٩ / ٣ / ٢٠١٣م.

ف:

سبحان من برأ العيونَ وزانها      وأقامها بين الجفون وصانها  
 وأنارها من فيض قدرته التي      أهدت لها دون البلاء أمانها  
 خلقت لتبصر- أي صنع إلهها      يا ويح من جعل الهوى ميدانها

عباد الله، خلق الله العينين ليرى الإنسان بهما هذا الكون بما فيه من دلائل الوجود للواحد المعبود جل جلاله، وبما فيه من علامات القوة والقدرة لخالقه القدير عز وجل، وبما فيه من مظاهر الحسن والجمال، ومتعة الإبصار والأنظار في خلق البديع الجميل سبحانه وتعالى.

وخلق الله العينين ليرى بها الإنسان منافعه ومصالحه، ويتعد بهما عن مضاره وما يجلب له الشر- في الدنيا والآخرة، ويكتسب بهما المعرفة والعلم قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل ٧٨].

ويعرف الإنسان قدر هذه النعمة أكثر حينما يفقد شيئاً منها، أو تذهب عليه كلها، أو عندما يرى الأعمى والأعور والأعشى والأعمش ومن به شيء من عيوب النظر؛ ولهذا يعظم أجر من أصيب بفقدها فصبر عليها، ففي الصحيحين قال رسول الله ص: (إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه - يريد عينيه - ثم صبر عوضته الجنة).

معشر المسلمين، إن البصر من أعضاء الإنسان التي يقع فيها الابتلاء والتكليف؛

فإن العبد قد يتقرب إلى الله تعالى بعبادات تقوم بها عيناه وقد يتعد عن الله بمعاصٍ تنشأ من هاتين العينين ولهذا يُسأل عنها يوم القيامة قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

أيها الأخوة الكرام، من العبادات التي تقوم بالعين: التفكير في خلق الله تعالى؛ لأن ذلك يهدي إلى التعظيم والاستقامة، فينظر في خلق السماوات والأرض قال تعالى: ﴿قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١].

وينظر إلى الحيوان والسماء والجمال والأرض قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ، وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ، وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ، وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية: ١٧-٢٠]، وينظر إلى النبات وثمرات الأشجار قال تعالى: ﴿انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ٩٩]، وينظر في كل ما على الأرض قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [العنكبوت: ٢٠].

ومن العبادات التي تأتي من العين: السير في الأرض والنظر في مصارع المكذبين ومنازل عذاب الله للمعرضين، قال تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٧]، ومن العبادات التي تحدث من العين: البكاء من خشية الله، والحراسة في سبيل الله قال رسول الله ص: (عينان لا

تمسها النار: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله<sup>(١)</sup>.

ومن العبادات التي تعملها العين: النظر في المصحف، وفي كتب العلم الشرعي

النافعة.

أمة الإسلام، وفي الجانب الآخر هناك معاصٍ تركبها العيون، فتوصل صاحبها إلى المعاطب والمصائب فمن تلك الذنوب التي تجترمها العيون: النظر إلى الآخرين باحتقار وسخرية وتنقص، والله تعالى يقول لنا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾ [الحجرات ١١].

ومن تلك الذنوب التي تجترحها العيون: النظر إلى ذوي النعمة بعين الحقد والطمع والحسد وتمني زوال النعم عنهم، وإرادة إصابتهم بالعين بما يضرهم ويؤذيهم، والعين قد تورد الرجل القبر والجمل القدر من تأثيرها.

ومن تلك الذنوب التي تجنيها العيون: التجسس على الآخرين وتببع أخبارهم من أجل الإضرار بهم قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ [الحجرات ١٢]، ففي الصحيحين قال رسول الله ص: (ولا تجسسوا).

ومن المعاصي التي تعصي- بها العيون خالقها: النظر في عورات الآخرين واستقراؤها، وجمعها من أجل إشهارها وإذاعتها كي يفضح أخاه بها أو يسخر منه بمعرفتها، أو جعل ذلك عامل ضغط عليه لتلبية مطالب معينة، سواء كانت هذه

(١) رواه الترمذي والحاكم، وهو صحيح.

العورات بادية أم عقلية أم عرضية أم غير ذلك، قال رسول الله ص: (لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ولا المرأة إلى عورة المرأة)<sup>(١)</sup>. وقال رسول الله ص: (يا معشر- من آمن بلسانه، ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم؛ فإنه من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته)<sup>(٢)</sup>.

ومن ذلك: إرسال البصر- إلى أبواب ونوافذ الناس وبيوتهم من أجل الشر، وقد أهدر الشرع الحكيم عين من فعل ذلك فعن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (اطلع رجل من جُحر في حُجْر النبي ص، ومع النبي ص مدرى يحك به رأسه فقال: (لو أعلم أنك تنتظر لطنعت به في عينك؛ إنما جعل الاستئذان من أجل البصر)<sup>(٣)</sup>

وقال ص قال: (لو أن رجلاً اطلع وقال مرة: لو أن امرأً اطلع بغير إذنك فحذفته بحصاة ففقت عينه ما كان عليك جناح)<sup>(٤)</sup>.

أيها المسلمون، ومن الذنوب العظيمة التي تذبها العيون: النظر إلى النساء غير المحارم، ونظر النساء إلى الرجال غير المحارم، وهذا موضوع حديثنا اليوم لارتباطه الوثيق بموضوع العفاف.

إخوتي الكرام، اعلموا أن الله تعالى أمر عباده رجالاً ونساءً بغض أبصارهم عن

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه أحمد وأبو داود، وهو صحيح.

(٣) متفق عليه.

(٤) رواه أحمد، وهو صحيح.

النور السائر من خطب المنابر

رؤية ما حرم عليهم إطلاق البصر. إليه الرجال إلى النساء والنساء إلى الرجال؛ خوف الوقوع في الحرام أو الفتنة أو الشبهة والريبة، وهذا من باب سد الذرائع فقال تعالى:

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ، وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور ٣٠-٣١].

فتأملوا معي في هذه الآية كيف خص الله المؤمنين بالأمر دون غيرهم، فالإيمان يدعوهم ويحملهم ذكوراً وإناً إلى ترك النظر إلى ما حرم عليهم في هذا الباب.

ثم كيف قال: (من أبصارهم)، ولم يقل: يغضوا أبصارهم؛ لأن (من) هنا للتبعض، فهناك نساء يجوز النظر إليهن كالمحارم، وأصناف أخرى سيأتي ذكرهن لاحقاً.

ثم كذلك ما الذي ذكره بعد غض البصر؟ إن الذي ذكره وعطفه على غض البصر. هو حفظ الفرج؛ ليدل على أن أول طريق حفظ الفرج غض البصر، فمن أطلق بصره في الحرام يُحش أن يطلق فرجه فيه.

والنظر المحرم زنا كما سماه رسول الله ص في قوله: (فزنا العينين النظر)<sup>(١)</sup>.

أيها المسلمون، إن نظر الفجأة من غير تعمد مع صرف البصر. عند حصوله ليس فيه إثم، إنما الإثم والخرج في تكرار النظر وتحديقه ومتابعته، قال رسول الله ص لعلي رضي الله عنه: (يا علي، لا تتبع النظرة النظرة؛ فإنما لك الأولى-أي: لا إثم عليك فيها-

(١) متفق عليه.

وليس لك الآخرة<sup>(١)</sup> أي: تؤاخذ على النظر بعد الفجأة لو فعلت. على النظر وفي صحيح مسلم عن جرير بن عبدالله قال: (سألت رسول الله ص عن نظر الفجاءة فأمرني أن أصرف بصري).

عباد الله، إن النظر المحرم سواء كان المنظور إليه بذاته الحقيقة أم صورت له صورة ثابتة أو متحركة في التلفاز أو الجوال أو السلع التجارية أو نحو ذلك كلها تأخذ حكم الحرمة، بل قد تكون الفتنة بالصورة أشد؛ لدوامها وقيام المحسنات والمجملات على تلك الصور.

أيها الناس، إن الله تعالى حكماً فيما حرم على عباده، عرفنا ذلك أو لم نعرفه، وكل ذلك في مصالح العباد العاجلة أو الآجلة أو كليهما، وقد نظر العلماء إلى كتاب الله وسنة رسوله وفي الواقع فرأوا حكماً كثيرة لهذا التحريم.

يقول ابن القيم رحمه الله: "والنظر أصل عامة الحوادث التي تصيب الإنسان، وفي هذا قيل: الصبر على غض البصر أيسر من الصبر على ألم ما بعده".

وقال القرطبي رحمه الله: "البصر- هو الباب الأكبر إلى القلب، وأعمر طريق الحواس إليه، وبحسب ذلك كثر السقوط من جهته، ووجب التحذير منه".

ويكفي في هذا قول الله: (ذلك أذكى لهم)، فإنها جملة جامعة لقللة المبنى وسعة المعنى، وعموم الفائدة والنفعة.

(١) رواه أحمد وأبو داود، وهو حسن.

النور السائر من خطب المنابر

إخواني الكرام، إن النظرة المحرمة تجيء بسبب ضعف الإيمان بالله ووعيده، وقلة الخوف وضعف مراقبة علام الغيوب الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور. وتأتي أيضاً من عدم القناعة بما قسم الله للإنسان من الحلال إذا كان متزوجاً، فالسعادة في بيتك أيها الرجل، فلا تبحث عنها في بيوت الغرباء.

ويأتي الإقدام على هذه المعصية من ضعف الشخصية، وقلة الصبر والرجولة حينما أسلم الإنسان بصره إلى ما حرم الله عليه.

عباد الله، إن النظر إلى ما حرم الله تعالى ليس في درجة واحدة في القبح، بل يختلف ناظراً ومنظوراً وزماناً ومكاناً، فالنظر من المحصن أقبح من البكر، ومن كبير السن أقبح من الشاب، ومن العالم أقبح من الجاهل، ومن القادر على العفاف أقبح من العاجز عنه، ومن المؤمن أقبح من غيره هذا بالنسبة للناظر.

أما بالنسبة للمنظور إليه فالنظر بشهوة -والعياذ بالله- إلى المحارم أقبح من النظر إلى الأجنبية، والنظر إلى الجارات أقبح من النظر إلى البعيدات، والنظر إلى المتزوجات أقبح من النظر إلى الخليات، والنظر إلى نساء من تربطك به صلة قرابة أو صهر أو صداقة أو وُد أقبح من النظر إلى نساء من خلا من ذلك.

وأما بالنسبة للزمان فالنظرة المحرمة في رمضان أقبح من غيره، وفي الحج أقبح من سواه كذلك، وأما في المكان، فالنظرة المحرمة في الأماكن المقدسة كالمساجد أقبح، خصوصاً المساجد الثلاثة، والتعرض للنظر والإيقاع في الفتنة مثل ذلك، والله أعلم.



عباد الله، إن النظر إلى ما حرم الله على الرجال من النساء، ومن النساء إلى ما حرم الله عليهن من الرجال يورث الأضرار والأخطار، فيفسد على الإنسان أعظم أعضائه وأهمها، وهو قلبه فالنظرة سم قاتل جاء من سهام العيون المطلقة إلى الحرام، قال العلاء بن زياد: "لا تتبع بصرك حسن ردف المرأة؛ فإن النظر يجعل الشهوة في القلب".

فالنظرة لها تعلق كبير بالقلب، ولذلك قال أطباء القلوب: "بين العين والقلب منفذ وطريق، فإذا خربت العين وفسدت خرب القلب وفسد وصار كالمزبلة التي هي محل النجاسات، فلا يصلح حينئذ لسكن معرفة الله ومحبه".

فإذا أفسدت عليك قلبك فابك على نفسك؛ فأنت القاتل والقتيل، وصدق من قال:

**وأنا الذي اجتلب المنيّة طرفه فمّن المطالب والقتيل القاتل**

أيها المسلمون، إن النظرة المحرمة رسول البلاء، وبريد الفجور والمصائب، فامنع رسولك تنقطع عنك رسائل الشرور والحوادث.

فكيف لو علمت أن الشيطان يدخل عليك مع هذه النظرة، ويكون نفوذه أسرع من نفوذ الهواء في المكان الخالي ليزين صورة المنظور إليه ويجعلها صنماً يعكف عليه القلب ثم يعده ويمنيه ويوقد على القلب نار الشهوات، ويلقي حطب المعاصي التي لم يكن يتوصل إليها بدون تلك الصورة؟

لو كان لصاحب النظرات المرسلات المجترحات عقل لكفه عن إطلاقه الخائب؛

النور السائر من خطب المنابر

لأنه لا فائدة من النظر، بل إنه يجلب الضرر، ويورث القلب الحسرات والكدر،  
والنفس التوجعات بدون حصيلة.

رأى رجل امرأة حسناء فجعل ينظر إليها ويملاً عينيه من محاسنها فقالت له:  
وكنتَ متى أرسلت طرفك رائداً      لقلبك يوماً أتعبتك المناظر  
رأيتَ الذي لا كله أنت قادر      عليه ولا عن بعضه أنت صابر

إخوة الإسلام، هناك حالات يجوز للرجل أن ينظر معها إلى المرأة من غير  
المحارم، وهذا الاستثناء في هذه الحالات قد يكون حاجة أو ضرورة، والضرورة تقدر  
بقدرها، بدون مجاوزة فمن ذلك:

جواز النظر بين الخاطب والمخطوبة إلى ما يدعو إلى الرغبة في النكاح، ويكون  
المنظور إليه الوجه والكفين من المرأة، وهذا نظر مستحب.

والحالة الثانية: النظر للمداواة، إذا لم توجد طبية ولا ممرضة تداوي النساء،  
فيجوز للطبيب أن ينظر من المرأة إلى الموضع الذي يحتاج إلى مداواة من غير مجاوزة حد  
موضع الألم.

والحالة الثالثة: جواز النظر إلى وجه المرأة للشهادة والمعاملة إذا احتيج إلى ذلك.

ويقاس على هذه الحالات التي ذكرها الفقهاء ما أشبهها بشروطها.

نسأل الله أن يصلح فساد قلوبنا، وأن يظهر ألسنتنا من الكذب، وأعيننا الخيانة

والحرام.



خطب

من

السائر

النور

---

---

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم.



النور السائر من خطب المنابر

## الخطبة الثانية

الحمد لله الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، والصلاة والسلام على البشير النذير والسراج المنير، صلاة وسلاماً دائماً دائمين إلى يوم الدين، أما بعد:

أيها المسلمون، إن غض البصر. عبادة عظيمة، وهذه العبادة تحتاج إلى تقوى ودين متين حتى يكون الإنسان من أهلها، كما أنها تستلزم مصابرة ومجاهدة، خاصة إذا كانت الدواعي ملحة، والموانع منصرفة، وهي أصعب من عبادة حفظ اللسان، كما ذكر ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

فمن ابتلي بإرسال طرفه إلى الحرمات فليتب، وليتذكر أن له نساء يكره من غيره أن ينظروا إليه، وليعلم أن غض البصر يورث حلاوة الإيمان ولذته، وهي أطيب وأحلى مما تركه، ويورث أيضاً نور القلب وحياته وقوته. ومن ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه

ويكسب الإنسان راحة في بدنه، واطمئناناً في نفسه، ويحبه عن الزلل، ومحال العيوب والخطل، ويبعده عن الشواغل الذهنية، والأمراض البدنية والنفسية، وأسر الشهوات الشيطانية.

ولولم يكن من ذلك إلا الدخول في وعد الرسول ص وضمانه لأهل بعض الطاعات ومن ذلك غض البصر، لكفى بعد ذلك ربحاً وفوزاً قال رسول الله ص:



(اضمنوا لي ستاً من أنفسكم أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا أوتمتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم)<sup>(١)</sup>

فيا أيها المسلمون، فلنجس عيوننا على طاعة ربها وما أبيع لها النظر إليه، ولنحذر إرسالها إلى الحرام، ولنربي أنفسنا على غض البصر- والغيرة على محارمنا من نظر الآخرين، ولنأمر نساءنا وبناتنا بالستر والحشمة حتى لا يكن سبباً لنظر الناس إليهن.

ولنحذر ونحذر شبابنا من الجلوس في أماكن مرور النساء في الطرقات، وعلى أبواب المدارس والمراكز والجامعات، بالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة.

وعلى النساء أن يتقين الله في حجابهن عند خروجهن وأن يتذكرن أن من يتسبب في معصية غيره عامداً فهو مشارك له في المعصية وأن يدفعن عن أنفسهن الشر. باكتمال الحجاب ومشية الصالحات العفيفات.

وأن نعلم جميعاً -إخواني الكرام- أن التساهل في النظر والتمادي في إطلاق البصر. قد يورد إلى المهالك ومضايق المسالك، ولقد صدق من قال:

ومعظم النار من مستصغر الشرر	كل الحوادث مبداها من النظر
فتكّ السهام بلا قوس ولا وتر	كم نظرة فتكت في قلب صاحبها
في أعين الغيد موقوف على الخطر	والمرء مادام ذا عين يقلبها
لا مرحباً بسرور جاء بالضرر	يسر -مقلته ما ضر مهجته

(١) رواه أحمد وابن حبان، وهو صحيح.



النور السائر من خطب المنابر

هذا وصلوا على النبي المصطفى.....



## درع العفاف: الحياء والحجاب (١)

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].  
 ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِطَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً  
 وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا  
 اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ  
 فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

عباد الله، إن مكارم الأخلاق هبة سنوية من الله تعالى لمن يشاء من عباده، تغرس فيهم الائتلاف والتلاحم، والتعاون والتراحم، والأمن والمحبة والسعادة والهناء، وأي أمة ساءت أخلاق أهلها فإن معاول الهدم ستعمل فيها، وتُنشر عليها سحائب الشقاء وتستنزّل إليها أسباب البلاء وعوامل الفناء.

(١) أُلقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني، صنعاء، ٢٤/٥/١٤٣٤هـ، الموافق ٥/٤/٢٠١٣م.

النور السائر من خطب المنابر

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهب أخلاقهم ذهبوا

واعلموا عباد الله، إن عمدة هذه الأخلاق وسيدها خلق الحياء، يقول ابن القيم رحمه الله: "خلق الحياء من أفضل الاخلاق وأجلها وأعظمها قدرا وأكثرها نفعا، بل هو خاصة الإنسانية، فمن لا حياء فيه ليس معه من الخير شيء، ولولا هذا الخلق لم يقر الضيف، ولم يوف بالوعد، ولم تؤد أمانة، ولم يقض لأحد حاجة، ولا تحرى الرجل الجميل فآثره، والقبیح فتجنبه، ولا ستر له عورة، ولا امتنع من فاحشة، وكثير من الناس لولا الحياء الذي فيه لم يؤد شيئا من الأمور المفترضة عليه، ولم يرع لمخلوق حقا، ولم يصل له رحما، ولا بر له والدا؛ فإن الباعث على هذه الأفعال إما ديني وهو رجاء عاقبتها الحميدة، وإما دنيوي علوي وهو حياء فاعلها من الخلق، فقد تبين أنه لولا الحياء إما من الخالق، وإما من الخلائق لم يفعلها صاحبها".

إخوة الإسلام، إن خلق الحياء شعبة وخصلة من الإيمان، فمن لا حياء له لا إيمان له، قال رسول الله ص: (الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة، والبذاء من الجفاء، والجفاء في النار)<sup>(١)</sup>.

ولما كان كذلك أحبه الله وأحب المتصفين به من أهل الإسلام، فعن أشج عبد القيس أنه قال: قال لي رسول الله ص: (إن فيك خلتين يحبهما الله عز وجل قلت: ما

(١) رواه أحمد وابن حبان، وهو صحيح.





هما؟ قال: الحلم والحياء، قلت: أقدياً كان في أم حديثاً؟ قال: بل قديماً، قلت: الحمد لله الذي جبلني على خلتين مجبهما<sup>(١)</sup>.

فلا عجب أن كان هذا الخلق هو خلق الإسلام الأعلى حتى قال فيه رسول الله ص: (إن لكل ديناً خلقاً، وخلق الإسلام الحياء)<sup>(٢)</sup>.

فإذا رفع هذا الخلق من بين الناس فقد رفعت من بينهم أعظم نعمة عليهم ألا وهي نعمة الإيمان قال رسول الله: (إن الحياء والإيمان قرنا جميعاً، فإذا رفع أحدهما رفع الآخر)<sup>[رواه البخاري في الأدب المفرد]</sup>.

معشر- المسلمين، إن خلق الحياء يدعو صاحبه إلى ملازمة الفضائل، والبعد عن الرذائل، ومن الفضائل: القيام بطاعة الله تعالى، ومن تلك الطاعات: العفاف وصيانة العرض.

ومن الرذائل ارتكاب المعاصي والذنوب المتعلقة بحق الله، أو بحق الناس، ومن تلك المعاصي خدش جدار العفة بالجرائم الجنسية ومقدماتها، فعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله ص: (استحيوا من الله حق الحياء، قال: قلنا: يا رسول الله، إنا نستحيي والحمد لله، قال: ليس ذاك، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، ولتذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة

(١) رواه أحمد، وهو صحيح.

(٢) رواه ابن ماجه ومالك، وهو صحيح.



النور السائر من خطب المنابر

الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء<sup>(١)</sup>

كم من إنسان أراد مواجهة الفاحشة فنازعه حياؤه وانتزعه من بين أنيابها وقد  
أوشك أن يكون فريستها:

ولقد أصرف الفؤاد عن الشيء - حياء وحبه في السواد  
أمسك النفس بالعفاف وأمسي - ذاكراً في غيد حديث الأعداي

وقال الآخر:

ورب قبيحة ما حال بيني وبين ركوبها إلا الحياء  
إذا رزق الفتى وجهاً وقاحاً - تقلب في الأمور كما يشاء

وبهذا الخلق الشريف - يا عباد الله - يظل المسلم مراقباً لربه، خائفاً من وقوعه في  
سخطه، ولو تجملت له المعاصي بأبهى الحلل، فإن حياءه يعرّفه بهرجها الزائف فيباعده  
عنها مباحدة المشركين فنعم القرين.

إن الحياء حمل صاحبه على احترام الناس وإنزالهم منازلهم، فأحبوه وأكرموه فمنعه  
ذلك من الإساءة إليهم، وعمل ما يكرهونه منه، أو أن يطلعوا منه على عيب ومنقصة  
تنزله من عيون التقدير والشرف، قريبين كانوا أو بعيدين، وحينما تدرع به رجعت  
سهام الخطيئة خائبة كسيرة.

مر عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في بعض طرق المدينة فسمع امرأة تقول:

(١) رواه أحمد و الترمذي والحاكم، وهو صحيح.



دعنتني النفس بعد خروج عمرو إلى الفحشاء فاطلع اطلاعا  
 فقلت لها عجلتِ فلن تطاعي ولو طالَت إقامته رباعا  
 أحاذر إن أطعتك سب نفسي— ومخزاة تجلّلني قناعا

فأتيتُ بالمرأة إلى عمر فقال لها: أي شيء منعك؟ قالت: الحياء وإكرام عرضي، فقال عمر: إن الحياء ليدل على هَنَات ذات ألوان، من استحيا استخفى، ومن استخفى اتقى، ومن اتقى وقى. وكتب إلى زوجها فأقفله إليها.

إخواني الكرام، إن هذا الخلق الكريم يتعرض كل يوم لهجمات شرسة من قبل أعداء العفة ومن بعض الجاهلين والمخدوعين، ويدلنا على ذلك كثرة الجريمة المتنوعة التي وصلت أحيانا إلى المجاهرة والمفاخرة والدعوة إلى ركوبها والنبي عليه الصلاة والسلام يقول: (كل أمّتي معافي إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يصبح وقد ستره الله فيقول: يا فلان، عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه، ويصبح يكشف ستر الله عنه)<sup>(١)</sup>.

وما كان ذلك إلا لذهاب الحياء وتلاشيه من نفوس أولئك المذنبين المجاهرين، نسأل الله لنا ولهم الهداية، يقول رسول الله ص: (إن مما أدرك الناس من كلام النبوة إذا لم تستح فافعل ما شئت)<sup>(٢)</sup>. وقال عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "من قل حياؤه قل ورعه، ومن قل ورعه مات قلبه".

(١) متفق عليه.

(٢) رواه البخاري.



النور السائر من خطب المنابر

وحينما قل الحياء ظهر التبرج والسفور والتلاعب بالحجاب، وتعرضت النساء للمعاكسات والمضايقات في الطرقات، وكثرت رسائل العابثين واتصالاتهم لإيذاء العفيفات والعفيفين، وبدت المقاطع المسيئة للحياء والخلق بالظهور على شاشات الجوالات، وصفحات شبكة المعلومات.

وحينما قل الحياء مُجِّد الذين يبيعون حياءهم بلذة عابرة وينشرون بين الناس التجرؤ على الفحش والخطيئة.

وعندما قل الحياء بدأنا نسمع المناداة بتطبيق الاتفاقيات الدولية المخالفة للشريعة الإسلامية، التي تتعلق بالمرأة لإخراج المرأة من محار حياتها وحشمتها إلى وهج الشمس المحرقة لأجمل صفاتها وأبهى سماتها.

### فجمال الرجال عقل رجيح والغواني جمالهن الحياء

أمة الإسلام، إن الحياء خصلة حميدة من الناس رجالاً ونساء، غير أنه يحمد من المرأة أكثر من الرجل؛ لأنه السور المنيع الذي يجرسها ويصونها من سهام العيون المعتدية والنيات الآثمة، والأيدي المجرمة.

وهو يجعلها مثلاً للاحترام والتقدير، ومنبعاً صالحاً لإخراج الأجيال الصالحة.

وأصحاب الفطرة السليمة من الرجال يرون المرأة كريمة عظيمة بحياتها وعفتها وصيانتها لنفسها، وحفاظها على شرفها وشرف أسرته.

وانظروا إلى حياء بنت صاحب مدين عندما عادت إلى موسى عليه السلام لتدعوه



إلى مكافئة أبيها على سقيه لها غنمها، قال تعالى: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص ٢٥]، قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: جاءت تمشي- على استحياء قائلة بثوبها على وجهها ليست بسلفع من النساء ولاجة خراجة. (١).

عباد الله، إن الحياء إذا قل التمسك به بين النساء وصار الرجال يرون ذلك من قريباتهم ولا يغارون فقد فتحت على المجتمع أبواب الشرور.

إذا ذهب الحياء من النساء      وأضحى الدر نهبا في العراء  
ولم يغير الرجال فقد أطلت      على الأحياء أسباب الشقاء

إن الأصل في جبلة المرأة أن تصاحب الحياء ولا تفارقه، فما بال بعض النساء بدأن يكرهن مرافقة هذا الحارس الأمين!!

لعل من الأسباب تواتر الذنوب وكثرتها، والمعاصي لها عقوبات، ومن عقوباتها: ذهاب الحياء يقول ابن القيم رحمه الله: "من عقوبات المعاصي: ذهاب الحياء الذي هو مادة حياة القلب، وهو أصل كل خير وذهابه ذهاب الخير أجمعه فقد جاء في الحديث الصحيح «الحياء خير كله». والمقصود أن الذنوب تضعف الحياء من العبد، حتى ربما انسلخ منه بالكليّة حتى إنه ربما لا يتأثر بعلم الناس بسوء حاله، ولا باطلاعهم عليه، بل كثير منهم يخبر عن حاله وقبح ما يفعل، والحامل له على ذلك انسلاخه من الحياء،

(١) السلفع من النساء: الجريئة.



النور السائر من خطب المنابر

وإذا وصل العبد إلى هذه الحال لم يبق في صلاحه مطمع. وإذا رأى إبليس طلعة وجهه حيًّا وقال: فديت من لا يفلح، ومن لا حياء فيه ميّت في الدّنيا شقيّ في الآخرة، وبين الذّنوب وقلة الحياء وعدم الغيرة تلازم من الطّرفين، وكلّ منهما يستدعي الآخر ويطلبه حثيثا، ومن استحيا من الله عند معصيته استحيا الله من عقوبته يوم يلقاه، ومن لم يستح من معصيته لم يستح الله من عقوبته".

أيها المسلمون، إن الإعلام السيء كان له دور كبير في إبعاد النساء عن ملازمة الحياء بما يبثه من برامج ومسلسلات ولقاءات وليس فيها شيء اسمه الحياء، فصار بعض النساء تتعلم مما تشاهد وتطبقه في واقع حياتها.

وغدت لا تبالي بالاختلاط، وتراه مسألة سهلة، وجرأة محمودة، ولا تدري أن الاختلاط مع الرجال يفقدها الحياء يوماً بعد يوم.

وبعض النساء لا تكتفي بإذهاب حيائها وحدها، وإنما تدعو غيرها لمثل أفعالها، فلتكن المسلمة الحريصة على حيائها بعيدة عن هذه الأمثلة السيئة ولا تغتر بهن.

عباد الله، إن المسلم يحتاج إلى تفقد دينه وأخلاقه كما يتفقد أمور دنياه، فينظر من نفسه جوانب الإيجابيات فيستمر عليها، وجوانب السلبيات فيصلحها ويزيل أسبابها، ومن ذلك خلق الحياء فانظر إلى نفسك يا عبدالله، هل تستحي من الله ومن خلقه وما هي براهين ذلك؟

فاسع ما استطعت إلى تقوية حيائك؛ فإنه حياتك السعيدة في الدنيا والآخرة، قوِّ



في قلبك تعظيم الله وخشيته والخوف منه بمعرفة الله وأسمائه وصفاته ودينه الذي شرعه لعباده.

جالس أهل الحياء وتعلم منهم، وقرأ عنهم، واسلك طريقهم ومنهجهم، وأبعد نفسك عن القنوات والبرامج التي تسرق منك الحياء، وأنت تشعر أولاً تشعر، وربّ أولادك وخاصة البنات على الحشمة والحياء بالقدوة الحسنة، وإعطائهم البرامج النظيفة التي تنشئهم نشأة صالحة.

إخوة الإسلام، إن الحياء الذي حمدناه وتحدثنا عن فضله وأهميته ليس معناه التماوت والخجل، وترك قول الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإنما هو: خلق يبعث على ترك القبيح من الأقوال والأفعال والأخلاق يمتنع به صاحبه من التقصير في حق ذي الحق.

فليس من الحياء أن نرى المنكر يُفعل ونسكت، ونرى المعروف يترك فلا نأمر، فهؤلاء ساداتنا أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام كانوا على أعلى قمم الحياء ومع ذلك كانوا أمرين بالمعروف ناهين عن المنكر.

قالت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فِي حِيَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ص: (كان رسول الله ص أشد حياء من العذراء في خدرها)<sup>(١)</sup>.

أما في الأحوال التي ليست لها علاقة بالأمر والنهي فقد كان عليه الصلاة حياءً

(١) متفق عليه.



النور السائر من خطب المنابر

جدا، فقد كان بعض الصحابة يأتون إلى منزله فيطيلون الجلوس للاستئناس بالحديث فيستحي عليه الصلاة والسلام أن يقول لهم: انصرفوا، فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾ [الأحزاب ٥٣].

وهذا نبي الله موسى عليه السلام يقول عنه رسول الله ص: (إن موسى كان رجلاً حياءً ستيراً لا يرى من جلده شيء استحياء منه، فأذاه من آذاه من بني إسرائيل. فقالوا: ما يستتر هذا التستر إلا من عيب بجلده: إما برص وإما أدرة، وإما آفة، وإن الله أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى، فخلا يوماً وحده فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل، فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها، وإن الحجر عدا بثوبه، فأخذ موسى عصاه، وطلب الحجر، فجعل يقول: ثوبي حجر. ثوبي حجر، حتى انتهى إلى ملاء من بني إسرائيل فرأوه عريانا أحسن ما خلق الله، وأبرأه مما يقولون. وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه، وطفق بالحجر ضرباً بعصاه، فو الله إن بالحجر لندباً من أثر ضربه ثلاثاً أو أربعاً أو خمسا فذلك قوله: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً) (١).

(١) متفق عليه.





## الخطبة الثانية

حمداً لمن يسند إليه كل حمد، وصلاة وسلاماً على رسوله محمد، وعلى آله الأطهار  
وصحابته الأبرار، أما بعد:

أيها المسلمون، إن من ثمرات الحياء عند المرأة: لزومها للحجاب الشرعي الذي  
أمر الله تعالى به، ورسوله ص.

وحجاب المرأة عبادة تتقرب بها إلى ربها عز وجل، وليس عادة وعرفاً وطنياً، فإذا  
خرجت من بلد الحجاب نزعتة كما يحدث من بعض النساء في الأسفار وعلى متن  
الطائرات، وغيرها من وسائل المواصلات.

حجابتك مفخر يكسوكِ عزاً      يزيدك في الورى حسناً مينا  
يصونك من أذية كل مؤذٍ      ويصبح منك حارسك الأمينا  
وليس بعبادة فينا ولكن      قضاه الله تشريعاً وديننا

عباد الله، إن حجاب المرأة واجب ديني شرعه الله تعالى صيانة للمرأة، وحماية لها،  
وسلامة للرجال من دواعي الفتنة، وأسباب الخطيئة، وحفظاً للمجتمعات من الفساد،  
وتنزيهاً للأعراض من الريبة، وهو بذلك أمر من الخالق العليم الحكيم الذي يعلم  
مصالح عباده فيشرع لها ما يحفظها، ويعلم المفاصد التي تضر الخلق فيشرع ما يدفعها.

والحجاب مصلحة للمرأة والرجل والمجتمع في كل زمان ومكان، وما على

النور السائر من خطب المنابر

المخلوق إلا التسليم لأمر خالقه والانقياد له، والله يعلم وأنتم لا تعلمون، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزُوجِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾ [الأحزاب ٥٩]، أي: يسترن جميع البدن ولا يظهر منه شيء قاله ابن مسعود وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: (يرحم الله نساء المهاجرات الأول لما أنزل الله: ((وليضربن على جيوبهن))، شققن مروطنهن واختمرن بها) (١).

وعن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت لما نزلت هذه الآية: (يدنين عليهن من جلابيبهن)، خرج نساء الأنصار كأن على رؤوسهن الغربان من السكينة، وعليهن أكسية سود يلبسناها.

معشر المسلمين، إننا -بحمد الله- في هذه البلاد ما زلنا بخير في حجاب المرأة، ولكن هذا الخير بدأ يتناقص ويطوى شيئاً فشيئاً بمظاهر ووسائل متعددة، ومن ذلك صفة الحجاب.

وتعلمون جميعاً -إخوتي الكرام- أن الله شرع الحجاب للستر، ومنع العيون المرسله، وليس لتجميل المرأة وتزيينها أمام الناس الأجانب، فقد ظهر في أيامنا أنواع من الأحجبة والعبايات التي تحسن المرأة ولا تسترها؛ لكونها مزركشة ومزينة وضيقة أو شفافة أو لامعة ونحو ذلك مما يدعو الناظرين إلى النظرة الحرام.

(١) رواه البخاري.



هذا ليس الحجاب الذي شرعه الله للنساء، إنما الحجاب الذي شرع للمرأة أن يكون ساتراً سميكاً وسيعاً غير شفاف ولا وِصَاف ولا يجذب العيون بما عليه من أسباب الجذب.

ولكن بعض النساء - بسبب الجهل أو الغفلة أو الانهماك النفسي - أو التقليد الأعمى أو حبها لإعجاب الرجال بها - تسارع إلى شراء تلك الحجابات غير الحاجة والعبايات غير الساترة، وهنا يجيء دور أولياء الأمور في النظر في حجاب زوجاتهم أو بناتهم، فالأب راع ومسؤول عن رعيته، والزوج راع ومسؤول عن رعيته، كما قال رسولنا ص.

وعلى أولئك الخياطين الذين يخيطنون هذه العبايات الفاتنة أن يتقوا الله في نساء المسلمين؛ فلا يخيطنون ما يفتن النساء والرجال؛ فإن الكسب من هذا الفعل كسب حرام، وقد جعل الله لهم من الحلال متسعاً، ومن ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه.

فيا أيها المسلمون، الحفاظ الحفاظ على خلقي الحياء والحجاب؛ فإنها يحميان بناء العفاف، ويوصلان إلى جعله خلقاً راسخاً في النفس، والتربية التريية للأولاد ذكوراً وإناثاً على الاهتمام بذلك، ولنوقن جميعاً أن التقصير في هذا قد يחדش العفاف، ويوصل الإنسان إلى ما لا تحمد عقباه.

نسأل الله أن يستر عوراتنا، وأن يؤمن روعاتنا، وأن يصلحنا وأزواجنا وذرياتنا.

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان ٧٤].



النور السائر من خطب المنابر

هذا وصلوا على خير البشرية....



## الاختلاط وخطره على العفاف (١)

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ؕ وَلَا تَمُونَنَّ إِلَّا وَانْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ؕ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

أيها المسلمون، إن هناك معاول هدم وخذش لحصن العفة والصيانة، قد يغفل الناس عنها، أو يتساهلون في الحذر منها، ولا يستيقظون إلا على قرع البلاء الشديد لأبوابهم.

ومن تلك المعاول التي قد تتابعت ضرباتها وما زالت، ووجدت آثارها الموجهة

(١) أُلقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني، صنعاء، ٢/٦/١٤٣٤هـ، الموافق ١٢/٤/٢٠١٣م.



النور السائر من خطب المنابر

على جدار العفة: معول الاختلاط بين الذكور والإناث في أماكن الدراسة، في المدارس والجامعات والمعاهد والمنتديات، وفي أماكن العمل والوظائف والملتقيات، وفي ربوع المتنزهات.

عباد الله، اعلموا أن هذه الشريعة الحكيمة هي شريعة النقاء والطهارة المعنوية والحسية، ومن مجالات ظهور ذلك أنها جاءت للحفاظ على الأعراض والأنساب من الدنس والرفث والخبث.

فقد شرع الله عز وجل - وهو الحكيم فيما شرع والعليم بعباده ومصالحهم حينما كلفهم بذلك الشرع - شرع لهم الوسائل والأسباب التي تحافظ على العرض نقياً عن كل عيب، ربيعاً عن كل ريب. ونهاهم عن الطرق المعوجة التي توصل إلى نحر العرض بخنجر الزنا والفاحشة أو مقدماتها؛ ولهذا نجد - معشر المسلمين - ديننا الحنيف يحرم الوسائل والسبل التي توصل إلى جريمة الزنا والوقوع في عفتها وقدرها.

ومن قواعد تشريعنا الإلهي أن الوسائل لها أحكام المقاصد، ومن أمثلة هذه القاعدة العظيمة في هذا الباب قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانِيَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢]. فحرم الله جل جلاله قربان الزنا، وفي قرب الزنا تدخل كل وسيلة توصل إليه ومن ذلك:

إطلاق البصر - من الرجال والنساء، والخلوة بين الرجل والمرأة الأجنبية، وسفر المرأة بلا محرم، ومس المرأة الأجنبية بالمصافحة، والتبرج والسفور، ويقف الاختلاط



على رأس هرم هذه الوسائل والأسباب؛ لأنه قد يجمع أكثر من وسيلة وسبب مما حرم الشارع على الرجال والنساء أو على أحد الجنسين. إضافة إلى هذه المناهي - التي يمثل البعد عنها دروعاً واقية - نجد أن الشرع الحنيف أمر أن يكون سؤال الرجل للمرأة من وراء حجاب، وبين الحكمة من ذلك فقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب ٥٣]، وأمر بالتفريق بين الأولاد في المضاجع إذا بلغوا عشر-سنوات، قال رسول الله ص: « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر- سنين، وفرقوا بينهم في المضاجع » [رواه أبو داود].

و أمر المرأة بالقرار في البيت وعدم الخروج منه إلا لحاجة فقال: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الأحزاب ٣٣].

فإذا خرجت فقد نهاها عن التبرج، ونهاها عن المشي- وسط الطريق المزدحمة بالرجال: فعن حمزة بن أبي أسيد الأنصاري عن أبيه أنه سمع رسول الله ص يقول وهو خارج من المسجد فاختلط الرجال مع النساء في الطريق فقال رسول الله ص للنساء: (استأخرن؛ فإنه ليس لكن أن تحققن الطريق عليكن بحافات الطريق. فكانت المرأة تلتصق بالجدار حتى إن ثوبها ليتعلق بالجدار من لصوقها به) (١).

ونهاها عن التطيب والتعطر عندما تخرج وتمر على الرجال: قال رسول الله ص:

(١) رواه أبو داود، وهو حسن.

\_\_\_\_\_ النور السائر من خطب المنابر

(أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية، وكل عين زانية)<sup>(١)</sup>.  
ونهاها أن تصف المرأة الأجنبية لزوجها، قال رسول الله ص: (لا تبشر المرأة المرأة  
لتنعثها لزوجها كأنها ينظر إليها)<sup>(٢)</sup>.

فهذه بعض الأوامر الشرعية التي تجعل العرض الشريف بعيداً عن الخطر والتهم.  
معشر المسلمين، إن المجتمعات المسلمة مجتمعات محافظة على كنز الحشمة وصيانة  
الشرف؛ لأن ذلك من تعاليم الدين الحنيف الذي يربي في الناس الفضائل ويحرسها،  
ويقتلع منهم الرذائل ويمنع عودتها.

وقد ظلت الأمة تحمي عرين هذه الفضيلة الجليلة من سهام أعدائها وتمنعها من  
الاندثار والتسلل غير أن ضعف التمسك بالدين، وتواتر جهود الكافرين لهزيمة الأمة  
وقهرها قد أدى إلى ظهور بعض مظاهر خدش العفاف عند بعض المسلمين، مثل  
اختلاط الرجال بالنساء، والتساهل وعدم المبالاة بأخطاره وأضراره.

وقد كان من نتائج ذلك الضعف الديني لدى المسلمين وقوة الجهود عند  
الكافرين: دخول الاستعمار بلاد أهل الاسلام للعبث بمعتقداتهم وسلوكهم، وتفتيت  
وحدتهم واجتماعهم، ونهب عقولهم ومقدرات أوطانهم، فنشر- الاستعمار التفسخ  
والسفور، واختلاط الإناث بالذكور، ابتداء بنسائه بين نساء المسلمين، كما حصل من  
الاستعمار الفرنسي لمصر والشام.

(١) رواه الترمذي وابن حبان وابن خزيمة، وهو صحيح.

(٢) رواه البخاري.



فأرى بعض المسلمين والمسلمات هذه المظاهر فتأثروا بها فلما رأى المستعمرون أن رسالتهم التدميرية لعفة المسلمين قد وصلت إلى عقول أولئك المخدوعين بعد أمده سلموا لهم زمام الأمور في بلدان المسلمين، فراح أولئك المخدولون المخدوعون يبثون الاختلاط ومقدماته ومآلاته بين الشعوب المسلمة، في التعليم، والإعلام، والصحة، والتوظيف، وغير ذلك.

حتى ظهر البث الفضائي والتلفزة ووسائل الإعلام الحديثة المختلفة فتأثر بعض النساء والرجال بما يشاهدون فحصل التساهل والمسارة إلى الاختلاط بين الذكور والإناث فالتقت النار بالهشيم.

أيها المسلمون، إن الذين يروجون للاختلاط بين الذكور والإناث بين المسلمين قد يكونون أعداء للعفة، فيريدون أن تراق بين الناس لتعبث الرذيلة بعد ذلك كيف شاءت.

وبعضهم يروج للاختلاط ويشجع عليه بدافع حسن جاء نتيجة الجهل والغفلة عن الأضرار والآثار المترتبة على هذا المعول الهدام.

أولا يعلم أهل الاختلاط والداعون إليه أن الاختلاط بين الجنسين سبب لأضرار أخلاقية وسلوكية، وأضرار صحية ونفسية، وأضرار اجتماعية واقتصادية، وأضرار عقلية وتعليمية!.

فمن أخطر الأضرار السلوكية والأخلاقية: تفشي- الفاحشة واستصغارها، وهذا أمر وارد لكثرة الملازمة، وإطلاق العيون في المفاتن والجواذب. قالت طيبة غربية

النور السائر من خطب المنابر

تدعى ماريون: "وإني أعتقد أنه ليس في الإمكان قيام علاقة بريئة من الشهوة بين رجل وامرأة، ينفرد أحدهما بالآخر ساعات طويلة".

وإذا حصلت الجريمة -والعياذ بالله- ترتبت عليها أضرار أخرى منها:

الحمل خارج عش الزوجية، ففي دراسة أجرتها النقابة القومية للمدرسين في بريطانيا أكدت فيها أن التعليم المختلط أدى إلى انتشار ظاهرة التلميذات الحوامل سفاحاً، وأعمارهن أقل من ستة عشر- عاماً كما أثبتت الدراسة تزايد معدل الجرائم الجنسية والاعتداء على الفتيات بنسب كبيرة. وفي أمريكا بلغت نسبة التلميذات الحوامل سفاحاً ٤٨٪ من تلميذات إحدى المدارس الثانوية.

ومن نتائج الجريمة: كثرة حالات الإجهاض، فقد نشرت إحدى المجلات العربية عن بعض التقارير الرسمية أنه في عام واحد بلغ عدد عمليات الإجهاض للطالبات في المدارس الثانوية وحدها في أمريكا (٢٥٠) ألف عملية، وأن أكثر من ستين في المائة من اللواتي تزوجن -ومنهن من هي دون التاسعة عشرة- ذهبن إلى بيوت أزواجهن ليلة الزفاف، وفي بطن كل منهن جنين لم يكتمل تكوينه لا يعلم من أبوه!.

ومن نتائج الجريمة: كثرة أولاد الزنا، فقد نشر- في صحيفة إنجليزية أن عدد الأطفال غير الشرعيين في بريطانيا بلغ في عام واحد ٦٣ ألف طفل.

ومن نتائج الجريمة: كثرة الأمراض الجنسية، يقول دكتور فرنسي- متخصص في جراحة الأمراض النسائية: "إن أغلب الأمراض الجنسية التي نعاني منها سببها الاختلاط غير المشروع بين الرجل والمرأة".



بل في دولتين صغيرتين سكانهما نصارى ووثنيون بلغت نسبة المصابين بالإيدز فيها ٤٠٪ حوالي نصف السكان، كما نشرت ذلك منظمة الصحة العالمية.

أيها المسلمون، ومن الأضرار الأخلاقية والسلوكية للاختلاط: ذهاب الحياء من الرجال والنساء، وقد ذكر أحد الباحثين في مصر أن الاختلاط على مقاعد الجامعة جرأً بنات من بيوت كريمة على الاختلاط في حمام المعرض، وعلى التجرد من الملابس للاستحمام أمام الرجال.

ومن الأضرار الأخلاقية والسلوكية للاختلاط: حصول السلوك العدواني، ومن ذلك التحرش الجنسي، فقد ذكرت مجلة سفتتيز الأمريكية أن ما لا يقل عن ٨٩٪ من الفتيات يتعرضن للتحرشات الجنسية ابتداءً باللمس وانتهاءً بالاغتصاب.

ومن ذلك السلوك العدواني: جرائم القتل والاغتصاب، وتمثل الولايات المتحدة الأمريكية أعلى معدل في العالم في جريمة الاغتصاب، فقد أعلن مركز الضحايا الوطني أن واحدة من ثمان بالغات تعرضت للاغتصاب، ويشير المسح إلى أن ٦١٪ من حالات الاغتصاب تمت لفتيات تقل أعمارهن عن ١٨ عاماً.

ومن الأضرار السلوكية: الانطواء، وضعف القدرة على التعامل مع الآخرين، وتغير طبيعة الرجل والمرأة، وفقدان الأمن والشعور بالقلق والخوف.

أيها المسلمون، كما أن هناك أضراراً تعليمية للتعليم المختلط، فمن ذلك:

ضعف القدرات الذهنية لانشغال كل جنس بالآخر، وانخفاض المستوى

النور السائر من خطب المنابر

الدراسي، وتؤكد بعض الإحصائيات في دراسة لمجلة نيوزويك الأمريكية أنه عندما يدرس كل جنس بعيداً عن الآخر؛ فإن التفوق العلمي يتحقق.

عباد الله، ولم تقف الأضرار هنا بل هناك أضرار اجتماعية وعلى رأسها: العزوف عن الزواج حينما تصير المرأة مبتذلة يحصل منها الرجل ما يريد، فلا يفكر بعد ذلك بالزواج وأعبائه، فتؤكد بعض الإحصائيات أن ثلث سكان فرنسا يعيشون بدون زواج أو ارتباط.

ومن الأضرار الاجتماعية: كثرة الطلاق بسبب العلم بالعلاقات المحرمة نتيجة الاختلاط، ومن الأضرار: تنامي ظاهرة الزواج العرفي، ومن الأضرار: تحطيم الأسرة لما سبق من الأضرار.

ومن الأضرار: انهيار المجتمع، فقد كشفت دراسة مصرية أن أكثر من (١٤) ألف طفل مصري على الأقل بلا اسم ولا هوية أو نسب، وأغلب هؤلاء الأطفال جاء من الزواج العرفي.

عباد الله، ومن أضرار الاختلاط: الأضرار الاقتصادية حيث يحاول كل من الجنسين إظهار كرمه وسخائه وجماله أمام الجنس الآخر، فيتحمل بذلك مسؤوليات كبيرة ونفقات باهضة؛ للاهتمام باللباس والمظهر الخارجي ونفقات الاتصالات الهاتفية.

والضحية الكبرى والخاسر الأكبر في الاختلاط هو المرأة، فقد تصاب بالتوتر



والقلق والكبت إذا حافظت على عفتها، وقد تترك الدراسة والوظيفة لكثرة المضايقات والتحرشات.

أما إذا سلّمت نفسها للوحوش الكاسرة فقد ضيعت أعز ما تملك، وأصبحت في صراع نفسي قد يتحول إلى صراع عائلي وتصير خائنة في نظر أسرتها، ضائعة في مجتمعها لا تعرف دفاء الأسرة، ولا حنان وراحة الحياة الزوجية النظيفة.

فهل من متعظ بعد هذه التصريحات والأرقام والإحصائيات يا عباد الله!؟

نسأل الله أن يحفظ بيوت المسلمين وأعراضهم من كل هدم وخذش.

بارك الله لي ولكم بالقرآن العظيم، ونفَعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر

الحكيم. واستغفروا الله يغفر لكم.

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي محمد، وعلى آله وصحبه  
أجمعين،  
أما بعد:

أيها المسلمون، من العجائب -والعجائب جمّة- مطالبات حثيثة وسعي لا يمل  
من منظمات نسائية في بلاد المسلمين بالمساواة المطلقة بين الرجال والنساء في كل شيء،  
ويلزم من ذلك وجود الاختلاط في كل مجال.

والعجب كل العجب أن هذه النداءات الصارخة تريد استنساخ الحياة الغربية  
بعنفها لتطبق في بلاد المسلمين، ومن ذلك ما يتعلق بالاختلاط.

وعقلاء الغرب قد رجعوا من هذه السوق معترفين نادمين خاسرين، وبعض  
المسلمين والمسلمات يريدون أن يذهبوا إلى هذه السوق مبكرين، واسمعوا إلى أقوال  
هؤلاء الغربيين، وتأملوا في أحوالهم، لتعرفوا عظمة الإسلام، وحرصه على حفظ  
أعراض المسلمين وعفتهم.

تقول الكاتبة الانجليزية الشهيرة أنا رود: "ألا ليت بلادنا كبلاد المسلمين فيها  
الحشمة والعفاف، إنه عار على بلاد الانجليز أن نجعل بناتنا مثلاً للردائل بكثرة  
المخالطة للرجال، فمالنا لا نسعى وراء ما يجعل البنت تعمل بما يوافق فطرتها الطبيعية،



وبما يوافق القيام في البيت وترك أعمال الرجال للرجال سلامة لشرفها وحفاظاً على أنوثتها".

وفي ألمانيا قامت مظاهرات نسائية تدعو إلى تحرر المرأة من العمل وتفريغها للبيت وشؤونها، ونادت النساء في هذه المظاهرات أن ينص عقد الزواج على عدم مزاوله المرأة للعمل، وأن تكون رسالتها الزوجية والأمومة لا مزاحمة الرجال في المكاتب والمصانع والمرافق الحكومية.

ويقول أحد أعضاء الكونجرس الأمريكي: "إن المرأة تستطيع أن تخدم الدولة حقاً إذا بقيت في البيت الذي هو كيان الأسرة".

وهذه كاتبة أمريكية مشهورة تقول للمسلمين: "أنصح بأن تتمسكوا بأخلاقكم وتقاليديكم، وامنعوا الاختلاط، وقيدوا حرية المرأة، بل وارجعوا إلى عصر الحجاب، فهذا خير لكم من إباحية ومجون أوروبا وأمريكا".

ويقول جورج رائييلي: "والسبب الخطير الذي عمت لأجله الفوضى الجنسية في المجتمع أن النساء لا يزلن يتهافتن على الأشغال التجارية ووظائف المكاتب والحرف المختلفة، حيث تسنح لهن فرص الاختلاط بالرجال صباح مساء، وقد حط ذلك المستوى الخلقي في الرجال والنساء".

فيا أمة العفاف والنقاء، هذه صورة عن تلك المجتمعات البعيدة عن الإسلام، وهذه حروف الندم يكتبونها للعالم:

النور السائر من خطب المنابر

ذاقوا البلاء فأرسلوا كلماتهم  
 للاهثين وراءهم ليعوها  
 هذي ندامتهم وصدق حديثهم  
 في الاختلاط وعبرة عرفوها  
 قل للذين يسارعون لهنهجهم  
 عودوا فهذي حكمة فخذوها

فماذا بعد هذا؟ ألا نحمد الله على ديننا دين العفة والنزاهة، الذي من تمسك بتعاليمه ربح السعادة في الدنيا والآخرة، ﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [يونس ٣٢].

هذا وصلوا وسلموا على الحبيب محمد....





## الإعلام السيء وهدمه للعفاف وصلاح الناس (١)

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ؕ وَلَا تَمُونَّ إِلَّا وَانْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].  
 ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ؕ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].  
 ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

أيها المسلمون، إن الله تعالى خلق الإنسان محدود القوات والقدرات، والمواهب والطاقات، فاحتاج إلى غيره في إكمال نقصه لكي تتم الحياة الجماعية بين الناس في هذه الدنيا، فلو كان كل إنسان كامل النعمة لا يحتاج إلى سواه لعاش الناس وحوشاً متباعدين، لا يعرفون الأُنس والاجتماع.

(١) أُلقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني - صنعاء. ١٤٣٤هـ/٦/٩، الموافق ٢٠١٣م/٤/١٩.

النور السائر من خطب المنابر

وما يعرفه الإنسان وتدركه حواسه وقدرته محصور قليل؛ فلهذا كان مفتقراً إلى إعلام الناس له ما يجمله ليتعلمه، وما خفي عليه مما حوله ليعرفه ويستفيد منه إن كان مفيداً، ويحترز منه إن كان مضرًا.

وقد عرف الناس في العصور الماضية للإعلام وسائل كان من أبرزها: الخطابة الدينية والجماهيرية، والقصيدة الشعرية بجميع أغراضها الأدبية، والبُرد المرسل، إما بإرسال الناس، أو بإرسال الحمام، وعرفوا كذلك من الوسائل: الكتابة للرسائل، والكتب في الأمور العامة والخاصة.

لكن التأثير الإعلامي في الجماهير ظل محدوداً حتى بدأت الوسائل الإعلامية الحديثة بالظهور في منتصف القرن الثامن عشر- الميلادي بظهور الصحف والجرائد، غير أن تأثير هذه الوسيلة بقي كذلك محصوراً في طبقات معينة من الناس ولا يصل إلى جميعهم.

فاستمر الإنسان في التفكير في وسائل إعلامية جديدة ليكون تأثيرها أوسع، وتناولها أسهل، فاخترع الراديو، وكانت بداية ظهوره عام ١٩٠٦م، وكان له بعد ذلك انتشار واسع وتأثير كبير، خاصة أثناء الحروب العالمية.

حتى ظهر بعد ذلك الإعلام المرئي الذي كسر- كثيراً من الحواجز وفتح قنوات كثيرة للاتصال الإعلامي بالجمهور، ووصل إلى الذروة في التأثير في تلك الفترة، وكانت بداية الظهور باختراع التلفاز عام ١٩٢٧م.

غير أن وسيلة التلفاز ظلت محصورة الزمان والمكان، ورافقتها بعض العيوب بالنسبة للاتصال الإعلامي العام.

إلى أن جاءت فكرة الشبكة العنكبوتية الانترنت بظهور أولى صفحاتها عام ١٩٦٩م فأصبحت أرقى وسيلة إعلامية وصل إليها العقل البشري إلى الان، مع ما يصاحبها من تطوير وتحديث يوماً بعد يوم.

معشر- المسلمين، إن الإعلام ذو أهمية كبرى وتأثير عظيم في الناس؛ فهو الموجه للشعوب يخاطب عقولها وقلوبها وعواطفها ويشكلها على ما يريد.

فالإعلام يستطيع بقوة تأثيره تكوين الأفكار والثقافات والمعتقدات التي يجب.

ويستطيع أن يشعل حرباً وهمية لجعلها حرباً حقيقية تتساقط فيها الجماجم، وتخرب فيها العمران ليعيش الناس في قلق واضطراب، وفي مقابل ذلك يستطيع أن يهون من أمر الحروب الحقيقية ويجعلها مناوشات استعراضية فحسب.

ويستطيع الإعلام أن يصنع جواً عاماً يتحدث عنه الصغير والكبير في قضية صغيرة لا تستحق ذلك النعيق والضجيج، وفي الجانب المضاد يغفل الحديث عن قضايا الأمة المصرية ومشكلاتها الجوهرية، وإن تحدث عنها فحديثٌ عن خبر عابر لا يستدعي الوقوف عنده والانشغال به.

إخواني الكرام، إن رسالة الإعلام في الإسلام -في كل عصر- وفي كل مصر- رسالة سامية نقية لا تقبل الخضوع لباطل القول والفعل، ولا ترضى بالعمالة

النور السائر من خطب المنابر

والانتهزامية، ولا يمكن أن تبيع الحقيقة، وتستجدي الأيدي الملوثة لتغدو بوقاً لذويها. إن رسالة الإعلام في الإسلام حمل الحقيقة إلى الناس صرفة بدون غريلة وزيادة ونقصان، الصدق شعار، والأمانة في الكلمة والصورة وسيلة، وتبشير الناس بالمبشرات وإنذارهم بالمخوفات هدف وغاية، والتثبت والتبين في النقل قاعدة ومنطلق.

الإعلام في الإسلام منارة لبث الثقة والوعي الصحيح بين الناس في قضايا الدين والدنيا، ونشر الفضائل والتحذير من الرذائل وإصلاح الخلل، ومعالجة المشكلات، والتربية على الجد والعمل ونبذ القعود والكسل.

الإعلام في الإسلام بجميع وسائله: التقليدية والحديثة إضاءة متألفة هادية إلى سبل الحياة السعيدة، والقيم النبيلة الرشيدة، والهدف الصالح والمستقبل الناجح في الدنيا والآخرة.

أخوتي الفضلاء، تعالوا معي لنقارن مضامين هذه الرسالة بما عليه أكثر الإعلام هذه الأيام، وقبل هذا لا بد أن نعلم أن أصحاب الباطل وأعداء المثل والفضائل حينما علموا أهمية الإعلام وقوة إقناعه وتوجيهه للمجتمعات سيطروا عليه، وجندوا لهم جنوداً من بني جلدتنا ومن يتكلمون بألسنتنا ممن يوافقونهم في المنطلقات أو الغايات، وجعلوهم على المنابر الإعلامية المختلفة ليكونوا لهم ألسنة معبرة عن أهدافهم، ومنفذين لمخططاتهم الرامية إلى دفن الفضيلة وإحياء الرذيلة.

إن الإعلام السيء اليوم هو المستعمر الجديد للأوطان والعقول والأفكار والأخلاق والسلوك يقلبها في فضائه الموبوء كالريشة في الهواء ليوجهها حيث يشاء.

إن رجال الإعلام يعرفون الإعلام بأنه: تزويد الناس بالأخبار الصحيحة والمعلومات السليمة، والحقائق الثابتة التي تساعد على تكوين رأي صائب في واقعة من الوقائع، أو مشكلة من المشكلات، بحيث يعبر هذا الرأي تعبيراً موضوعياً عن عقلية الجماهير واتجاهاتهم وميولهم.

فانظروا إلى هذا التعريف الجميل وطابقوا ما فيه مع الإعلام السيء الدخيل.

التعريف يشترط الصدق والصحة والصواب والسلامة في نقل الخبر للجمهور لكننا نجد ذلك غير متوفر.

فالإعلام المستورد يقلب الحقائق، فيجعل الصدق كذباً، والكذب صدقاً، والحق باطلاً، والباطل حقاً، والخبيث طيباً، والطيب خبيثاً، والبطولة تهمة، والانحرافات السلوكية نجومية!

على حد قول الشاعر:

تقول هذا مجاج النحل تمدحه وإن تشاء قلت ذاقني الزنابير

مدحاً وذمماً وماجاوزت وصفها والحق قد يعتريه سوء تعبير

ولعل هذا الزمان الذي انقلبت فيه الموازين، وتولى كبرها الإعلام السيء داخل في قول النبي ص: (سيأتي على الناس سنوات خداعات يصدق فيها الكاذب، ويكذب

النور السائر من خطب المنابر

فيها الصادق ويؤمن فيها الخائن، ويخون فيها الأمين، وينطق فيها الرويضة، قيل: وما الرويضة؟ قال: الرجل التافه يتكلم في أمر العامة<sup>(١)</sup>، وفي رواية: (من لا يؤبه له)، وفي رواية: (السفيه يتكلم في أمر العامة)، وفي رواية: (الفويسق يتكلم في أمر العامة).

ومن يقرأ في الصحف والمجلات، ويسمع الإذاعات، ويشاهد القنوات السيئة ير مصداق هذا الحديث النبوي الشريف.

وكذبة الإعلام ليست ككذبة غيره؛ لأن كذبة الإعلام تبلغ الآفاق، وتسير بين الناس بسرعة متناهية، أفلا يخاف أولئك الكذبة ما جاء في حديث رسول الله حينما جاءه ملكان فابتعثاه فرأى معهما بعض الذين يعذبون بعد الموت فكان مما جاء فيه: (فانطلقنا فأتينا على رجل مستلقٍ لقفاه، وإذا آخر قائم عليه بكلوب من حديد، وإذا هو يأتي أحد شقي وجهه فيشرشر شذقه إلى قفاه، ومنخره إلى قفاه وعينه إلى قفاه قال: ثم يتحول إلى الجانب الآخر فيفعل به مثل ما فعل بالجانب الأول، فما يفرغ من ذلك الجانب حتى يصح ذلك الجانب كما كان، ثم يعود عليه فيفعل مثل ما فعل المرة الأولى، قال: قلت: سبحان الله ما هذان؟... قالوا: فإنه الرجل يغدو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق)<sup>(٢)</sup>.

أيها المسلمون، إن الإعلام السيء يجيئ جميع وسائله وطاقاته في إبراز المظاهر السلبية في المجتمعات، خاصة المجتمعات العربية والإسلامية، ولا يغطي المظاهر

(١) رواه أحمد وابن ماجه والحاكم، وهو صحيح.

(٢) رواه البخاري.



الإيجابية ويحث عليها، فوصف التخلف والرجعية والإرهاب هي الصفات الملازمة للمسلم، ونعوت التقدم والعز والسيادة هي السمات للمرافقة للصهاينة والأمريكان وإخوانهم.

والإعلام السيء يؤجج الفتن والصراعات، ويغذي الشجار والاختلافات القومية والدينية والطائفية والحزبية والعنصرية، ولا يوجد الحلول، وإنما يضع البنزين على وهج المشكلات.

والإعلام السيء يחדر الشعوب، ويشغلها بالتوافه؛ لتبقى في منأى عن همومها الحقيقية، وبذلك يكون خادماً للأعداء وعدواً للأوطان، ولا يعبر عن هوية الأمة، وإنما يعبر عن من يموله، ويحفظ له الاستمرار على منبره الإعلامي.

أمة الإسلام، وإذا جننا للحديث عن العفاف وما يلاقيه من جروح وتشويه وتنكيل وتعيير وإذلال وقهر على أيدي إعلام الشر- والضر- فحدث عن البحر؛ فإن الإعلام السيء معول حاد مؤثر، ما برح يعمل بيننا ليل نهار في بيوتنا وفي شوارعنا وفي أسواقنا وأماكن عملنا، وأسراؤه جمهور كبير من الناس صغار وكبار وذكور وإناث.

أصبح هذا المعول الهدام يأخذ ساعات طويلة من ليل كثير من الناس ونهارهم، وهم يرون أنهم يجدون في مجالسته متعة وراحة، ولا يستطيعون مفارقتة والعيش بدونه، ويشعرون أو لا يشعرون أنه يهدد بناء عفتهم واستقامة سلوكهم وأخلاقهم.

إن أعداء أمتنا يدركون أن من مصادر قوتنا وعزتنا بقاءنا محافظين على أخلاقنا

\_\_\_\_\_النور السائر من خطب المنابر

الإسلامية الحميدة، وعاداتنا الفطرية الرشيدة، فعرفوا أن ذلك لا يخدمهم ولا يعين على تنفيذ أجندهم فينا، وأن حملاتهم العسكرية لا تُثْمِت الأمة، وإنما تنبه الأعضاء النائمة منها، وتوقظها من سباتها.

فماذا عملوا؟ لقد غيروا الخطة الحربية إلى ميدان العقول، فغزوا عقولنا ليفسدوا أخلاقنا النظيفة لتفسد بعد ذلك حياتنا كلها.

فغدا إعلامهم السيء وإعلامنا التابع لهم حرباً ضروساً على العفة والطهارة، وعلى الأعفَاء والعفيفات، ويلاحظ ذلك من خلال مقروءاته ومسموعاته ومشاهدته مرثياته. لقد أصبح يؤجج الشهوات بما يعرضه من صور وكلمات في الأغاني والمسلسلات والإعلانات واللقاءات، يمدح معاول هدم العفة من التفسخ والتبرج والاختلاط ويسميها تقدماً وسعادة وحرية، ويذم وسائل العفة من زواج نظيف، وغض البصر- والحياء والحجاب، ويسميها تأخراً وكآبة ورجعية!.

و يمجّد الساقطين والساقطات ويجعلهم مثلاً للقدوة والأسوة، ويذم الأعفَاء والعفيفات ويصيرهم نموذجاً للانغلاق والمثالب، ومشهداً للسخرية والاستهزاء!.

والإعلام السيء يعلم الصغار والكبار من الذكور والإناث إقامة العلاقات المحرمة، ويبين لهم أهميتها قبل الزواج، وهذا فيه من الخطر ما تحدثت عنه أقلام المتأوهات المخدوعات.

والإعلام السيء يرشد إلى طرق الجريمة ويشجع عليها، ويشيد بأهلها، ويسلط



الأضواء ويتابع الأحداث الخادشة للصيانة والعفاف، ليثبها بين الناس ليسيروا على طريقها ويقتدوا بروادها.

والإعلام السيء يصور الانفلات الخلقي وتمرد المرأة على البيت والدين والعفة والشيم النبيلة إنجازاً وسابقة تستحق التكريم والتشجيع!.  
أيها المسلمون، هذه بعض الألغام التي زرعتها الإعلام الشرير على أرض العفاف وصيانة الأعراض.

فما هي نتائج تفجّرهما أمام العيون في البيوت والمقاهي والطرقات؟

لعل من نتائجها المؤلمة الظاهرة: إضعاف الحياء والحشمة، وظهور الاختلاط والتلاعب بالحجاب.

ومن نتائجها: كثرة المعاكسات والمضايقات التي تتعرض لها النساء، أو تعرّض المرأة نفسها لها بسوء حركاتها ودعوة ملابسها الجائعين إليها.

ومن نتائجها الموجهة: إضعاف الغيرة عند بعض الرجال.

ومن نتائجها: كراهية الدين والمتمسكين به من الرجال والنساء؛ بسبب التشويه وتعميم الأخطاء الفردية على الجميع.

ومن النتائج: حصول الإعجاب بأهل المجون والفسق، وظهور المحاكاة والتقليد في الأقوال والأفعال والأحوال، في الكلام والحركات والملابس من الرجال والنساء.

ومن النتائج: تمزيق الأسرة بحصول الخيانات الزوجية، وبعض حالات الطلاق

النور السائر من خطب المنابر

بسبب مسلسل أو صورة، والضيق بالحياة الزوجية، وفهمها أنها غُل وسجن، وأن الانفلات راحة وحرية.

ومن النتائج المرّة: حصول الفاحشة، والدعوة إليها، وبناء أماكن خاصة لها، وحماتها من كل غيرة وحياء وضبط يحاول أن يدخل إليها.

فخرج بعد هذا كله جيل لكنه -والحمد لله قليل- همه المتعة وقضاء اللذة، ولا يهتم بما يفعل أحرام هو أم حلال.

لمثل هذا يذوب القلب من ألم إن كان في القلب إسلام وإيمان  
أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم.



## الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً طيباً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وعلى آله وصحبه أهل النهى والوفاء، أما بعد:

أيها المسلمون، ومع هذا العنفوان والقوة لإعلام السوء إلا أن الحق وأهله ما تركوا الباطل يسرح ويمرح، ويفسق ويفضح، ويؤلم ويحرج، فهذه سنة الله بين الحق والباطل: صراع دائم وعراك لا يتوقف.

فقد أنشأ أهل الغيرة والحرص على هوية الأمة وعفافها وسائل إعلامية نافعة للدين والدنيا؛ لكي تحفظ عفة الأمة، وتبقي منابع الخير في الأمة ثجاجة، وترفدها بروافد أخرى تنقيها وتعليها، فظهرت صحف ومجلات وإذاعات وقنوات ومواقع وصفحات على شبكة المعلومات، وهي وإن كانت قليلة إلا إنها تسد ثغرة خطيرة فوتت على العدو بعض ما كان يصبو إليه من السيطرة المتكاملة.

وأنت أيها المسلم قد وهبك الله عقلاً تستطيع أن تميز لنفسك ولأسرتك الطيب فتصطفيه وتتابعه، والخبث فتبعده وتنازله، فتختار المقررات والمسموعات والمرئيات التي تنفعك في دينك ودنياك خلقياً وعلمياً وفكرياً وتوجيهاً إلى مصالح الدين والدنيا، قال الله تعالى: ﴿مَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ [الإسراء: ١٥].

فيا أيها المسلمون، وبعد هذا التطواف في الحديث عن العفاف ووسائل حفظه

\_\_\_\_\_النور السائر من خطب المنابر

ومعاول هدمه نقف مذكرين أنفسنا جميعاً بأهمية لزومنا حصن العفة والمرابطة فيه،  
حذرين من سلوك السبل التي توصل إلى خدشه وهدمه.

فالموفق من ذُكر فتذكر، وعُلم فتعلم، ووعظ فاتعظ، وعظات الأسماع أولى  
بالاتباع من عظات الوقائع الشخصية الموجهة.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧].

نسأل الله تعالى أن يستر عوراتنا، وأن يؤمن روعاتنا، وأن يحفظنا من بين أيدينا  
ومن خلفنا، وعن أياننا وعن شمائلنا، ومن فوقنا ونعوذ بعظمته أن نغتال من تحتنا،  
ونسأله تعالى الهدى والتقوى، والعفاف والغنى، ومن العمل ما يرضى.

هذا وصلوا وسلموا على الهادي البشير....

## سعادة النجاح (١)

الحمد لله نستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله،

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].  
 ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِطَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً  
 وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا  
 اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ  
 فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد: فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ص، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس، اعلّموا -رحمني الله وإياكم- أن كل إنسان عاقل يسعى بحثاً عن سعادته، وتحصيل وسائل سروره وراحته. ويبدل في سبيل ذلك ما يقدر عليه من جهد ووقت، ومال وغير ذلك.

(١) أُلقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في ٣٠/٣/١٤٣٥هـ، ٣١/١/٢٠١٤م.



\_\_\_\_\_النور السائر من خطب المنابر

غير أن الناس ليسوا سواء في تحديد نوع السعادة التي عنها يبحثون، لكن الجميع يتفقون على أن النجاح بذلك المطلوب من أعظم جوائز سرور النفس وراحتها، خاصة إذا جاء بعد شدة الطلب، وكثرة التعب، وكثرة الأشواق وصعوبة الطريق، فلساعة النجاح طعم آخر.

عباد الله، إن النجاح مطلب محبوب للنفوس العزيزة، وشيء يكمن في خبايا الغريزة، له لذة كبيرة، وزمان لا ينسى، يتسلى الناجحون بالحصول عليه عن آلام الطريق إليه، وبينون منه هممة مضيئة إلى آفاق نجاح آخر، فالنجاح يلد النجاح.

يعيش الناجحون حياة تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، ينفعون الحياة وينتفعون بها، فلا يزالون مصابيح إشعاع للخلق بنور نجاحاتهم وبريق طموحاتهم.

فكيف ستكون الحياة إذا لم يكن فيها نجاح وناجحون؟! فلولا النجاح لكانت الدنيا ليلاً بلا صباح، وشقاء بلا أفراح.

أيها المسلمون، إن الله تعالى خلق عباده ومنحهم مواهب وقدرات يستطيعون الوصول بها إلى النجاح في حياتهم، والفلاح في فرصة أعمارهم.

فكل إنسان يستطيع -لو أراد- أن يكون ناجحاً ناجحاً كبيراً، وأن يصير ذا شأن مرموق إليه بعين الإكبار، فينفع نفسه وبني جنسه بنجاحه، لكن إذا بحث عن نفسه في نفسه، واكتشف إبداعاته، واستغل طاقاته، واستطاع أن يوظفها توظيفاً صحيحاً.

ومن الخطأ الكبير أن يغرس الإنسان في نفسه أنه لن يقدر على النجاح، ويعجز

عن أن يكون شيئاً مهماً في الحياة، وإذا وصل الإنسان إلى عدم معرفة مواهبه فليستعن  
بغيره.

إن النجاح-معشر-المسلمين- له مجالات كثيرة، وميادين متعددة، فاختلاف  
الناس في القدرات والميول، والمواهب والعقول جعلهم يفتحون آفاقاً متنوعة لتحقيق  
النجاح المرجو، وبهذا تصلح الحياة، وينتفع كل إنسان بما لدى الآخر وينفعه بما لديه.

الناس للناس من بدو وحاضرة بعض لبعض - وإن لم يشعروا- خدم

إن النجاح قد يكون في العلم الديني أو الدنيوي، وقد يكون في الوظيفة والمهنة،  
وقد يكون في حسن ترتيب الحياة وإدارة النفس والأسرة، وقد يكون في نفع الناس  
وإيصال الخير لهم، وقد يكون في غير ذلك، فليس له مجال محدود، وليس حصراً على  
أناس معدودين، وإن حصل هناك تباين في مقدار النجاح من شخص لآخر.

أيها الأخوة الأفاضل، إن طريق النجاح قد يطول أحياناً، وكلما كان الهدف كبيراً،  
كان العناء في الوصول إليه كبيراً كذلك.

فمن أراد النجاح فليسر-إليه على خطوات مدروسة متدرجة، محدداً وجهته التي  
يصبو إليها، واثقاً من نفسه، مخططاً سبيله إلى أمنيته، باذلاً ما يستطيع من القدرات  
والوسائل حتى يعانق هدفه وبغيته.

ومن الخطأ الكبير الذي لا يقل عن الإخفاق الكبير في النهاية أن يتوجه الإنسان  
إلى شيء لا يرغب فيه، فهناك من الناس من يشكو التعاسة والضيق في وظيفته وعمله،

النور السائر من خطب المنابر

وهذا بلا شك يضعف نجاحه في ذلك المجال، فليس السبب في ذلك ضعف قدرته، وقلة موهبته، وإنما السبب أن تلك الأعمال لا تلبى طموحاته، ولا تميل إليها نفسه، ولو كان في غيرها - مما تهواه نفسه - لنجح وأنتج.

أيها المسلمون، إن النجاح عمل إنساني، يحتاج إلى مدد رباني، وسند إيماني، بالنسبة للمسلم.

فالمسلم يَنشُد العونَ من ربه، ويستمنحه تأييده وقوته؛ لإقداره على إنجاز ما يسعى إليه. وهذا الفعل - مع ذلك - عبادة يتقرب بها إلى خالقه جل وعلا.

فمهما كانت قدرة الإنسان وذكاؤه في علمه أو عمله فهو فقير إلى الله يطلب منه التوفيق والإعانة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطره ١٥].

ومن استغنى عن الله بما عنده من الإمكانيات والقدرات فقد ولج الفشل من أوسع أبوابه.

إذا لم يكن عونٌ من الله للفتى فأول ما يقضي عليه اجتهاده

فعليك - أيها المسلم - أن تستعين بالله في طريق نجاحك، وتدعوه دعاء كثيراً؛ فإنه تعالى يحب الملتحين في الدعاء من عباده.

وقد كان سيد الناجحين ص يدعو الله تعالى دعاء كثيراً في مواقف متعددة من حياته حتى نجح نجاحاً تاماً في جميع ما توجه إليه عليه الصلاة والسلام.



فقد كان يدعو الله تعالى في دعوته الناس إلى الإسلام والاستقامة بعد الإسلام، ويدعو الله في تعليمه وتربيته، وفي جهاده وغزواته، ويدعو للأفراد كما يدعو للجمع الكبير من الناس أيضاً.

فيقول عليه الصلاة والسلام للشباب الذي قال له: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه مه، فقال: أدنه، فدنا منه قريباً، قال فجلس قال: أتجبه لأمك؟ قال: لا، والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يجبونه لأمهاتهم، قال: أفتجبه لابنتك؟ قال: لا، والله يا رسول الله، جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يجبونه لبناتهم، قال: أفتجبه لأختك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يجبونه لأخواتهم، قال: أفتجبه لعمتك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يجبونه لعماتهم، قال: أفتجبه لخالتك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يجبونه لخالاتهم، قال: فوضع يده عليه وقال: (اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحسن فرجه، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء)<sup>(١)</sup>.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قدم الطفيل وأصحابه فقالوا: يا رسول الله، إن دوساً قد كفرت وأبت، فادع الله عليها، فقيل: هلكت دوس، فقال: (اللهم اهدِ دوساً وائت به)<sup>(٢)</sup>.

وقال: (اللهم منزل الكتاب، ومجري السحاب، وهازم الأحزاب، اهزمهم

(١) رواه أحمد والطبراني، وهو صحيح.

(٢) متفق عليه.



النور السائر من خطب المنابر

وانصرنا عليهم<sup>(١)</sup>.

ومن دعائه عليه الصلاة والسلام في طلب النجاح قوله: (رب أعني ولا تعن علي، وانصرني ولا تنصر علي، وامكر لي ولا تمكر علي، واهدني ويسر الهدى لي، وانصرني على من بغى علي، رب اجعلني لك شاكراً، لك ذاكراً، لك أوهاً مطواعاً، لك مخبتاً أوهاً منيباً، رب، تقبل توبتي، واغسل حوبتي، وأجب دعوتي، وثبّت حجتي، واهد قلبي، وسدد لساني، واسلل سخيمة قلبي)<sup>(٢)</sup>.

عباد الله، إن سبيل النجاح غير مفروش بالبسط الحمراء، والورد والزهور، بل عليه عقبات ومعوقات. داخلية وخارجية.

فمن المعوقات الداخلية: ضعف الهمة، وفتور العزيمة، والنجاح لن يولد في أرض العزيمة الخائرة والهمة الفاترة، وهذا الخور قد يطرأ على بعض الناس بعد توهج الهمة حينما يرى صعوبة الطريق وظهور التعب، والعامل يستصغر تعب البداية لراحة النهاية، وهذه شيمة النفوس الكبيرة، قال أبو الطيب:

وإذا كانت النفوس كباراً      تعبت في مرادها الأجسام

وقال أيضاً:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم      وتأتي على قدر الكرام المكارم

(١) متفق عليه.

(٢) رواه الترمذي وابن ماجه وابن حبان وهو صحيح.

فتعظّم في عين الصّغير صغارها وتصغر في عين العظيم العظائم

وقال غيره:

بقدر الكد تكتسب المعالي ومن طلب العلا سهر الليالي

ومن المعوقات الداخلية: عدم الأخذ بأسباب النجاح الممكنة؛ لأن النجاح لا بد له من حركة دؤوب، ونشاط وبذل؛ لأن الحياة قائمة على الأخذ بالأسباب، فمن أخذ بأسباب النجاح وصل إليه، ومن ترك تلك الأسباب استضافته الخيبة والفشل. يقول تعالى في طلب الرزق: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك ١٥].

وقال رجل للنبي ص: أرسل ناقتي وأتوكل؟ قال: (اعقلها وتوكل) (١).

وفي عصرنا الحاضر عندما لم يأخذ المسلمون بكثير من أسباب النجاح الدنيوي تأخروا في التطور الحياتي، وحينما أخذ بها الكفرة سبقوا في التقدم الدنيوي ووصلوا إلى ما وصلوا إليه اليوم حتى ملأوا سمع الحياة وبصرها مما أنتجوا وأبدعوا وقدموا للحياة والأحياء.

أما المعوقات الخارجية فيقف على رأسها: محاربة النجاح والناجحين والإبداع والمبدعين في الدول العربية في أكثر مجالات الحياة النافعة.

فالعقول العربية المسلمة لو أتيحت لها الفرصة وهيئت لها المؤسسات والمراكز البحثية التي تُعنى بالإبداع والمبدعين من الفكرة حتى الإنتاج، واستغلت تلك

(١) رواه الترمذي وابن حبان، وهو حسن.

النور السائر من خطب المنابر

المواهب واستثمرت تلك الجهود لاستطاعت أن تقضي- على كثير من التخلف الحضاري التي تعانيه المجتمعات المسلمة.

وقد أظهرت بعض الإحصائيات مدى القضاء على العقل العربي المبدع الذي لم تتسع له المساحة العربية فخرج منها أو أجبر على الرحيل عنها إلى أرضٍ أرحب وأرغب وأحرص على استيعابه وجني ثمرات تفكيره.

ففي إحصائية تقول: إنه في عام ١٩٦٩م-١٩٧٠م بلغ عدد المهاجرين إلى الولايات المتحدة وحدها أكثر من ستة عشر ألف عالم من البلاد العربية والإسلامية!

وفي إحصائية أكاديمية مصرية أظهرت أن عدد الذين هاجروا من مصر من العلماء المتخصصين بلغ أكثر من مليونين، بينهم ستمائة وعشرون في تخصصات نادرة.

فقارنوا هذا بما يحصل في الدول الغربية من الاهتمام والرعاية بكل صاحب فكرة نافعة وإبداع مفيد.

أيها المسلمون، إن النجاح حينما يكون سمة بارزة في حياة المسلمين أفراداً وجماعات سيكون له أثره الحسن عليهم وعلى غيرهم. سيجدون بذلك الحياة المستقرة الرغدة، والتقدم المنشود، والإنتاج النافع المتنوع، فإذا ازدهرت مجتمعاتهم سيكون ذلك دعوة غير مباشرة للكفار لكي يسلموا ويدخلوا في هذا الدين الذي يصلح الدنيا والآخرة.

ففي القرون الوسطى كانت الحضارة الغربية في الحضيض، وكانت أوروبا تعيش



في ظلام دامس، وكانت-آنذاك- الأندلس هي قبلة العلم والمعرفة التي كان يفد إليها المتعلمون من كل مكان، حتى كان بعض ملوك أوروبا يبعثون أولادهم للدراسة هناك، وانظروا كيف انقلبت الأحوال بعد ذلك إلى يومنا هذا.

عباد الله، إن من المفاهيم الخاطئة في عصرنا العربي أن يقاس النجاح بالشهادات والوظائف والمناصب، ولا يقاس بالأعمال والإنتاج.

إن النجاح الحق هو ما ظهر أثره في الواقع من نفع الناس والنهوض بهم، فنجاح الطالب في تفوقه الدراسي الذي يثمر عائداً صالحاً للمجتمع من تلك الدراسة، ونجاح المعلم في انتقان تخصصه وحسن تعليمه، وكذلك نجاح كل موظف وعامل في براعته في عمله، وأداء الحق الموكل إليه فيه.

هذا بالنسبة للأفراد وأما الحكومات فنجاحها في استقرار البلاد، ورفع مستوى الاقتصاد، وشعور الناس بالأمان، وهيبة السلطة بين العباد.

أما الشهادات فبعضها صحيح وبعضها الآخر مزور أو مغشوش، فما أكثر الشهادات ولكن ما أقل أثرها في الواقع!

سأل طالب في جامعة ما أستاذه عن مثال لشهادة الزور، وكان الطالب في السنة الجامعية الأخيرة، فتعجب المعلم من سؤال الطالب، فما كان منه إلا أن قال: مثلها الشهادة التي ستستلمها بعد ستة أشهر!!

قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

## الخطبة الثانية

الحمد لله مُعين المتقين، وموفق الطائعين، ومؤيد المخلصين، وناصر عباده المؤمنين، والصلاة والسلام على سيد الناجحين، محمد بن عبد الله الصادق الأمين، وعلى آله وصحابه أجمعين، أما بعد:

أيها المسلمون، سيق الحديث في الخطبة الأولى عن النجاح الديني النافع الذي يشترك فيه المسلم والكافر، والبر والفاجر، وهو نجاح محدود في حجمه وصفته، وزمانه ومكانه، ونتائجه وآثاره، وهو نجاح -أيضاً- قد يكون فيه بعض الضرائب التي يدفعها الناجح من وقته وقوته، وماله وجهده، وهذا لا بد منه، غير أن هناك ضرائب أخرى تكون ثمن النجاح إذا نبت في أرض قوم يكرهون النجاح والناجحين، فقد تصل نتيجة النجاح إلى خوف المبدع على حياته، وذهاب جهوده إلى غيره أو قتل طموحه وهو على وشك الشروق والظهور، وعند ذلك يكره نجاحه واليوم الذي ولدت فيه تلك الفكرة، وقد يُسلم نفسه في النهاية إلى الكبت والأمراض النفسية أو الموت على سرير القهر والندم على جريمة النجاح! وهذه أمور واردة على بعض النجاحات وبعض الناجحين وليست على الجميع.

لكن هناك نجاح من نوع آخر يُحاط بالعناية الإلهية، والسعادة الأبدية، لا يلحقه خوف ولا ندم، ولا حزن ولا كدر، هو النجاح الأخروي، والقيام الصادق بالمهمة التي خُلق لأجلها الإنسان، فالفلاح والفوز الحقيقي إنما يكون لمن نجح في هذا

المجال.

يقول تعالى في بعض مفردات هذا النجاح: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ، إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ، فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ، أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ، الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١-١١].

إن نجاح الأمة الحقيقي-يا عباد الله، في هذه الدنيا يوم تحكّم شريعة الله في الأرض، وليس النجاح حينما ترفع راية محاربة دينه، وإقصاء شريعته في حكم الناس.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾

[النور: ٥٢].

فالنجاح الحقيقي يكون بالعمل بطاعة الله أمراً ونهياً، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْبَرُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [التوبة: ٢٠].

والنجاح الحقيقي حين تُؤثر الآخرة على الحياة الدنيا، فعن أبي يحيى صهيب بن سنان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كنت قد هممت بالخروج مع رسول الله فصدني فتیان من قريش فجعلت ليلتي تلك أقوم ولا أقعد فقالوا: قد شغله الله عنكم ببطنه ولم أكن شاكياً

النور السائر من خطب المنابر

فقاموا فلحقني منهم ناس بعدما سرت بريداً ليردوني فقلت لهم: هل لكم ان أعطيكم أواقى من ذهب وتخلون سبيلي وتفون لي، فتبعتهم إلى مكة فقلت لهم: احفروا تحت أسكفة الباب فإن تحتها الأواق، واذهبوا إلى فلانة فخذوا الحلتين، وخرجت حتى قدمت على رسول الله ص قبل أن يتحول منها يعني: قباء فلما رأي قال: (يا أبا يحيى، ربح البيع) ثلاثاً، فقلت: يا رسول الله، ما سبقني إليك أحد، وما أخبرك إلا جبريل عليه السلام<sup>(١)</sup>.

والنجاح الحقيقي يوم يخرج الإنسان من هذه الدنيا بالشهادة الكبرى: لا إله إلا الله، محمد رسول الله ص.

قال رسول الله -ص: (من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة)<sup>(٢)</sup>.

والنجاح الحقيقي يوم يأتي المسلم يوم القيامة بصلاة تامة غير ناقصة، قال رسول الله ص: (إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر)<sup>(٣)</sup>.

والنجاح الحقيقي يوم يأخذ الإنسان كتابه بيمينه يوم القيامة، ويعلن في الموقف نجاحه لكل الناس، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَآؤُمْ أَقْرَبُوا كِتَابِيهِ، إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهِ، فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ، فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ، قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ، كُلُوا

(١) رواه الطبراني والحاكم، وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٢) رواه أحمد وأبو دود، وهو صحيح.

(٣) رواه الأربعة، وهو صحيح.





وَأَشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿١٩﴾ [الحاقة: ١٩-٢٤].

والنجاح كل النجاح يوم يدخل الإنسان الجنة ويُزحزح عن النار، قال تعالى: ﴿فَمَنْ زُحِزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمْتَاعٌ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران ١٨٥].

أيها المسلمون، إن نجاح المسلم في دينه وآخرته لا يعني أبداً التكاثر في طلب نجاحات الدنيا الصالحة الممكنة، بل سعي المسلم إلى نجاح الدنيا أمر مطلوب، قد يصل أحياناً إلى درجة الفرض العيني أو الكفائي.

لكن المراد من هذا عدم تغليب الاهتمام بالدنيا على الاهتمام بالآخرة؛ بسبب الانشغال بنجاح الحياة الزائل.

فما أجمل أن يكون المسلمون ناجحين في دينهم ودنياهم وآخرتهم؛ ولهذا كان رسول الله ص يدعو فيقول: (اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةٌ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلْ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ) (١).

ما أجمل الدينَ والدنيا إذا اجتمعا وأقبح الكفرَ والإفلاس في الرجل

هذا وصلوا على من أمرتم بالصلاة والسلام عليه...

(١) رواه مسلم.

## الاستعداد للآخرة (١)

الحمد لله رب العالمين، إله الأولين والآخرين، ومالك يوم الدين، أحمدُه حمداً يليق بجلاله على كثرة نواله، حمداً نستجلب به نعمه، ونستدفع به نقمه، ونستكثر عطياه، ونصبر النفس في بلواه، أشهد أنه الواحد الأحد، الفرد الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد.

وأشهد أن محمداً عبده المصطفى، ورسوله المجتبي. إمام المتقين، وسيد المرسلين، وحيب رب العالمين، خير من دعا وأرشد، وتبتل وتعبد، وتقلل من الدنيا وترهد، وقد عرّضت عليه الخزائن فأبأها، ورغب فيما عند الله فنالت نفسه عنده مرادها ومناها، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين، وصحابته الميامين، وأزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين، وسلّم تسليماً.

أما بعد:

فأوصي نفسي- وإياكم -أيها الناس- بوصية الله لعباده كافة: أولهم وآخرهم، خاصتهم وعامتهم، ألا فاتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون.  
عباد الله، إنها مكان وزمان: مكان محصور، وزمان محدود، مكان نعرفه ونألفه،

(١) أُلقيت في ٧/١١/١٤٢٨هـ، في مسجد ابن تيمية.



نسير عليه ونأوي إليه، وزمان نعلم انتهاء وقته، ونجهل وقت انتهائه، إنها مركب عبور، لا منزل حبور، وموطن غرور، لا مهد سرور، تتزين بكل زينة، وتتلون بلون كل طينة. وهي كعجوز شمطاء، قبيحة شوهاء، ومع ذلك فكم خدعت من مغرور بمظهرها، وسبت عقل من لم يعرف جوهرها.

تبدو حقائق، وهي أوهام، وتراءى للناظر وهي:

أحلام نوم أو كظل زائل... إن اللبيب بمثلها لا يخدع

تلكم -أيها الناس- الدنيا دارُ النفاذ، لا دار الإخلاد، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس ٢٤].

عباد الله، كانت هذه الدنيا -ولاتزال- مزرعة يضع فيها الزراع بذورهم من العمل؛ ليحصدوا ثمر ما زرعوا في الدار الآخرة، إن أحسنوا البذر حسنَ حصادهم، وطابت ثمرتهم، وإن أساؤا ساء منقلبهم، وجاعوا وقت الحاجة، ولا سبيل إلى قضائها وقد فرطوا في زمن البذر، وندموا حين رأوا الناس يحصدون ويبتهجون بما أدخروا لهذا اليوم.

لم يوجد الناس على هذه الحياة ليعيشوا عيش الخالدين؛ فيعمروها ويخربوا الدار التي وعدوا بالخلود فيها؛ فإن الله خلق خلقه لغاية وهدف، ولم يخلقهم لأكل وشرب،

النور السائر من خطب المنابر

وترف ولعب وعبث فقال الحكيم العليم: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

تجلّت هذه الحكمة في قول ربنا الكريم: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

إنها عبادة الله وحده، فإذا ما انتهت هذه الحياة عُرضت للناس نتائجها في دار القرار والأبد.

ليطمئن الطائع إلى ثواب الله وحسن نزله، وينال الخارج عن طاعة ربه جزاء فسوقه وإعراضه، فيظهر بذلك عدل الحكم العدل، ولا يظلم ربك أحداً.

عباد الله، إن الله تعالى جعل الدنيا مقر تكليف بأمره ونهيه فقال تبارك وتعالى لآدم عليه السلام ولإبليس لعنه الله حين أهبطا من السماء: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [طه: ١٢٣].

فانقسم الخلق في الدنيا إلى قسمين: أحدهما: أنكر أن للعباد داراً بعد الدنيا يثابون أو يعاقبون على ما عملوا فيها. وهؤلاء يمثلهم إبليس ومن كفر من الجن والإنس.

قال الله فيهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ، أُولَئِكَ مَاوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يونس: ٧-٨].

وهؤلاء همهم التمتع في الدنيا بلذاتها وشهواتها قبل موتهم ورحيلهم عنها. فهم -



في الرغبات والنزوات - كالأنعام في صور الأنعام، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى هُمْ﴾ [محمد ١٢].

والقسم الآخر: من يقرون بدارٍ بعد الموت للحساب على ما عملوا في الدنيا، ويمثلهم آدم ومن أسلم من الجن والإنس، وهم منقسمون إلى ثلاثة أصناف حسب أعمالهم:

ظالم لنفسه، ومقتصد، وسابق بالخيرات بإذن الله، فصنف الظالم لنفسه: - وهم الأكثرون - وقفوا مع زهرة الدنيا وزينتها فأخذوها من غير وجهها، واستعملوها في غير محلها. صارت الدنيا أكبر همهم، ومبلغ علمهم، بها يرضون، ولها يغضبون، ولها يوالون، وعليها يعادون، يعلمون دقيقتها وجليلها، ويصدق فيهم قول القائل:

أبنيَّ إن من الرجال بهيمة      في صورة الرجل السميع المبصر -  
حزق بكل مصيبة في عيشه      وإذا أصيب بدينه لم يشعر

هؤلاء هم أهل اللهو واللعب، والزينة والفتور، وإن كانوا يؤمنون بالآخرة إيماناً مجملاً. فهم لم يعرفوا المقصود من الدنيا ولماذا كانت الحياة فيها.

وأما صنف المقتصد، فهم الذين أخذوا الدنيا من وجوهها المباحة، وأدوا الواجب فيها، وأمسكوا الزائد بعد الواجب على أنفسهم، يتوسعون فيه بالتمتع بشهوات الدنيا. وهؤلاء لا عقاب عليهم في ذلك إلا أنه ينقص من درجاتهم، كما قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لولا أن تنقص من جناتي لخالفتمكم في لين عيشكم، ولكن سمعت الله عير قوماً

النور السائر من خطب المنابر

فقال: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا﴾ [الأحقاف ٢٠].

وأما صنف السابق بالخيرات، فهم الذين فهموا المراد من الدنيا وعملوا بمقتضى ذلك، فعلموا أن الله إنما أسكن عباده في هذه الدار ليلوهم أيهم أحسن عملاً، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف ٧].

فاكتفى السابقون منها بما يكفي المسافر ويخفف عليه ثقله، ويسهل عليه السرعة والقدوم على الوطن، كما قال النبي ص: (مالي وللدنيا، إنما مثلي ومثل الدنيا كراكب ظل تحت شجرة ثم راح وتركها)<sup>(١)</sup>. ومتى ما أخذ السابق من شهواته المباحة، ونوى بها التقوي على طاعة الله كانت طاعاتٍ يؤجر عليها. قال رسول الله ص: (وفي بضع أحدكم صدقة). قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: (أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر)<sup>(٢)</sup>.

وقال معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "إني لأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي".

قال سعيد بن جبير: "متاع الغرور ما يلهيك عن طلب الآخرة، وما لم يلهك فليس بمتاع الغرور، ولكن متاع بلاغ إلى ما هو خير منه".

عباد الله، إن السابقين رأوا أن هذه الدنيا ليست وطنهم الذي به يستقرون، ومقام

(١) رواه أحمد وابن حبان، وهو صحيح.

(٢) رواه مسلم.



مستقبلهم الذي له بينون، وإنما هي منزل سفر عما قريب عنه يرتحلون، ومهيع غربة لا راحة فيه ولا أنس، فتهيأوا بزادهم الكافي في هذا السفر. قال عبدالله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أخذ رسول الله صل بمنكبي وقال: (كن في الدنيا كأنك غريب، أو عابر سبيل)، وكان ابن عمر يقول: "إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك" (١).

فالناسك السالك في هذه الحياة كعبد أرسله سيده في حاجة إلى غير بلده فشأنه أن يبادر بفعل ما أرسل فيه، ثم يعود إلى وطنه، ولا يتعلق بشيء غير ما هو فيه.

أيها الناس، يعمل كثير من الخلق للدنيا يظنون بقاءها، وعدم التحول عنها، وهي ذاهبة عنهم وذاهبون عنها، لا قرار ولا استمرار، وما هي إلا كالثلج وضع في الشمس فلا يزال في الذوبان حتى ينتهي.

قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "ارتحلت الدنيا مدبرة، وارتحلت الآخرة مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا؛ فإن اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل".

بينا -يا عباد الله- يسرح الناس ويمرحون في الدنيا يعمرونها ويلتهون بها، إذا بهم يفاجئون بداعي الحق ينادي: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩]. لقد مات صاحب الجاه العريض، الذي غره جاهه، فهل دفع حشمه

النور السائر من خطب المنابر

وجنده قبضةً روحه؟! ومات صاحب المال الطائل الذي أطغاه ماله، فهل أغنى عنه ماله وما كسب؟! ماذا أخذ من ماله إلى قبره؟! لمن ترك الدنيا؟ لقد تعب فيها واجتهد على تحصيلها، وهكذا يفارقها وتفارقه، ويخرج منها بقطعة من القماش يستوي فيها مع الفقير المعدم الذي لم يملك من الدنيا ما ملك. لقد مات هؤلاء ومات غيرهم ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ، وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن ٢٦-٢٧].

نعم -يا عباد الله- هكذا الدنيا سريعة الذهاب، قريبة الغياب.

لا راحة فيها ولا اطمئنان، هموم وأكدار، آلام وأسقام، إذا أقبلت نزل الهم والتعب، وإن أدبرت جثم الحزن والغم، لا يستريح المؤمن إلا بمغادرتها.

مُرَّ على رسول الله صل بجنائز فقال: (مستريح ومستراح منه) قالوا: يا رسول الله، ما المستريح والمستراح منه؟ قال: (العبد المؤمن يستريح من نصب الدنيا وأذاها إلى رحمة الله، والعبد الفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب)<sup>(١)</sup>.

عباد الله، لماذا الركون والميل إلى حياة أمدح ما فيها أنها زينة ومتاع، ومن طبيعة الزينة والمتاع سرعة التحول، وقرب التبدل؟! ثم ماهي إلا مضمار لعبٍ وهو زينة وتكاثر وتفاخر، بينما هي في نضارتها الزائفة، يمتد إليها الهلاك فتصبح أثراً بعد عين، وحطاماً بعد ابتهاج.

قال الله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي

(١) متفق عليه.



الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ  
حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ  
الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ [الحديد ٢٠].

وماذا ترجو من حياة متاعها قليل، ونعيمها مُشرب بعناء، وموعد بفاء قال  
تعالى: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء ٧٧].

فعلام يفرح الناس بها، ويسكنون إليها، وهي لا تستحق أن يفرح بها؟! قال الله  
تعالى: ﴿وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾ [الرعد ٢٦].

إنها هينة عند الله تعالى حقيرة لا تساوي شيئاً يذكر.

في صحيح مسلم عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِالسُّوقِ دَاخِلًا مِنْ  
بَعْضِ الْعَالِيَةِ وَالنَّاسِ كَنَفْتِهِ فَمَرَّ بِجَدِي أَسْكَ مَيِّتٍ فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ ثُمَّ قَالَ: (أَيْكُمْ  
يَجِبُ أَنْ هَذَا لَهُ بَدْرُهُمْ؟)، فَقَالُوا: مَا نَحْبُ أَنَّهُ لَنَا شَيْءٌ وَمَا نَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ: (أَتُحِبُّونَ  
أَنَّهُ لَكُمْ؟) قَالُوا: وَاللَّهِ لَوْ كَانَ حَيًّا كَانَ عَيْبًا فِيهِ؛ لِأَنَّهُ أَسْكَ، فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ؟ فَقَالَ:  
(فَوَاللَّهِ لِلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ). اللَّهُ أَكْبَرُ، هَذِهِ حَقِيقَةُ الدُّنْيَا

و عن المستورد بن شداد الفهري عن النبي ص قال: (والله ما الدنيا في الآخرة إلا  
مثل ما يجعل أحدكم إصبعه هذه في اليم فلينظر بم يرجع؟!)(١).

عباد الله، ألا وإن الدنيا جديرة بالانتباه والمعرفة؛ لأنها مليئة بالفتن المعترضة في



النور السائر من خطب المنابر

طريق الآخرة، فتن الشبهات وفتن الشهوات التي تتخطف السالكين ممن قل نصيبهم من العمل الصالح الخالص، ومن العلم النافع المنير.

فطوبى لعبد زَمَّ نفسه وهواه، ونأت عن مواطن الفتن ميوله وخطاه، وأودع في محاضن الخير جوارحه وفؤاده، وسلّم لشرع الله طاعته وانقياده.  
أيها الناس، إن نبينا الرحيم عليه الصلاة والسلام لم يخف علينا إِدْبَارَ الدنيا، وإنما خاف علينا إِقْبَالَهَا.

فقال ص: (فوالله ما الفقرَ أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتلهيكم كما ألتهيهم)<sup>(١)</sup>.

فحذاري حذاري - معشر المسلمين - أن تستهويني الدنيا؛ فنكون أسارها، ورهن يُمناها، فلا نستطيع - حينذاك - الفكّك من بين أيابها.

أيها الكرام الأفاضل، اعلموا أن ذم الدنيا الوارد في الكتاب والسنة وفي كلام العقلاء ليس لزمانها الذي هو الليل والنهار؛ فإن الله جعلها خلفه لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا.

وليس راجعاً إلى مكانها الذي هو الأرض وما أودع فيها من آياته المنشورة: من جبال وبحار، وغير ذلك من متحرك ومن ساكن، فإن ذلك كله من نعم الله على

(١) رواه مسلم.



عباده؛ لما ينالون منها من نفع وفائدة. وليس راجعاً إلى العمل والكد الجاري فيها؛ لسد الحاجة وستر الحال؛ فإن ذلك مطلوب فيها قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [المالك ١٥].

وإنما الذم راجع إلى أفعال بني آدم الواقعة في الدنيا؛ لأن غالبها واقع على غير الوجه الذي تُحمد عاقبته، وتُجنى فائدته.

والذم أيضاً راجع إلى جعلها غاية وهدفاً، ينصب إليه هم الإنسان وفكره وعمله، مع الغفلة بها عن الهدف الأسمى الذي خلق له الإنسان.

ولهذا فإن الدنيا نعمة من الله تعالى على المؤمن؛ لأنه لم يدخل الجنة إلا حينما كانت ظرف عمله ومزرعة زاده.

قال الحسن البصري رحمه الله: "نعمت الدنيا داراً كانت للمؤمن؛ وذلك أنه عمل قليلاً، وأخذ زاده منها للجنة، وبئست الدنيا داراً كانت للكافر والمنافق؛ وذلك أنه ضيّع ليلاليه وكان زاده منها إلى النار".

وسئل أحد السلف: ماهي الدنيا التي ذمها الله في القرآن؟ والتي ينبغي للعاقل أن يتجنبها؟

فقال: "كل ما أصبت في الدنيا تريد به الدنيا فهو مذموم، وكل ما أصبت منها تريد به الآخرة فليس منها".

ألا وإنها فرصة -يا عباد الله- لا تعود، وهبة لا تتكرر، ألا فاعملوا واغتنموا عمركم

النور السائر من خطب المنابر

فيها، بما يسعدكم يوم المعاد، قبل الندم على زمن مضى- وعمر انقضى- بلا زاد، فكم من متمن يتمنى الرجعة والأوبة، ولكن هيهات الرجوع بعد ما ذهبت أيام الدنيا ولياليها قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ، لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَاتِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمٍ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠].

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.



## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الأمين وعلى آله وصحبه  
أجمعين، أما بعد:

معشر المسلمين، لما علم الصالحون أن العيش الحقيقي ليس على هذه الدار، وإنما  
هو في دار القرار، وأن الحياة الكاملة الناعمة إنما هي حياة الآخرة صُغرت الدنيا في  
أعينهم، وهانت عليهم أن يجعلوها في قلوبهم، كما فعل أبناء الدنيا.

بنو الدنيا بجَهْلٍ عَظْمِها... فجَلَّتْ عندهم وهي الحقيرة

يَهَارِشُ بعضهم بعضاً عليها... مهارشة الكلاب على العقيرة

لم يجزن الصالحون على ما فاتهم منها، ولم يفرحوا بما نالوا من حطامها، وأخذوا من  
عَرَضِها الزائل زاد الراكب حتى بلغوا وجهتهم السعيدة، عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت:  
ما شبع آل محمد منذ قدم المدينة من طعام بُرِّ ثلاث ليال تباعاً حتى قبض<sup>(١)</sup>.

وقالت: (كان فراش رسول الله ص من آدم، حشوة ليف)<sup>(٢)</sup>.

كان عليه الصلاة والسلام يستطيع أن يكون أغنى الناس وأترفهم، يأكل ويشرب  
ويلبس ويسكن ما يريد، ولكنه سما عن ذلك إلى ادخارها إلى مكان آخر، ورضي

(١) رواه البخاري.

(٢) متفق عليه.

بالقليل ليلقى هناك الكثير.

وأعرض عما يبلى لينال ما يبقى، فخرج من الدنيا خفيفاً غير مثقل، ومات ودرعه مرهونة بدرهمين قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب ٢١].

ألا -يا عباد الله- فاعرفوا هذه الحقائق ولا تجهلوا، فإذا عرفتموها فلا تغفلوا عن العمل الصالح، والاستعداد بخير زاد ليوم المعاد.

واصبروا اليوم لترتاحوا غداً، فما وجد الراحة من لم يصبر، وخذوا من الدنيا ما يكفيكم في هذه الرحلة، ولا تكثروا؛ فتثقلوا فيصعب عليكم المسير، ويطول عليكم الحساب.

ولا تنظروا إلى آلام الطريق فتقفوا عندها، بل جاوزوها؛ فعماً قريب ترون دار الأجابة فيذهب عندها تعب الطريق. وسارعوا واستبقوا الخيرات، فما أقرب وصول من جدّ في السير ليلته ونهاره.

قال ربنا الكريم: ﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مَوْلِيهَا فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ﴾ [البقرة ١٤٨].

وقال رسولنا ص: (من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة)<sup>(١)</sup>.

(١) رواه الترمذي والحاكم، وهو صحيح.



وانتصرِوا-عباد الله- على قطاع الطريق: على النفس والهوى والشيطان،  
بالمجاهدة والمصابرة، وبالأمل إلى موعود الله تعالى.

وقل لنفسك - يا عبد الله- إذا اشتهدت الحرام: صبراً قليلاً فعما قريب تنالين  
هناك أعظم مما تشتهيئه هنا فأعينيني هنا تغنمي هناك.

وارتحل بقلبك إلى تلك المنازل التي ينتظر قدومك فيها ملائكةٌ مستقبلون  
يقولون: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٤].

وفيها أهل مشتاقون أمضهم الانتظار على باب الجنة، لك فيها دار بُنيت فيها ما لا  
عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

ألا فطلقوا الدنيا الفانية لتتزوجوا الآخرة الباقية؛ إذ لا يجوز الجمع بين أختين:

إن الله عبداً فطناً	طلّقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا إليها فلما علموا	أنها ليست لحبي سكتنا
جعلوها الجنة واتخذوا	صالح الأعمال فيها سفناً

وصلوا وسلموا على الهادي البشير، والسراج المنير.....

## إياكم واللعن (١)

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ وَأَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ اللَّهُ لِلْعَالَمِينَ، وَحِجَّةً لِلْخَلَائِقِ أَجْمَعِينَ، فَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].  
 ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً  
 وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].  
 ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ  
 فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإنَّ أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمدٍ ص، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثة بدعة، وكلُّ بدعة ضلالة، وكلُّ ضلالة في النار..  
 أيها الناس، إن اللسان عضو صغير، لكن أثره في الخير، أو الشر. كبير، فهو المعبر

(١) أُلقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في ٣٠/٢/١٤٣٤هـ، ١٢/١/٢٠١٣م.





عن قدر الإنسان وقيمته رفعة أو ضعة: يعلي الإنسان أو يدنيه، ويكرمه أو يهينه، ويزينه أو يشينه، ويقربه من الناس أو يبعده عنهم.  
والإنسان بلسانه:

لسان الفتى نصفٌ ونصفٌ فؤاده فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

إذا زل اللسان فقد يهلك بزلله صاحبه في الدنيا أو الآخرة، وإذا أصاب فقد يسوقه إلى خيري الدنيا والآخرة. فاللسان قائد إما إلى الجنة، وإما إلى النار.  
عباد الله، لهذا كله أمر الإنسان بحفظه، وخطمه، ومراقبته وكفه، وترك إرساله في غير الحق.

قال الله تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

والمأمل في أحوال الناس مع اللسان يجد تساهلاً كثيراً، نتج عن ذلك جنائيات لسانية عديدة أورثت غرامات دينية ومجتمعية غير قليلة، وغير يسيرة، حينها يتندم الإنسان على عواقب إطلاق هذه الجارحة دون تفكير، ورسولنا ص يقول: (ولا تكلم بكلام تعتذر منه غدا)<sup>(١)</sup>.

أفما خيراً للإنسان-يا عباد الله- أن يمسك عليه لسانه في غير الرشد، ويحبسه قبل أن يصير أسير سقطاته وتعدياته؟!.

أيها المسلمون، ألا وإن من أعظم آفات اللسان خطراً، وأبلغها أثراً، وأفتكها

(١) رواه أحمد وابن ماجه والطبراني والحاكم، وهو حسن.

النور السائر من خطب المنابر

ضرا، وأحدها شررا: زلة لسانية لم يبال في التفوه بها الكبير والصغير، والرجل والمرأة، في البيوت والأسواق، وفي الطرقات وأماكن الاجتماع، وفي الجد والهزل: هذه الخطيئة والجريرة الكبيرة هي: التلاعن بلعنة الله، والعياذ بالله تعالى.

كم يسمع السامع من يلعن نفسه، أو زوجته، أو ولده، أو دابته، ومركوبه، بل لم يسلم من ذلك الأرض التي يمشي عليها، والريح التي تمر به، والزمان والعيش الذي قسم له.

وهذا إثم لعمر الله صار ديدناً وعادة لدى بعض الناس، حتى نطقت به الألسنة بدون خجل، واستمراته الأسماع من غير نكير، وجهل الناطق، أو تجاهل عظم ذنب هذا اللفظ النابي الجرح، وشدة خطره وعقوبته.

عباد الله، إن اللعن يعني الطرد والإبعاد عن رحمة الرحيم الرحمن، فمن قال لإنسان: اللهم العن فلاناً، فمعناه: اللهم اطرده من رحمتك، وأبعده عن قربك ورضوانك. عياداً بالله؛ ولهذا جعل لعن الإنسان المعين كبيرة من كبائر الذنوب التي لا تكفر إلا بالتوبة النصوح، وإصلاح الخلل.

قال بعض العلماء: حتى ولو كان الإنسان كافراً؛ فإنه لا يجوز لعنه بعينه مادام حياً؛ فلعله أن يسلم ويهتدي إلى دين الحق. عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه سمع رسول الله ص إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الآخرة من الفجر يقول: (اللهم العن فلانا وفلانا وفلانا بعد ما يقول: سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد فأنزل الله: ﴿ليس لك من

الأمر شيء إلى قوله فإنهم ظالمون ﴿١﴾.

وعند أحمد في مسنده: كان يدعو على أربعة، قال: فأنزل الله: ﴿ليس لك من شيء﴾ قال: وهداهم الله للإسلام.

وعن أبي هريرة قال: قيل: يا رسول الله ادع على المشركين قال: (إني لم أبعث لعانا وإنما بعثت رحمة) ﴿٢﴾.

وقد جاء هذا المنع -عباد الله- لبيان أن عرض الإنسان مصون، وحقه محفوظ، وكرامته محترمة، وحال الإنسان وتقلبات قلبه بيد علام الغيوب. فالمسلم أعظم الناس حقاً أن يصابن عرضه، ويسلم جانبه من السب والثلب، والطعن واللعن. فلعنه معصية وذنب وبيل وتعدُّ ظلوم؛ إذ كيف يُطرد من رحمة الله من هو أقرب الناس إليه، أو يدعى عليه بالهلاك والأرض وأهلها في حاجة إلى بقائه؟!.

ولهذا قال رسول الله ص: (ولعن المؤمن كقتله) ﴿٣﴾.

فانظروا -عباد الله- إلى هذه العصمة، وإلى عظم التعدي عليها، فالقاتل يقطع المقتول عن منافع الدنيا، واللاعن للبريء يريد أن يقطع من لعنه عن رحمة الله في الدنيا والآخرة.

أيها المسلمون، وللعجب أن يأخذ مكانه ممن يلعن الحيوانات والدواب التي تقوم

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه مسلم.

(٣) متفق عليه.

النور السائر من خطب المنابر

بخدمته، ويناظ بها تحقيق مصلحته، وقضاء حاجته، وهي غير مكلف ولا عقل لها، وإنما هي مسخرة ومصرفة مذللة.

عن عمران بن حصين قال: بينما رسول الله ص في بعض أسفاره وامرأة من الأنصار على ناقة فضجرت فلعتها فسمع ذلك رسول الله ص فقال: (خذوا ما عليها ودعوها فإنها ملعونة) قال عمران: فكأنني أراها تمشي في الناس ما يعرض لها أحد<sup>(١)</sup>.

وإنما فعل رسول الله ص ذلك عقوبة لصاحبته؛ لئلا تعود إلى مثل قولها؛ إذ الدابة لا تستحق اللعن، أو أم الله استجاب الدعاء باللعن لقوله: فإنها ملعونة.

ومرة لعن رجل ديكاً فقال رسول الله ص: (لا تلعنه؛ فإنه يدعو إلى الصلاة)<sup>(٢)</sup>.

وتأملوا معي-يا عباد الله- في قوله عليه الصلاة والسلام: (لا تلعنه؛ فإنه يدعو إلى الصلاة): هذا فيه بيان أن من فيه نفع للخلق لا ينبغي لعنه، فماذا يقال عن أولئك الذين يتعرضون للعلماء بالسب والطعن واللعن وتأليب الرأي العام ضدهم، وهم حراس دين الله في الليل والنهار؟!.

قال أبو الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "ما لعن أحد الأرض إلا قالت الأرض: لعن الله أعصانا لله".

معشر-المسلمين، هناك من الناس صنف لم يكتفوا بلعن كل ذي روح. بل تعدوا

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه أحمد والطبراني، وهو حسن.

إلى لعن ما يسمعونه أو يرونه مما خلق الله في الكون من الريح والهواء والمطر ونحو ذلك. وهذه المخلوقات لا فعل لها وإنما هي مأمورة من قبل اله تعالى.

فعن ابن عباس أن رجلاً لعن الريح، وفي رواية: إن رجلاً نازعته الريح رداءه على عهد النبي ص فلعنها، فقال النبي ص: (لا تلعنها؛ فإنها مأمورة، وإنه من لعن شيئاً ليس له بأهل رجعت اللعنة عليه)<sup>(١)</sup>.

وقد جاء عن أبي كعب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال: قال رسول الله ص: (لا تسبوا الريح، فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا: اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أمرت به، ونعوذ بك من شر هذه الريح وشر ما فيها وشر ما أمرت به)<sup>(٢)</sup>.

قال بعض العلماء: "والسب: الشتم واللعن والعيب والقذح وما أشبه ذلك، وإنما نهي عن سبها؛ لأن سب المخلوق سب لخالقه".

عباد الله، وإن من الحمق والجزع والإثم وخفة العقل والدين: سب المعيشة والدهر والزمان. والوقت والزمن لا يتصرف بنفسه وإنما هو مصرف بأمر الله، من سبه فقد تعرض لسب مقلبه ومصرفه تعالى والعياذ بالله.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ص: (قال الله عز وجل: يؤذيني بن آدم يسب

(١) رواه أبو داود والترمذي، وهو صحيح.

(٢) رواه أحمد وأبو داود والترمذي، وهو صحيح.

النور السائر من خطب المنابر

الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار<sup>(١)</sup>.

ومعنى هذا: أن سب الإنسان للدهر إيذاء لخالقه ومدبره سبحانه، وهذا محذور أول، والمحذور الآخر: أن من سب الدهر على أنه هو الذي يأتي بالسوء والكدر فقد نسب الفعل لغير الله وقدره، وهذا شرك بالله تعالى.

أيها المسلمون، إن من صفات المؤمن طيب لسانه، وطهر مقوله، فهو بعيد عن الفحش والألفاظ الجارحة، والكلام الساقط، والقول الضار. فالدعاء باللعنة ليس من أخلاق المؤمنين الذين وصفهم الله بالرحمة فيما بينهم، والتعاون على البر والتقوى، وجعلهم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً، وأن المؤمن يجب لأخيه ما يجب لنفسه، فمن دعا على أخيه باللعنة فهو في غاية من المقاطعة والتدابير.

قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قال رسول الله ص: (ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا البذيء ولا الفاحش)<sup>(٢)</sup>.

وجاء عن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله ص: (لا تلعنوا بلعنة الله ولا بغضبه ولا بالنار)<sup>(٣)</sup>. يعني: لا يلعن بعضكم بعضاً بلعنة الله فيقول: لعنة الله على فلان، ولا بغضب الله فيقول: غضب الله على فلان، ولا النار فيقول: أدخله الله النار.

(١) متفق عليه.

(٢) رواه الترمذي والبيهقي، وهو صحيح.

(٣) رواه الترمذي وأبو داود، وهو صحيح.

وقال رسول الله رسول الله ص: (لا ينبغي لصديق أن يكون لعاناً)<sup>(١)</sup>.

عباد الله، إن المسلم مأمون الجانب من إيذاء الآخرين بلسانه أو بقية جوارحه،  
قال رسول الله ص: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)<sup>(٢)</sup>.

ولنا في رسول الله ص أسوة حسنة فإنه لم يكن سباباً ولا لعاناً ولا فاحشاً.

أمة الإسلام، إن اللعن الذي سبق التحذير منه طريق إلى التحلي بالفحش والبذاء  
والتخلي عن حسن القول وطيبه. وهو وسيلة إلى إذكاء العدوات وإحياء الخصومات،  
وقطع الصلات والعلاقات الحميدة.

واللعن مجلبة للإثم والبعد عن الرب تعالى، قال الإمام النووي رحمه الله في شرح  
حديث (ولعن المؤمن كقتله): أي في الإثم). وهذا ذنب غير هين.

وقال حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "ما تلاعن قوم إلا حق عليهم القول". وقال ابن عمر  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "إن أبغض الناس إلى الله كل طعان ولعان".

واللعن ينقص الإيمان ويسلب عن المؤمن كماله فليس المؤمن باللعان.

ومن أضرار اللعن وآثاره السيئة: أن اللعنة إذا لم تصادف محلاً مستحقاً للعن فإنها  
تعود على لفظها ومرسلها، فكم من جانٍ يجني على نفسه، ولا عن يلعن نفسه وهو لا  
يشعر.

(١) متفق عليه.

(٢) رواه الترمذي والبيهقي، وهو صحيح.

النور السائر من خطب المنابر

فعن أبي الدرداء قال: قال رسول الله -ص-: (إن العبد إذا لعن شيئاً صعدت اللعنة إلى السماء فتغلق أبواب السماء دونها ثم تهبط إلى الأرض فتغلق أبوابها دونها ثم تأخذ يميناً وشمالاً فإذا لم تجد مساعاً رجعت إلى الذي لعن فإن كان لذلك أهلاً وإلا رجعت إلى قائلها)<sup>(١)</sup>.

فتأملوا -رحمكم الله- إلى عظم اللعنة، وليفكر اللاعن في غير الحق كم قد لعن نفسه!

وهذا مثل ما جاء في حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ص: (لا يرمي رجل رجلاً بالفسوق ولا يرميه بالكفر إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك)<sup>(٢)</sup>. وقال رسول الله ص: (ومن دعا رجلاً بالكفر أو قال: عدو الله. وليس كذلك إلا حار عليه)<sup>(٣)</sup>.

قال ابن حجر -رحمه الله-: "والحاصل: أن المقول له إن كان كافراً كفراً شرعياً فقد صدق القائل وذهب بها المقول له، وإن لم يكن رجعت للقائل معرفة ذلك القول وإثمه".

عباد الله، هذه آثار اللعن في الدنيا، وأما في الآخرة فإن كثير اللعن لا يشفع يوم القيامة حين يشفع المؤمنون في إخوانهم الذين استوجبوا دخول النار، ولا يكون شهيداً

(١) رواه أبو داود والبيهقي، وهو صحيح.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه مسلم.



في ذلك اليوم على الأمم بتبليغ رسلهم إليهم الرسالات فهو بذلك يكون غير عدل وغير خيار كما قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة ١٤٣].

وقال رسول الله ص: (لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة)<sup>(١)</sup>.

بارك الله لي ولكم بالقرآن العظيم، ونفعي وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم.

(١) رواه مسلم.

### الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وعلى آله وصحبه  
الأخيار الأوفياء.

أما بعد:

أيها الناس، إن السعيد لمن صرف لسانه فيما ينفعه اليوم في دار الدنيا وغداً في دار  
الآخرة. وإن الشقي من صار لسانه يفري في أعراض الأحياء والأموات بالسب  
والطعن واللعن.

فاحفظوا - يا عباد الله - ألسنتكم من التلاعن بلعنة الله، واستيقظوا من رقاد  
الغفلة عن هذه المعصية الكبيرة.

وأذكر كثيراً في هذا الذنب النساء؛ فإنهن الأكثر ممارسة له من الرجال بجهل أو  
غفلة. ولهذا قال رسول الله ص: (يا معشر النساء تصدقن؛ فإني أريتكن أكثر أهل  
النار). فقلن: وبم يا رسول الله؟ قال: (تكثرن اللعن وتكفرن العشير)<sup>(١)</sup>.

فلتنتبه المرأة من هذه الخطيئة قبل أن ترد موارد الهالكين.

ولأجل إكثار النساء من اللعن وتساهلهن فيه خصصت المرأة في باب اللعان  
بالغضب دون الرجل. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا

(١) متفق عليه.

أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ، وَالْحَامِسَةُ أَنْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ وَيَدْرَأُ، عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ، وَالْحَامِسَةَ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿[النور: ٦-٩].

عباد الله، والأطفال يقتدون بوالديهم في الخير والشر؛ فعلينا لذلك أن نحرص على تربية أولادنا على البعد عن التلاعن وكل حديث مشين بأقوالنا وأفعالنا، فتساهل الأبوين في اللعن في البيت يجعل الأطفال يفعلون مثلما يرون، ويقولون مثلما يسمعون.

فكيف يريد أب أو أم من الأولاد البعد عن التلاعن المذموم وهم يتلونونه على أسماعهم صباح مساء:

تلوم على القطيعة من أناها وأنت سنتتها للناس قبلي!!

وكما قال الآخر:

مَشَى الطاووسُ يوماً باعوجاجٍ فقلدَ شكلَ مشيِّتهِ بنوهُ

فقالَ علامَ تختالون؟ قالوا: بدأتَ به ونحنُ مقلِّدوهُ

فخالِفَ سيركَ المعوجِّ واعدلْ فإننا إن عدلتَ معدلوه

أما تدري أبانا كلُّ فرعٍ يجاري بالخطى من أدبوه؟

وينشأ ناشئُ الفتيانِ منّا على ما كان عودَه أبوه

إخواني الكرام، هذا هو اللعن الذي يجب علينا أن نتبعه عنه، ونحذر منه، ولنا في

الجمعة القادمة- بإذن الله- حديث عن اللعن المباح.



النور السائر من خطب المنابر \_\_\_\_\_

ثم صلوا وسلموا على الرحمة المهداة والنعمة المسداة....

## المستوجبون للعن<sup>(١)</sup>

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله الله رحمة للعالمين، وحجة للخلائق أجمعين، فصلى الله عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونَنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ؕ وَالْأَرْحَامَ ؕ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١﴾ [النساء: ١]. ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ۝٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإنَّ أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمدٍ ص، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار..  
أيها الناس، إن اللعن عقوبة عظيمة، وأثر شرعي ناتج عن ارتكاب ذنب كبير،

(١) أُلقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في ٦/٣/١٤٣٤هـ، ١٨/١/٢٠١٣م.

النور السائر من خطب المنابر

ابتعد العبد بهذا الذنب الوبيل عن رحمة الرحيم الرحمن ورضوانه، وعن رضا عباده ومحبتهم في السماء والأرض.

ولعنة الله، أو لعنة رسوله، أو الملائكة، أو الناس، لا تجيء إلا على معصية قد بلغت غاية في القبح، إما معصية في حق الله، أو النفس، أو خلق تعالى. ولهذا قال بعض العلماء: "كل معصية ورد فيها لعن في الكتاب أو السنة فهي كبيرة من كبائر الذنوب التي تكفر بالتوبة والإنابة وإرجاع الحقوق إلى أهلها، وإذا مات الإنسان ولم يتب من ذنب استحق عليه اللعن فهو على خطر عظيم إلا أن يتغمده الله برحمته منه وفضل".

عباد الله، إن الذين لعنوا في كتاب الله، أو سنة رسول الله ص، إنما لعنوا لخطيئة كبيرة اقترفوها، وهذه المعصية قد تكون كفراً أو نفاقاً أو بدعة أو فسقاً، لعنهم بها الله عز وجل، أو رسوله، أو الملائكة، أو الناس أجمعون أو بعضهم.

أيها المسلمون، إن الله تبارك وتعالى أنعم على عباده نعماً لا تعد ولا تحصى:- خلقهم ورزقهم وحماهم وكفاهم، وأسدى إليهم كل جميل. وأمرهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وأن يطيعوه، ولا يعصوه، لكن بعض عباده ركبوا هواهم وسلكوا سبيل الشيطان فأغواهم فابتعدوا بذلك عن رحمة الله تعالى، فلعن الله كافرهم فقال:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكُفْرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ [الأحزاب: ٦٤]، ولعن منافقهم فقال:  
 ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ  
 ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٠].

ومن أولئك الكافرين الذين لعنهم الله تعالى: اليهود والنصارى الذي اجترموا جرائم عظيمة في حق الله، وفي حق رسله، وفي حق غيرهم من الناس. فلعن الله اليهود الذين وصفوه بما يتنزه عنه من الفقر والبخل فقال: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلِيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [المائدة: ٦٤].

ولعن اليهود المحتالين على شرع الله، والعصاة لرسله فقال: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعْنَا أَصْحَابَ السَّبْتِ ؕ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾﴾ [النساء: ٤٧]. ولعن اليهود الناقضين للعهود معه سبحانه وتعالى، ومع أنبيائه، والمحرفين لنصوص كتبه فقال: ﴿فِيمَا نَقَضُوا مِيثَقَهُمْ لَعْنَتُهُمْ وَعَلَّلْنَا قُلُوبَهُمْ قَسِيَّةً يَحْرِفُونَ الظُّلْمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ۖ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ۖ وَلَا نَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ ؕ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [المائدة: ١٣].

ولعن اليهود والنصارى الذين كتموا صفة رسوله ص التي وجدت عندهم في التوراة والإنجيل وغير ذلك من البينات فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ۖ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [البقرة: ١٥٩].

عباد الله، فلا غرابة أن يبوء اليهود بلعنة الله وغضبه فتاريخهم ملطخ بالجرائم والرزايا، وحاضرهم ناطق للعالم كله بالفساد والرزايا، ومستقبلهم يعد -من خلال

النور السائر من خطب المنابر

واقعهم ودراساتهم المستقبلية- بالكيد وإرادة الإضرار بالعالم غير اليهودي.  
أيها الناس، ومن الذين يلعنهم الله تعالى: أناس يؤذونه بالشرك أو نسبة ما لا يليق  
به إليه، ويؤذون رسوله ص بالتكذيب به، أو النيل من ذاته، أو الابتداء في الدين الذي  
جاء به، أو الطعن في زوجاته، أو أهل بيته، أو صحابته رضي الله عنهم أجمعين.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ  
عَذَابًا مُهِينًا ﴿٥٧﴾﴾ [الأحزاب: ٧٥].

وقال في الذين بهتوا بالفاحشة حبيبة رسول الله عائشة الحصان الرزان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ  
يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْفَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ [النور: ٢٣].

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: "وقد أجمع العلماء رحمهم الله قاطبة على أن من سبها  
بعد هذا ورمها بما رماها به بعد هذا الذي ذكر في هذه الآية، فإنه كافر؛ لأنه معاند  
للقرآن".

وقال رسول الله ص في الذين يسبون أصحابه الكرام مشاعل الهداية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ:  
(من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) (١).

عباد الله، ومن الذين لعنهم الله تعالى: أهل الظلم الذين فارقوا العدل في حق  
خالقهم، وحق خلقه، ألا وإن أظلم الظلم الشرك بالله تعالى قال الله عز وجل: ﴿وَمَنْ  
أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ  
الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾﴾ [هود: ١٨]. ومن الشرك بالله

(١) رواه الطبراني وابن أبي شيبة والبخاري، وهو حسن.



تعالى: الذبح لغير الله جل جلاله، كالذبح لجني أو قبر أو غير ذلك. قال رسول الله ص: (لعن الله من ذبح لغير الله)<sup>(١)</sup>.

ومن الظلم الكبير-عباد الله- عقوق الوالدين ولعنهما، قال رسول الله ص: (لعن الله من لعن والديه)<sup>(٢)</sup>.

ومن الظلم المستوجب صاحبه لعنة الله تعالى: الإفساد في الأرض، والتولي عن الطاعة وعن العدل قال الله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾<sup>(٢٢)</sup> **أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ** ﴿٢٣﴾ [محمد: ٢٢-٢٣].

إن قتل المؤمن نوع من الظلم يستوجب فاعله لعنة الله تعالى قال الله عز وجل: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾<sup>(٩٣)</sup> [النساء: ٩٣].

وسرقة أموال الناس وحقوقهم والسطو عليها ظلم أيضاً قال رسول الله ص: (لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده)<sup>(٣)</sup>.

أمة الإسلام، ومن الذين يلعنهم الله سبحانه: الكاذبون عليه أو على رسوله ص، أو على عباده قال تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾<sup>(١١)</sup>

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) متفق عليه.

النور السائر من خطب المنابر

[آل عمران: ٦١]. وقال تعالى في الملاعن الكاذب على زوجته: ﴿وَالْخَوَاسِئُ أَنْ لَعَنَتِ اللَّهُ عَلَيْهِ  
إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [النور ٧].

ومن الكذب الذي يبلغ الآفاق: ما يجري في بعض وسائل الإعلام اليوم من الافتراء على بعض الشخصيات البريئة والمتاجرة بالبهتان بتواتر القصف الإعلامي عليها.

ومن الكذب الذي يستحق صاحبه اللعن: تغيير خلق الله تعالى خصوصاً عند النساء بالوشم، أو النمص، أو وصل الشعر، أو تفلج الأسنان عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (لعن الله الواشحات والمستوشحات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله ما لي لا ألعن من لعن رسول الله ص وهو في كتاب الله).

وهذا الفعل طاعة للشيطان واستجابة لتوعده القديم قال الله تعالى: ﴿وَلَا ضَلَمَنَّهُمْ  
وَلَا مَيَّنَّهُمْ وَلَا مَرَنَّهُمْ فَلْيَبْتَئِنَّا إِنْ كُنَّا مُنْزِلِينَ وَلَا مَرَنَّهُمْ فَلْيُغَيِّرُنَا خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ  
يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا﴾ [النساء ١١٩].

إن من الأمور التي تساهل بعض الناس فيها: تغيير منار الأرض والحدود بين الأملاك في الأرض أو البيت أو المحلات الخاصة، وقد يدرون أو لا يدرون أن ذلك سبب للعة الله تعالى قال رسول الله ص: (لعن الله من غير منار الأرض)<sup>(١)</sup>.

قال بعض العلماء: "ويدخل في هذا تغيير العلامات واللوحات الإرشادية

(١) رواه مسلم.

الموجودة على الطرقات والأماكن، فمن أزالها لكي يضل الناس عن معرفة الطريق كان ممن يدخل في هذا الحديث".

إن الإنسان العاقل ليعجب من فعل من ضعف دينه وقلت غيرته حينما يطلق زوجته ويريد إرجاعها فيذهب يستأجر تيساً مستعاراً ليحلل زوجته، إن هذا الفعل ملعون أهله: المحلل والمحلل له قال رسول الله ص: (لعن الله المحلل والمحلل له) (١).

عباد الله، ومن الذين يلعنون بلعنة الله: الذين يؤوون المحدثين الفساد في الأرض ويحمونهم ويدافعون عنهم: كالقتلة والسراق والمبتدعين والمحاربين لله ورسوله وعباده، قال رسول الله ص: (لعن الله من آوى محدثاً) (٢).

ويدخل في الإيواء: تأجير البيوت أو الدكاكين لهم.

فنسأل الله تعالى أن يقربنا من مرضيه وأن يباعد بيننا وبين لعنته وغضبه كما باعد بين المشرق والمغرب

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه...

(١) رواه أصحاب السنن، وهو صحيح.

(٢) رواه مسلم.

## الخطبة الثانية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده،

أما بعد:

أيها المسلمون، كان الحديث في الخطبة الأولى عن الذين يلعنهم الله تعالى، وتبقى الحديث عن الذين يلعنهم رسول الله، والملائكة، والناس.

إن الملائكة عباد مكرمون يرضيهم ما يرضي ربهم سبحانه وتعالى، ويغضبهم ما يغضبه، فهم يلعنون من أشار إلى أخيه المسلم بسلاح سواء كان أبيض أم نارياً، جاداً أم هازلاً، وهذا يبين عظم قدر المسلم وشدة حرمة ترويعه فكيف بإيصال الاعتداء عليه؟!!

قال رسول ص: (من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى وإن كان أخاه لأبيه وأمه)<sup>(١)</sup>.

. ويدخل في هذا: المزاح بالسيارات والدراجات النارية، وللتساهل في هذا حدثت حوادث تحولت فيها الابتسامات إلى دموع، والصدقة والصفاء إلى كراهية وعداء.

ومن تلعنه الملائكة أيضاً-يا عباد الله-: المرأة إذا دعاها زوجها للفراش فلم



تستجب، وليس عندها مانع شرعي أو صحي من حيض ونفاس، أو مرض مؤثر.

قال رسول الله ص: (إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح)<sup>(١)</sup>.

عباد الله، إن رسول الله ص لعن بعض مرتكبي كبائر الذنوب فمن تلك الكبائر: التعامل بالربا عملاً وإيداعاً ونحو ذلك، وقد انتشرت هذه الكبيرة في عصرنا على نطاق واسع فليتنبه المسلم قبل أن تحقق عليه لعنة الله، فعن جابر قال: "لعن رسول الله ص آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه وقال: هم سواء"<sup>(٢)</sup>.

ومن لعن رسول الله ص: المتعامل بالخمير صناعةً وبيعاً وشراءً وحملًا ونحو ذلك. فعن أنس بن مالك قال: "لعن رسول الله ص في الخمر عشرة: عاصرها ومتعصرها وشاربها وحاملها والمحمولة إليه وساقها وبائعها وآكل ثمنها والمشتري لها والمشتراة له"<sup>(٣)</sup>.

ويدخل في الخمر: كل مسكر من مخدرات ونحوها، ويدخل أيضاً في اللعن: كل من سهل لأهل السكر سكرهم من حماية ومدافعة وتسهيل عبور وتأجير سيارة أو بيت أو دكان ونحو ذلك.

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه الترمذي وابن ماجه، وهو صحيح.

النور السائر من خطب المنابر

أيها المسلمون، وممن لعنهم رسول الله ص: المتشبهون من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال إما في لباس أو حركة أو كلام أو غير ذلك في الجد أو الهزل فعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: "لعن رسول الله ص المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال" (١).

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: "لعن رسول الله ص الرجل يلبس لبسة المرأة والمرأة تلبس لبسة الرجل" (٢).

أيها الأحبة الكرام، إن الناس إذا ما رأوا ما يؤذي أبصارهم أو آنافهم، أو ما يعكر صفو راحتهم فقد يلعنون فاعله، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ص - قال: (اتقوا اللاعنين). قالوا: وما اللاعنان يا رسول الله؟ قال: (الذى يتخلى في طريق الناس أو ظلهم) (٣).

فإذا كان أولئك الذين يبولون أو يتغوطون في طريق الناس أو ظلهم أو مواردهم يستحقون اللعن فكيف يكون حال أولئك الذين يكفرون حياة شعوب، ويضيقون معاش ملايين الناس، ويريدون طمس هويتهم وتسميم أفكارهم وإفساد أخلاقهم؟! أخيراً أقول: إن الذين ارتكبوا كبائر ذنوب واستحقوا عليها اللعن وهم ما زالوا في دائرة الإسلام فلا يصح لنا أن نواجه كل فرد منهم باللعنة فنقول: لعنك الله، على

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه أبو داود والترمذي، وهو صحيح.

(٣) رواه أبو داود وهو صحيح.

التخصيص، ولكن نقولها على التعميم: لعنة الله على الظالمين، لعنة الله السارقين، وهكذا؛ لأن المراد من اللعن أن يرتدعوا وينزجروا عن المعصية التي يترتب عليها اللعن، وإذا ما فعلوا تابوا ورجعوا إلى الله من لعنته إلى قربه ورضاه.

فيا أيها المسلم، بعد هذا كله اعرض نفسك على ما سمعت، وفتش في أعمالك لعلك تجد أنك قد وقعت أو أنك واقع في ذنب يستوجب اللعن من حيث تدري أو لا تدري، فتب إلى الله تعالى، وانخلع عن معصيته إلى طاعته، ومن غضبه إلى رضاه، ومن أخذ حقوق الآخرين إلى أدائها لهم، فالיום عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل، ﴿وَاتَّقُوا

يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة ٢٨١].

ثم صلوا وسلموا على صاحب المقام المحمود واللواء المعقود والحوض المورد محمد المحمود في السماء والأرض صلى الله عليه وعلى آله وصحبه....

## غصن نضير من دوحة البشير النذير (١)

الحمد لله حمداً حمداً، والشكر له شكراً شكراً، أحمده على نعمه الغزيرة، وأشكره على آلائه الكثيرة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ؕ وَلَا تَمُونَنَّ إِلَّا وَآنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].  
 ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا وَجْهًا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ؕ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].  
 ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإنَّ أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمدٍ ص، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون، جاء في سنن النسائي، وصحيح ابن حبان، ومستدرک الحاكم وصححه عن أبي اليقظان عمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه سمع رسول الله ص يدعو بهذه

(١) ألقى في مسجد ابن تيمية في ١٨/١١/١٤٢٩ هـ.



الدعوات: (اللهم إني أسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وأسألك كلمة الحق في الغضب والرضا، وأسألك القصد في الفقر والغنى، وأسألك نعيماً لا يبيد، وقرة عين لا تنقطع، وأسألك الرضا بعد القضاء، وأسألك برد العيش بعد الموت، وأسألك لذة النظر إلى وجهك، وأسألك الشوق إلى لقائك، في غير ضراء مضرّة، ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين).

عباد الله، إن الله تعالى أنزل إلينا كتابه الكريم على الرسول الأمين هدى للناس مبشراً ونذيراً، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمٌ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩].

وأوحى الله تعالى إلى رسوله محمد ص ما يبين به للناس معاني هذا الكتاب الكريم فكان ذلك المبين هو سنته وأحاديثه عليه الصلاة والسلام يقول الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

فكانت معاني السنة من الله تعالى، وألفاظها وقوالب التعبير عنها من الرسول ص يقول الله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤]، وقال رسول الله ص: (ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه)<sup>(١)</sup>.

معشر المسلمين، إن رسولنا الكريم ص معصوم في أقواله وأفعاله؛ فلفظه وفعله هدى ونور يهدي به الله من يشاء.

فوجب طاعته عليه الصلاة والسلام واتباع سنته، وحرّم الخروج عنها إلى غيرها

(١) رواه أحمد وأبو داود، وهو صحيح.

النور السائر من خطب المنابر

مما يخالفها؛ فهي مع القرآن عروة الهدى، وسد منيع عن الضلال والردى، يقول الله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧].

وقال رسول الله ص: (خلفت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله، وستي، ولن يفرقا حتى يردا عليّ الحوض)<sup>(١)</sup>.

هذا وإن الله تعالى قد خص نبينا عليه الصلاة والسلام بجوامع الكلم: ألفاظ قليلة تحمل معاني كثيرة، فينطق ص بكلمات قليلة قد تشمل الدين كله.

مع فصاحته ص وبلاغته؛ لكونه نشأ في بيئة عربية خالصة.

أمة الإسلام، إن هذا النص النبوي الشريف قد جمع أطيب ما في الدنيا وأطيب ما في الآخرة، وهو يتحدث عن مسألة مهمة في الدين، وعبادة عظيمة من أجل عبادته، ألا وهي عبادة الدعاء.

إن الدعاء -عباد الله- له شأن عظيم، ومنزلة سامية في الإسلام، لا يهدى إليه إلا موفق، ولا يضل عنه إلا محروم.

الدعاء عبادة من أعظم العبادات؛ لأنها تجتمع فيها أنواع كثيرة من التعبد والتقرب؛ فالدعاء يستدعي حضور القلب، وعبادة الله بالتوجه والقصد، والرجاء والتوكل، والرغبة فيما عنده والرغبة من عذابه. ويستدعي عبادة اللسان بالحمد

(١) رواه البيهقي والدارقطني والبخاري وأحمد، وهو صحيح.

والشكر والمسألة، ويستدعي عبادة البدن بالتضرع والاستكانة والانكسار والتوبة من الذنوب، والحرص على تطيب المكسب لإنفاقه على حاجات الإنسان.

والدعاء عبادة سهلة مطلقة غير مقيدة بزمان أو مكان أو حال؛ فهي في الليل والنهار، والبر والبحر، والسفر والحضر، والصحة والمرض.

ولكن ليس كل حامل سلاح قادراً على الإصابة وعدم إخطاء الهدف، فالسيف بضاربه.

لهذا كان للدعاء شروطاً وآداب، فمن ذلك:

أن على الداعي أن يعلم أنه لن يستطيع قضاء حاجته إلى الله، وأن يخلص الدعاء، وأن يحضر قلبه، ويتجنب أكل الحرام، وأن لا يمل من الدعاء، ولا يستعجل الإجابة، وأن يكون المدعو به من الأمور الجائزة شرعاً وعقلاً، وأن لا يكون في المدعو به إثم أو قطيعة رحم، وأن يختار من الأدعية الدعاء الجامع لخيري الدنيا والآخرة، وأن يرفع يديه، ويثني على الله تعالى بين يدي دعائه، ويختار الأوقات الفاضلة كالسحر، وحال الصوم، والسجود، وغير ذلك.

فمن جمع هذه الأحوال فهو قريب من الإجابة بعيد عن الرد.

عباد الله، إن هذا النص النبوي الشريف تضمّن خيري الدنيا والآخرة، فقد جمع على وجازة ألفاظه مبادئ كثيرة.

فهذا الدعاء شمل الإقرار بالإيمان بالله وصفاته، والإيمان باليوم الآخر وبعث

النور السائر من خطب المنابر

الناس بعد مماتهم، وجمع بين إصلاح العامل نفسه، وإصلاح عمله، وتعدى ذلك الخير إلى الخلق نفعاً لهم، وإبعاداً للضرر عنهم.

وضم في ثناياه الاهتمام بالباطن والظاهر، والسر- والعلائية، ورضا الإنسان بما قسم الله له من أحوال حياته الدنيوية، دون تضجر ولا تسخط، مع علو المهمة في طلب أحوال الآخرة الباقية، واشتمل أيضاً على طلب إصلاح الحياة النفسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية والدنيوية والأخروية.

وما أحسن أن نقف عند هذه الجمل المضيئة لنقتبس من أنوارها، ونتعرف على بعض أسرارها؛ لتضيء لنا الطريق إلى خالقنا، ونصلح بها تحتويه من أعمال ديانا وآخرتنا.

أيها المسلمون، أولى جمل هذا الدعاء النبوي الشريف قول النبي ص: (أسألك خشيتك في الغيب والشهادة).

إن ربنا عظيم في ذاته، ذو كمال وجمال وجلال في أسمائه وصفاته، لا يحيط أحدٌ بكنهه وقدره سبحانه وتقدس، ليس كمثل شئ وهو السميع البصير. ومن عرف الله تعالى بالكمال عرف نفسه بالنقصان، ومن عرف الله بالعلم عرف نفسه بالجهل، ومن عرف الله بالقدرة عرف نفسه بالعجز، ومن عرف الله بالقوة عرف نفسه بالضعف، ومن عرف الله بالألوهية عرف نفسه بالعبودية. انظروا -عباد الله- في آثار أسمائه وصفاته، انظروا إلى جبروته وقوته، ورحمته وقدرته، وعلمه وحكمته، وحياته

وقيوميته. وتأملوا في بديع صنعه في مخلوقاته، وانظروا موجوداته في أرضه وسماوته هل رأيتم في خلقه من فطور، أو شاهدتم في فعله من قصور، سبحانه جل جلاله وعم فضله ونواله.

إن العلم بالمعاني الماضية عن الله تعالى توجب خشيته تعالى والخوف منه؛ ولذلك كان العلماء العاملون أخشى الناس لله تبارك وتعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر ٢٨].

إن خشية الله تثمر تعظيمه على كل معظّم، وتقديمه على كل مقدّم، وطاعته وترك معصيته، والانصياع لأوامره، والانكفاف عن زواجره.

وهي تثمر الإقدام على العمل الصالح واتباعه، واستصغاره في جانب الله وإخفائه، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشِيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ، وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ، أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧-٦١].

قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: قلت: يا رسول الله، ﴿والذين يؤتُونَ ما آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ أهو الذي يزني ويسرق ويشرب الخمر؟ قال: لا، يا بنت أبي بكر، أو يا بنت الصديق، ولكنه الرجل يصوم ويتصدق ويصلي، وهو يخاف أن لا يتقبل منه، أولئك الذين يسارعون في الخيرات<sup>(١)</sup>.

(١) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه، وهو صحيح.

النور السائر من خطب المنابر

عباد الله، هؤلاء الذين يخشون ربهم لا يخشونه في العلن دون السر، وإنما يجمعون بين خشية الظاهر والباطن، بل الباطن أشد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذُّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ [يس: ١١].  
وقال النبي ص: (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، ومنهم: ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه)<sup>(١)</sup>.

فما جزاء الخاشين معشر المسلمين؟ من جزائهم: غفران ذنوبهم وعظم أجورهم.  
يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الملك: ١٢].  
أما الذين لا يخشون الله تعالى فما أسرعهم إلى عصيانه وانتهاك حرمانه، وعدم تقديره حق قدره، وما أبطأ خطاهم إلى طاعاته، والمنافسة على قرباته.  
أيها المسلمون، ثم يقول رسول الله ص: (وأسألك كلمة الحق في الغضب والرضا).

ما أكثر الباطل بين الناس! وهنا يبرز دور الحق وقول الحق في المواجهة والتغيير. فالجهر بالحق في وجه الباطل يزعج الباطل؛ لأن الباطل لا يريد، ولا يحب أن يصد عن إفساده شيء. وقول الحق - ابتغاء وجه الله - لا يستطيعه كل أهل الحق؛ لأن كلمة الحق مرة؛ فقد تذهب بإسماعها المصالح، وتجيء المكاره والمضار، فتقف الرغبة والرغبة حاجزاً دون الإعلان والإبلاغ. لكن أصحاب النفوس العظيمة الذين ينظرون إلى الدار الآخرة من وراء كلماتهم لا يستهوهم الترغيب؛ فما عند الله خير لهم وأبقى،

(١) متفق عليه.

فلا يخيفهم الترهيب، مادام أن أرواحهم وآجالهم بيد الله، ولن يصيبهم إلا ما كتب الله لهم، وإن أُصيبوا فما أحسن التضحية في جنب الله تعالى، وأحلى عاقبتها!

إن الإنسان له حالان: رضا وغضب، ففي حال الرضا يجب على المسلم أن يفعل الحق وينطق به، فإن رأى منكراً نهى عنه، أو معروفاً أمر به، ولا يسكت -في حال قدرته- عن النطق أمام الباطل، مهما كانت منزلة صاحب الباطل: أميراً أو وزيراً، عظيماً أو حقيراً. عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أوصاني خليلي أبو القاسم ص بسبع: (وذكر منها: وأن أقول الحق وإن كان مرا...)<sup>(١)</sup>.

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ص: ألا لا يمنعن أحدكم رهبة الناس أن يقول بحق إذا رآه أو شهده؛ فإنه لا يقرب من أجل، ولا يباعد من رزق أن يقول بحق أو يذكر بعظيم)<sup>(٢)</sup>.

وعنه أنه سمع رسول الله ص يقول: (إن الله جل وعلا ليسأل العبد يوم القيامة حتى إنه ليقول له: ما منعك إذا رأيت المنكر أن تنكره! فإذا لقن الله عبداً حجته يقول: يا رب، وثقت بك، وفرقت من الناس)<sup>(٣)</sup>.

فالعبد المؤمن في حال رضاه لا يداهن، ولا يرائي، وإن حكم وقضى. لا يميل إلى طرف ظلماً في قضائه وحكمه، بل يصدع بالحق ولو شذخ رؤوس أهل الباطل، ولكن

(١) رواه البيهقي وابن حبان والطبراني، وهو صحيح.

(٢) رواه أحمد والطبراني، وهو حسن.

(٣) رواه أحمد وابن حبان وابن ماجه، وهو صحيح.

بعلم وحكمة.

أما في حال الغضب فإن الغضب متى قويت ناره والتهبت أعمت صاحبها وأصمته عن كل موعظة حتى يغلي دم الإنسان لطلب الانتقام، لكن المؤمن لا يميل عن العدل والحق ولو في حال غضبه.

فالواجب -عباد الله- حال الغضب أن يحكم الإنسان عقله، ولا ينساق وراء دواعي الغضب، فينطق بالباطل ويفعله؛ انتصاراً للنفس، وانتقاماً من خصم؛ فربما تغيب كلمة الحق حال الغضب؛ بسبب غيوم الغضب المتكاثفة، فيفوه الغضبان بما يضر نفسه وغيره.

أيها المسلمون، ثم يتدرج رسول الله ص في إرسال هذه الدعوات الجامعة فيقول:  
(وَأَسْأَلُكَ الْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى).

إن الإسلام دين الاعتدال والوسطية، فلا إفراط فيه ولا تفريط. ففي مجال المال يأمر باكتسابه من أوجهه المشروعة، وينهى عن ترك التكسب، ويحظر أخذه وتملكه من الجهات والموارد المحرمة، ويأمر كذلك بإنفاقه في النفقات الواجبات من زكاة ونفقة على النفس والزوجة والأولاد والأبوين وكل ذي حق على الإنسان، ولكن من غير إسراف ولا تقتير، كل حسب وسعه وغناه، فليست نفقة الفقير كنفقة الغني. وقد تختلف باختلاف الزمان والمكان، فلعلها تكون بعض الكماليات في أزمنة وأمكنة من الحاجيات المهمات. يقول تعالى: ﴿لِيُنْفِقُ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ



مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ [الطلاق ٧].

روى ابن جرير عن أبي سنان قال سأل عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن أبي عبيده؟ فقيل: إنه يلبس الغليظ من الثياب، ويأكل أحسن الطعام. فبعث إليه بألف دينار وقال للرسول: انظر ما يصنع بها إذا هو أخذها؟ فما لبث أن لبس اللين من الثياب، وأكل أطيب الطعام. فجاءه الرسول فأخبره فقال رحمه الله تعالى! تأول هذه الآية ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قَدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق ٧].

وللإنسان أن ينفق في المباحات بما يرقه به على نفسه ومن يعول، شريطة أن لا يخرج ذلك عن حدِّ الحق إلى الإسراف الذي هو: صرف ما ينبغي زائداً على ما ينبغي، أو إلى التبذير الذي هو: صرف الشيء فيما لا ينبغي من المحرمات ونحوها.

وحدث الإسلام -أيضاً- المسلم على الإكثار من البذل في سبيل الله من صدقات، وعون لذوي الحاجات، فلا إسراف في الخير، كما أنه لا خير في الإسراف في غير حق. قال إياس بن معاوية رحمه الله: "ما تجاوزت به أمر الله فهو سرف"، وقال غيره: "السرف النفقة في معصية الله تعالى".

وكما أمره بالإنفاق نهاه عن الإمساك والبخل، وهو: حبس المال عن الحقوق الواجبة، والنفقات المأمور بها كالزكوات وحقوق من يعولهم الإنسان، أو إمساك المال عن بذله في الخير وادخار الأجر ليوم الحاجة إليه: يوم القيامة.



النور السائر من خطب المنابر

فمن أمسك فعلى نفسه جنى قال تعالى: ﴿هَأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِمَّنْكُمْ مَنْ يَخْلُ وَمَنْ يَخْلُ فَإِنَّهَا يَخْلُ عَنِ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾ [محمد ٣٨].

ولييسر البخيل بحادث أو وارث، كما قيل.

فمن سار -عباد الله- على هذا الطريق المعتدل منفقاً في غير سرف، وممسكاً من غير حرمانٍ حقٍّ، أو تقتير - فقد أصاب الحق وأخذ بزمام القصد يقول تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء ٢٩].

قال كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله ورسوله، فقال النبي ص: (أمسك بعض مالك؛ فهو خير لك) (١).

فالاعتدال الاعتدال عباد الله تبلغوا.

أيها المسلمون، ثم يسترسل رسول الله ص في سؤال ربه، وتعليم أمته فيقول: (وأسألك نعيماً لا يبيد، وقرّة عين لا تنقطع).

إن هذه الدنيا خلقت للفناء ولم تخلق للبقاء، ما فيها زائل، ومقيمها مرتحل، وإلى دار الخلود منتقل، دار مشوبة بالغصص، ونعيمها مخلوط بألم الحاجة قبله، والكدر بعده، وعدم التمام والكمال أثناءه. فما أجهل من اغتر بدار هذه حالها، وإلى ذلك المصير مآلها. وكما قال الله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ

(١) متفق عليه.

فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿الكهف ٤٥﴾.

من أراد النعيم المقيم الذي لا يتكدر فليس في هذه الحياة، وإنما هو في جنة عرضها السماوات والأرض، قال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الزخرف ٧١].

قال النبي ص: (ينادي منادٍ إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدا، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمْ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف ٤٣] (١).  
فمن الغبن الفاحش -معشر المسلمين- أن يؤثر امرؤ الشهوات المحرمة في دنياه على ما أعد له مولاه في أخراه لو تركها، أو يركن وينقطع إلى الشهوات المباحة في حياته ويغفل أو يتغافل عن مثيلاتها في آخرته بعدم الاستعداد للظفر بتلك الملدات التامة، وما في الدنيا إلا نماذج وعينات لما في الآخرة.

أيها المسلمون، بعد هذا يقول رسول الله ص: (وأسألك الرضا بعد القضاء).

حينما يبلغ الإيثار الصادق بصاحبه منزلة راقية يلاحظ عند نزول البلاء به حكمة المبتي جل وتقدس، وخيرته لعبده في ذلك الامتحان، وأن الله غير متهم في قضائه وقدره.

النور السائر من خطب المنابر

فينزل حينئذ على قلبه نعيم الاطمئنان والرضا، ويعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

وإذا قوي الرضا فقد يزيل الإحساس بالألم بالكلية، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ص: (إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط)(١).

والحياة الطيبة والعيش الهنيء حاصلان بالرضا بأقدار الله وأقضيته، قال بعض السلف في قوله تعالى: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ [النحل ٩٧]. قال: الرضا والقناعة، وقال غيره في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ [التغابن ١١]، قال: هي المصيبة تصيب الرجل فيعلم أنها من عند الله فيسلم لها ويرضى.

فإذا نال العبد المسلم الراضي هذا النعيم العظيم في الدنيا - وهو يعرف أنها وأنه عما قريب إلى ارتحال - استشرف إلى دار العيش الحقيقي إلى الجنة؛ فإنه العيش الكامل، وما سواه ظل زائل، وحالٌ حائل، قال رسول الله ص: (اللهم، لا عيش إلا عيش الآخرة)(٢).

والعيش في الجنة فيه الراحة والروح المنزه عن المنغصات؛ ولذلك دعا رسول الله ص هنا قائلاً: (وأسألك برد العيش بعد الموت).

فاللهم، إنا نسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وكلمة الحق في الغضب والرضا،

(١) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه، وهو صحيح.

(٢) متفق عليه.



---

---

والقصد في الفقر والغنى، ونسألك نعيماً لا يبيد، وقرة عين لا تنقطع، ونسألك الرضا  
بعد القضاء، وبرد العيش بعد الموت.

قلت ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم.



النور السائر من خطب المنابر

## الخطبة الثانية

الحمد لله، الذي خلق الإنسان، وعلمه البيان، والصلاة والسلام الأتمان  
الأكملان على نبينا محمد، ما تعاقب الملوان، واستمر الجديان، أما بعد:  
أيها المسلمون، عوداً حميداً إلى هذا الدعاء النبوي الجامع، إذ يقول رسول الله ص  
بعد ذلك: (وأسألك لذة النظر إلى وجهك).

إن لذات أهل الجنة فيها كثيرة متنوعة: لذة المكان، ولذة الزمان، ولذة الجار، ولذة  
المسموع، ولذة المرئي، ولذة المطعوم، ولذة الخلطة، ولكنهم لا يجدون شيئاً أنعم ولا  
أعظم من تنعمهم بالنظر إلى وجه الله الكريم. فعن صهيب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ص  
تلا هذه الآية: ﴿لَلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس ٢٦]. فقال: (إذا دخل أهل الجنة  
الجنة، وأهل النار النار، نادى منادٍ يا أهل الجنة، إن لكم عند الله موعداً يريد أن  
ينجزكموه، فيقولون: وما هو؟ ألم يثقل موازيننا، ألم يبيض وجوهنا، ويدخلنا الجنة  
ويجرنا من النار؟ قال: فيكشف لهم الحجاب فينظرون إليه، فوالله ما أعطاهم الله شيئاً  
أحب إليهم من النظر إليه ولا أقرّ لأعينهم)<sup>(١)</sup>.

فيا لها من لذة ما أعظمها! ويا لها من ساعة ما أكرمها! ويا له من موعد ما أحبه!  
ويا له من جزاء ما أحسنه! نسأل الله من فضله.

لقد عبده المؤمنون به في الدنيا بالغيب ولم يروه، فأحبوا رؤية معبودهم ومحبوبهم،

(١) رواه أحمد وابن حبان والطبراني، وهو صحيح.



فكان من إكرام الله لهم أن تجلى لهم فأروه عياناً يوم القيامة، وهذا هو الحق: أن المؤمنين يرون ربهم بأبصارهم في الآخرة يقول الله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ، إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣].

وعن جرير بن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: (إِنكُمْ سَتْرُونَ رَبَّكُمْ عِيَانًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ) (١).

وأما الكفار - فلكفرهم وجحودهم - فكانوا حقيقين أن لا يُكرموا برؤية ذي الكمال والجمال جل وتقدس، يقول الله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّحَجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥].

قال الشافعي رحمه الله: "لما أن حجب هؤلاء في السخط كان في هذا دليل على أن أولياءه يرونه في الرضا".

أيها المسلمون، ويتابع رسول الله ص الدعاء قائلاً: (وأسألك الشوق إلى لقاءك، في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة).

إن من لوازم الرؤية: اللقاء، فكم قد طال بالمؤمنين الشوق، وبرح بهم الانتظار، وطول السفر. وفي أثر إسرائيلي: "طال شوق الأبرار إلى لقائي، وأنا إلى لقاءهم أشوق".

وقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾

[العنكبوت: ٥].

النور السائر من خطب المنابر

قال بعض العارفين: "لما علم الله شوق المحبين إلى لقائه ضرب لهم موعداً للقاء، تسكن به قلوبهم".

لقد جعل الشوق المشتاقين يتحملون الآلام والمشاق، ويؤدون ما فرض عليهم إلى تبلغ الروح التراق، ويتجنبون ما نهوا عنه، حتى الممات والفراق.

ولما كان يمكن أن يُتصور الألم، أو يحصل الضرر والفتنة من فعل المطلوبات والعبادات السابقة سأل الرسول عليه الصلاة والسلام - إن كانت فتنة أو ضراء - أن لا تؤدي إلى تأثير سلبي على الديانة؛ فلهذا قال: (من غير ضراء مضرّة، ولا فتنة مضلة) أي: تفضي إلى الحيرة والهلاك.

أيها المسلمون، ثم ختم النبي عليه الصلاة والسلام هذا الدعاء العظيم بدعوتين عظيمتين فقال: (اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين).

فأولى هاتين الدعوتين تعني: حصول كمال الإيمان وآثاره الحسنة على الظاهر والباطن.

والزينة زيتان: زينة تصلح الظاهر، وتكون باللباس الذي يغطي العورات الحسية.

وزينة تصلح الباطن والظاهر، بتغطية العورات المعنوية، وهذه الزينة هي زينة الإيمان، وحسن الإسلام، قال الله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف ٣١].





وكان قد قال قبلها: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا  
وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف ٢٦].

فماذا يغني جمال المظهر والمنظر إذا فقد جمال المخبر والجوهر؟! كثيرون هم  
المهتمون بظواهرهم، وقليلون من يهتمون بإصلاح بواطنهم.  
وإن الإيمان -عباد الله- ليس ادعاءً أو أقوالاً ولكنه حقائق ثابتة في القلوب،  
وأفعال ناطقة على الجوارح.

وثاني الدعوتين: سؤال الله الهداية، وتلك نعمة ما أعظمها! ومنّة ما أكملها! ولا  
يكمل الاهتداء إلا بإهدائه إلى باقي الخلق.

فمن رزق الهداية فأمسكها على نفسه، ورأى المنكر مفعولاً، والمعروف مهجوراً،  
فلم يمهأ أو يأمر فقد لا يسلم في الدنيا وإن نجا في الآخرة، ولا تسلم عن الثالث الذي  
ضلّ وأضل.

فإن الله تعالى قد ذكر لنا في كتابه قصة الذين اعتدوا في السبت وختم لنا تلك  
القصة بمشهد الختام والمصير للأصناف الثلاثة: العاصين، والساكتين عنهم، والناهين  
لهم فقال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ  
ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف ١٦٥]، وسكت عن الصنف الثالث. فيا  
أيها الناس، اعرفوا قدر سنة نبيكم: فعظموها واعملوا بها، ومنها أحاديث الدعاء  
فخذوها وادعوا بها، وقدموها على غيرها، وسلوا الله التوفيق إلى خشيته في الغيب



\_\_\_\_\_النور السائر من خطب المنابر

والشهادة واخشوه بسلوك سبيل الخشية، وسلوه التوفيق إلى قول كلمة الحق على كل حال وفي كل ظرف فقولوها، وتجنبوا سواها من الباطل، وسلوه التوفيق إلى الوسطية في جميع أموركم، ومنها: حال الغنى والفقر، فكونوا معتدلين: لا مبذرين ولا مقترين، وارجوه تعالى حسنَ المآل والمنقلب يوم تصيرون إليه، وإلى ما في ذلك من الخيرات الحسان فاستعدوا وأعدوا مهر تلك المطالب والرغائب. فإذا فعلتم ذلك فإنه من الإيمان الذي يلوح عليكم نوره، فكتتم بذلك هداة مهتدين غير ضالين ولا مضلين.

ثم صلوا وسلموا على خير الورى....

## تداعي الأمم على أمة الإسلام (١)

الحمد لله ناصر المستضعفين، ومؤيد المؤمنين، وآخذ الظالمين، ومخزي الكافرين،  
وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وغياث المستغيثين، وأشهد أن محمداً عبده  
ورسوله سيد المتقين، وحيب رب العالمين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ؕ وَلَا تَمُونَنَّ إِلَّا وَانْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ  
وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ؕ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]. ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا  
اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ  
فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد رسول الله صلى الله  
عليه وآله وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.  
أيها الناس، لم يعد خافياً على كل ذي لب اتفاق ملل الكفر على ملة الإسلام؛ لأنه  
قد أصبح من الواضح جداً أن العدو الذي يهدد كيان كفرهم، ويعرقل مسيرة بغيتهم

(١) أُلقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني في ١٩/٣/١٤٣٤ هـ، ٣١/١/٢٠١٣ م.



النور السائر من خطب المنابر

هو هذا الإسلام بما يحمله من عناصر القوة المتنوعة، وعوامل البقاء والخلود، وسرعة الانتشار والظهور، وقوة التأثير في القلوب، ورسوخ اقتناع معتنقيه الراضين به من غير بديل عنه.

ولهذا اجتمع أعداء الإسلام على حربه كلهم وإن اختلفوا فيما بينهم: اليهود والنصارى، والمجوس والهندوس، والبوذيون والملحدون.

فصار هذا التكالب مصداق إخبار رسول الله ص: (يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها). فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: (بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن). فقال قائل: يا رسول الله، وما الوهن؟ قال: (حب الدنيا وكرهية الموت)<sup>(١)</sup>. فذكر النبي ص في هذا النص الشريف سبب تداعي أحزاب الكفر على أهل الإسلام - مع كثرة عدد المسلمين - وهذا السبب هو: خور المسلمين وجبنهم، وهزيمتهم الداخلية وضعفهم، وهذا هو الذي ولّد حبّ الدنيا وكرهية الموت، حتى صار الحرص على الحياة الدنيا أهمّ من الحرص على الآخرة، فحبّ في نفوس كثير من المسلمين البقاء ولو كان بقاء ذليلاً دنيماً، وكرهه المواجهة بالجهاد لأعداء الدين، فكانت النتيجة هي ما عليه المسلمون اليوم من الانحطاط والاستذلال، قال رسول الله ص: (إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم

(١) رواه أحمد وأبو داود، وهو صحيح.



الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم<sup>(١)</sup>.

إن هذا الانهزام الداخلي لدى المسلمين جعلهم يتفرون ويتناحرون فيما بينهم، مما جعل كل دولة أو طائفة مشغولة بنفسها بعيدة عن همّ غيرها، وهذا أعطى العدو فرصة افتراس الدول الإسلامية دولة بعد دولة، وأكلت يوم أكل الثور الأبيض كما قيل، وهذا مثل وأصله- كما يذكرون-: أن ثلاثة أثوار: أبيض وأحمر وأسود، اجتمعن مع أسدٍ في أجمة، فكان الأسد إذا أراد شيئاً منهن اجتمعن، فامتنعن منه، فقال للأحمر والأسود: إنه لا يفضحنا في أجمتنا هذه إلا مكان هذا الأبيض، فخلينا بيني وبينه حتى آكله، ثم أخلوا أنا وأنتما في هذه الأجمة، فلونكما على لوني ولوني على لونكما، ففعلا، فوثب عليه فلم يلبثه أن قتله، قال: فكان إذا أراد أحدهما اجتماعاً، فامتنعا منه، وقال للأحمر: يا أحمر، إنه لا يشهرنا في أجمتنا هذه إلا مكان هذا الأسود، فخل بيني وبينه حتى آكله، ثم أخلوا أنا وأنت، فلوني على لونك ولونك على لوني، فأمسك عنه فوثب عليه فلم يلبثه أن قتله، ثم لبث ما شاء الله ثم قال للأحمر: يا أحمر! إني آكلك، قال: تأكلني؟! قال: نعم، قال فدعني حتى أصوت ثلاثة أصوات، ثم شأنك بي، قال: فنعم، فقال: ألا إني إنما أكلتُ يوم أكل الثور الأبيض، فصارت مثلاً، وهذا حال الدول الإسلامية اليوم؛ فإنها لو اجتمعت واتحدت لهاها العدو ولم يجرؤ على قضم دولة منها.

ومن هنا نعلم السر- في نهى الله تعالى المسلمين عن الاختلاف والتنازع كما قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ

(١) رواه أبو داود والبيهقي والحاكم، وهو صحيح.

مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿[الأنفال ٤٦].

أوصى والد أولاده عند وفاته فقال:

كونوا جميعاً يا بنيّ إذا عتري      خَطْبٌ ولا تتفرقوا أفراداً  
تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسراً      وإذا افترقن تكسرت أحاداً

عباد الله، لقد أراد العدو الكافر- على اختلاف ملله ودوله- أن يصد دين الإسلام الذى أضحى نوره يشق دروب هداية البشرية في كل مكان؛ لينتشل العالم التائه من دياجيه الكثيفة.

إن أعداء الإسلام على يقين من ظهور الإسلام وسطوع ضيائه على كل الآفاق لكنهم يريدون عرقلته وتأخير خطواته الحثيثة عن بلوغ مداه؛ لذلك لم يألوا جهداً- بما يمتلكون من قوى متعددة ومتطورة- من محاولات لكبح جماح كل بارقة أمل تريد أن تخرج الأمة من كهف الذل والانحطاط، أو أن تأخذ بيدها لتتنقذها من منحدراتها السحيقة؛ لترى مكانها الذي هي أهله من دون الناس، وتبصر- الحياة والأحياء فتبث فيهم خيرها وهداها.

سخر أعداء الإسلام سياستهم المحكمة لوضع الأمة الإسلامية في أنفاق التبعية لها، فأضحوا هم المسير الحقيقي للدول الإسلامية بشراء أصحاب القرار فيه بالترغيب أو بالترهيب، وفرض قوانينها- بعد ذلك- دستوراً يحكم المسلمين بما يخالف شريعة الله التي ارتضاها لهم.



وسخروا كذلك قوتهم الاقتصادية للانقراض على ثروات المسلمين وجعل المسلمين سوقاً لهم، وزرع العقبات الكثيرة أمام كل دولة إسلامية تريد النهوض باقتصادها، وإغراقها باستعمار الديون والقروض الربوية التي تثقل كاهلها؛ لتصبح تلك المنح المالية مطيةً ضغطٍ عليها لتستجيب لمطالبها وأجنداتها الخبيثة.

وسخروا أيضاً قوتهم الإعلامية الجبارة لغزو عقول المسلمين بثقافتهم الاستعمارية التي تستهدف كل المبادئ والخصال الحسنة بين المسلمين، فإعلامهم حرب على الدين وعلى القيم والأخلاق والاعتزاز بالفضائل، وهو طوفان يأتي على كل خير تبقى مع هذه الأمة.

وهذه المعركة الشديدة لم يقم بها العدو بنفسه فحسب، بل جند لها قوماً من بني جلدتنا يتكلمون بألسنتنا ويعيشون بيننا ويتحكمون في أجهزة إعلامنا.

فكيف سينشأ جيل يريه إعلام يحارب الفضائل ويغري بالردائل؟!!

لم يكتف عدونا بما مضى. فقط، بل نما قوته العسكرية وطورها بتجربة أسلحته في لحوم المسلمين ودمائهم وأراضيهم، وغزوها للقضاء على كل ما ينبض فيها بعرق عز وإباء.

إخوة الإسلام، إن عصرنا الحاضر -الذي توزع فيه المسلمون مزقاً، وهُزم معهم المعسكر الشيوعي- أفرز قوة كبرى أصبحت تدير العالم كله وهي الولايات المتحدة الأمريكية التي استحوذت على مقاليد القوى: السياسية والاقتصادية والعسكرية



النور السائر من خطب المنابر

العالمية، فكونت المجالس والجمعيات والمحاكم الدولية التي تشرف على مجريات أحداث العالم وتبتُّ فيها بقراراتها المتبعة، حسب إرادة الإدارة الأمريكية، وللمسلمين من تلك القرارات الجائرة أوفر نصيب؛ فإنها دائماً تمثل دور الخاسر في كل قرار؛ إذ لا حول لها ولا قوة حتى تملك حق الفيتو وترفض القرار وتتصر لنفسها.

إخواني الأعزاء، سأذكر هنا مثالين من أمثلة كثيرة تبرهن على ما ذكرت من جور تلك الإدارات الحاكمة التي تقرر ما يصب في إضرار المسلمين وإيذائهم:

المثال الأول: ما يجري هذه الأيام لإخواننا المسلمين في بورما من إبادة جماعية على يد البوذيين، فقد قتلوا مئات الآلاف منهم بأبشع صور القتل والتنكيل، وهجروا وشردوا مئات الآلاف أيضاً، وفعلوا ما يشيب له الولدان.

وأولئك المسلمون ليسوا محاربين وليس لديهم سلاح للمواجهة حتى سكاكين الطعام أخذوها عليهم من البيوت كما أخبرني بذلك أحد أهل تلك البلاد.

فأين راعية السلام المزعومة، وأين تلك المجالس الأهمية من هذه المجازر البربرية، لماذا لا تتحرك لإدانة السفاح وإنقاذ ما تبقى من المظلومين من بين برائن تلك الكلاب البوذية؟!.

أين مجلس الأمن الدولي من هذه الجريمة التي تعد خزيًا في جبين الإنسانية جمعاء؟!.

أما لو قتل كافر محارب على أيدي المسلمين فإنهم يقيمون الدنيا ولا يقعدونها،





وصدق من قال:

وقتلُ عِلْجٍ واحِدٍ جريمة لا تغتفرُ  
وقتلُ شعب مسلم مسألة فيها نظر

أيها المسلمون، المثال الثاني - وهو مثال أكثر تعقيداً، وأطول نفساً، وأبعد أثراً، هذا المثال هو: ما يجري للمسلمين السنة في سوريا من الإبادة والإهلاك، على أيدي التحالف النصيري الصفوي الأمريكي الشيوعي، ومن انضم إليهم من العملاء والحاquدين على الحق وأهله.

إن ما يحدث الآن في أرض الشام - يا عباد الله - من مجازر ومذابح، وفضائع وفواجع يفوق وصف الواصفين، ويربو على ما يعرض في الإعلام المتنوع. إنها جرائم تستمطر كل العيون النازرة، ويؤلم كل القلوب الحية، عند من تبقى لديه ذرة من إنسانية يتحرك بها.

لم يسمع التاريخ الحديث بمثل ما يحدث من التنكيل والقتل والتشريد لأولئك المظلومين على يد أولئك الظالمين الذين لم يعد فيهم ضمير إنسان ولا قيم حميدة تحجزهم عن هذه الأفعال الشنيعة.

فماذا يقول الإنسان عن ذلك القصف المروع بالمدافع والطائرات والراجمات والدبابات التي حولت البلدات إلى مدن أشباح لا ينطق فيها إلا الخراب والدمار والأشلاء المتناثرة هنا وهناك، وكأنها قامت القيامة في تلك الأماكن الحزينة على ذهاب

حركة الحياة منها؟!.

وماذا يقال عن عشرات الآلاف من القتلى الذين جيفوا، وعشرات الآلاف من الجرحى الذين لا يجدون المشافي الآمنة ولا الأدوية الكافية؟!.

وماذا يقال عن الآلاف من الأسرى الذين يلاقون من التعذيب ما لا يلاقيه أسراء فلسطين على أيدي اليهود؟!.

وماذا يقال عن تلك العفيفات اللاتي انتهكت أعراضهن على مرأى ومسمع القريب والبعيد؟!.

وماذا يقال عن الملايين الذين هُجِّروا من بيوتهم إلى العراء داخل سوريا وخارجها؟!.

وماذا يقال عن تلك النداءات والاستغاثات التي قد بُحَّت أصوات أهلها وهم ينادون المسلمين، وينادون أحرار العالم: أنقذونا أنقذونا، ولكن لا مجيب؟!.

أيها المسلمون، إن النظام السوري الحالي نظام نصيري رافضي- عنصري وحشي- يعادي السنة وأهلها عداء شديداً، وهذا ليس جديداً عن هذه الطائفة الباغية؛ فتاريخهم ملطخ بجرائم إنسانية ضد أهل السنة في الشام في زمانهم القريب وزمانهم التاريخي البعيد.

وهذه الطائفة تدين بالرفض والعداء للسنة؛ ولذلك تقاطرت إلى سوريا الجموع الرافضية من العراق وإيران، ومن اليمن ولبنان، ومن غيرها.



ومن قرأ التاريخ سيجد أن الرافضة أشد عداوة للمسلمين من اليهود والنصارى وأكثر أذية لهم من غيرهم.

عباد الله، إن الأزمة السورية أزمة لكل الأمة المسلمة؛ لأنها أزمة عقائدية في الدرجة الأولى، أكثر منها سياسية واقتصادية؛ فإنها مراهنه حقيقية لبقاء هذا النظام الجائر للقضاء على ما تبقى من أهل السنة ليخلو الجو بعد ذلك في أرض سوريا للعصابة النصيرية.

وأما من الجانب السياسي فإن الأزمة السورية أزمة إقليمية ودولية تقف كل دولة وراء مصلحتها في سوريا ولا يهمها بعد ذلك لو فني الشعب كله.

فإيران لها مصالحها، وروسيا والصين لهما مصالحهما، وأمريكا وإسرائيل لهما مصالحهما.

والضحية بين أنياب هذه المفترسات هو الشعب السوري السني الذي يظلم من القريب والبعيد.

فماذا فعل مجلس الأمن وغيره من المجالس التي تدعي أنها تحفظ الأمن في العالم؟! وماذا قدم المسلمون وحكامهم لإخوانهم السوريين المظلومين من قبل النظام الجائر وحلفائه.

فيا أهل السنة في سوريا الحبيبة، لكم الله، وهو حسبكم ونعم الوكيل، ونقول لكم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

النور السائر من خطب المنابر

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم

## الخطبة الثانية

الحمد لله العزيز الجبار، القوي القهار، قاصم المتكبرين، ومهلك المفسدين، وقاهر الظالمين، وناصر المظلومين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

أيها المسلمون، إن أمة الإسلام أمة حية لا تموت، وأمة يقظة، إن نامت فلن تستغرق في نومها.

إنها أمة معطاء متجددة، فمهما نكأها الأعداء وأوجعها وسعوا إلى إهلاكها وإبادتها ودفن معالم عزتها، والإجهاز على كل محاولة تريد أن توقظها من غفوتها فإن تلك الأفعال تبوء بالفشل وتعود على أهلها بيقين: أن أمة محمد عليه الصلاة والسلام ماضية إلى قمة السؤدد وإن كثرت الأشواك على الطريق.

إخواني الكرام، إن هذه الآلام والنكبات التي سمعتم طرفاً منها لا تدعوننا إلى الانكفاء على أنفسنا والهروب إلى مغارات الخوف واليأس، وإنما تدعوننا إلى اليقظة والنهوض والجد في العمل؛ فرب ألم قاد إلى أمل، وجرح كان سبب الشفاء.

والمجد الذي يورث بغير تعب يسهل التنازل عنه، لكن المجد الذي يولد من تساقط الجماجم وتقديم التضحيات والملاحم لن يضيعه أهله بسهولة؛ فالمال الذي كسبه الإنسان بعنائه وكده، يحرص عليه أكثر من المال الذي ورثه عن أبيه وجده.

النور السائر من خطب المنابر

فهذه دعوة للتفاؤل، واستشراف المستقبل المشرق الذي ينبج بعد مراغمة الظلام والظالمين، وتمحيص صفوف المؤمنين، ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤].

أيها المسلمون، إن النصر- المنشود الموعود يحتاج منا -نحن المسلمين- أن نبني أنفسنا وأجيالنا بناء عقائدياً إيمانياً وأخلاقياً سليماً؛ لأن الأمة الموحدة الصادقة لا تقهر ولا تُخذل.

وعلينا أن نعتز بديننا بالأقوال والأفعال، وأن نعد أنفسنا لاستقبال النصر- بإصلاح ديننا ودنيانا.

أما إخواننا المظلومون في سوريا وبورما وغيرهما من بلاد الله فالواجب على الأمة نصرهم؛ لأنهم إخواننا والله تعالى يقول: ﴿وَإِنْ اسْتَنْصَرُواكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ- إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٢].

وإذا كانت الحماية لكافر مظلوم واجبة إذا استنصرنا فكيف بإخواننا المسلمين، قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٦].

فواجبنا نحو إخواننا نصرهم بالنفس والمال والإعلام والدعاء، والله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه.



خطب

من

السائر

النور

---

---

هذا وصلوا وسلموا على النبي محمد.....

## أهل البهتان والإثم المبين (١)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونُ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].  
 ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ؕ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].  
 ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وإن أفضل الهدي هدي محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة.  
 أيها الناس، اعلّموا - رحمني الله وإياكم - أن الإسلام دين الخلق القويم، والتعامل المستقيم، الذي يبيث السلام بين الأنام، ويرسي قواعد السكينة الاجتماعية بإصلاح

(١) ألقى في مسجد ابن الأمير الصنعاني في ١٤/٧/١٤٣٤هـ، ٢٤/٥/٢٠١٣م.





الفرد الذي هو نواة المجتمع وأساسه بتقويم سلوكه وتشجيعه على ما يجلب الخير للعالم، ويحذره من كل سبيل توصله إلى إيذاء غيره، وإيصال الضرر إليه. فأحب خلق الله إلى الله أنفعهم لخلقهم وأحناهم عليهم، وأرفقهم بهم، وأحرصهم على إهداء النفع لهم، وطرد الضرر عنهم، فلا تراه إلا يرشدهم إلى الحق، ويطفئ عنهم وهج الحاجة، ويحميهم مما يؤذيهم، ويفرج عنهم همومهم، ويأخذ على يد ضعيفهم، ويدخل السرور عليهم، فما أعظمَ جزاء هذا الإنسان العظيم في العاجل والآجل؛ لأن الله لا يضيع أجر المحسنين.

قال رسول الله ص: (أحب الناس إلى الله أنفعهم، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعاً، ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في المسجد شهراً، ومن كف غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظاً ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رضياً يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجته حتى يثبتها له أثبت الله تعالى قدمه يوم تزل الأقدام، وإن سوء الخلق ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل)<sup>(١)</sup>.

قال وهب ابن منبه: "إن أحسن الناس عيشاً من حسن عيش الناس في عيشه، وإن من ألد اللذة إدخال اللذة والإفضال على الإخوان".

(١) رواه الطبراني وابن أبي الدنيا، وهو حسن.

\_\_\_\_\_النور السائر من خطب المنابر

أيها المسلمون، إن من أشقى الناس وأتعسهم - في الحياة وبعد الموت - أولئك الساعين في إيذاء الناس وتنغيص حياتهم، وإنزال الضرر عليهم، وتضييق معاشهم، وتكدير صفو راحتهم، وقطع سبل السعادة عنهم.

إن أولئك المؤذنين الأشقياء يحملون في حناياهم شره الضباع، وعدوان السباع التي لا تحب العيش إلا على تدفق الدماء، وتناثر الأشلاء، ورؤية الضحايا والبؤساء. بل هم أشرس من المفترسات العادية؛ لأنها إذا شبعت لم تتعرض للطرائد، أما هم فمستمرون على جلب الضرر لغيرهم، فتخمة الأذى لا تفارقهم، وعشق تعذيب الخلق لا ينفك عنهم.

طَبِعُوا عَلَى حُبِّ الْأَذِيَةِ مَا لَهُمْ  
عِنَهَا مَفَارِقَةٌ وَلَا مُتَحَوَّلٌ  
وَإِذَا دُعُوا يَوْمًا خَيْرٌ يُرْتَجَى  
قَالُوا يَقِينًا الْحَيْبُ الْأَوَّلُ

إخواني الكرام، إن هذا التكريم للأحياء في حرمة إيذائهم وإيصال الضرر إليهم جاء من تكريم الله للنفوس الحية وصيانتها من الاعتداء عليها ما دامت غير مؤذية ولا معتدية، فإذا آذت واعتدت خرجت عن هذا التكريم.

يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠].

وقال رسول الله ص: (إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في



شهركم هذا في بلدكم هذا)<sup>(١)</sup>.

عباد الله، إن هناك أضراراً كثيرة يتعرض لها الأبرياء من هذا الشعب الذي تتواتر عليه البلية تلو البلية، والرزية بعد الرزية وهو صابر مرابط على حصون الحكمة، ونعمت المرابطة.

يُجْرَعُ غُصَصُ التَّجْوِيعِ وَالتَّفْقِيرِ، وَالقَهْرِ وَالإِذْلَالِ، وَالتَّجْهِيلِ وَقتل الإبداع، والقضاء على العقول المنيرة، والتعطيل للطاقات والجهود القديرة، ويتوَجَّه هذه المحن الممتدة فوضى أمنية نتج عنه كثرة القتل والاعتداء على الأموال والحقوق الخاصة والعامة.

حتى ولد من رحم الفساد السابق - في هذه السنوات الأخيرة - مولود مشؤوم زاد الطين بلة والمرضى علة والخرق اتساعاً والجرح انفجاراً، هذا العقاب الجماعي والضرر الشعبي العام هو: تعطيل الكهرباء وضربها المرة بعد المرة.

إن هذا العمل الإجرامي فريد في بابه، فإنه لم يحدث في أي بلاد أن يقضي أفراد منها على هذه المصلحة العامة ويتركوا المرة بعد المرة دون عقاب يزرهم ويردع غيرهم. لقد أصبح الناس يعيشون في ظلام دامس، وعناء مستمر، وكآبة متصلة، وخسائر مالية فادحة في البدائل عن الكهرباء من مولدات وخزانات كهرباء وشموع ونحو ذلك، وكم من أعمال عَطَّلَتْ وَأوقَاتُ أَهدرت، وَأضرار طيبة حصلت بسبب

(١) متفق عليه.

النور السائر من خطب المنابر

انطفاء الكهرباء.

فإلى متى يستمر كابوس انطفاء الكهرباء، ومتى تستريح الأذان من أصوات المواطير، ومتى تسلم الأجهزة والآلات من الخراب والعطل، ومتى ترتاح الأنوف من دخان الشمع والفوانيس، ومتى يرعوي المخربون عن غيهم، والداعمون لهم عن جريمتهم؟

أثخنوها بجراح كلِّها	نبضتْ بالنور فينا والضياء
لم يرُقْهم أن يروا بسمتها	تملاً الأفق وترهوا بالسناء
عشقوا الليل وخافوا ضوؤها	فاضحاً في الناس وجه الجبناء
ضلتْ الأخلاق منهم مثلما	ضلتْ الأنوارُ عنَّا في المساء
والكريمُ الحرُّ لا يحمُّه	بهرجُ المال لهذا الاعتداء
رحلةُ التخريب ذنبٌ مرهقٌ	كاهلُ الباغي وزادُ من شقاء
كم جنا الجاني صغاراً واجتنى	في الدجى الساجي سهاماً من دعاء
حجبَ اللهُ ضياءَ الشمس عن	نظرِ الساعي لحجب الكهرباء

أيها المسلمون، إن الإسلام حرم على المسلم إيذاء غيره، وإيصال الضرر إليه، ولو كان الضرر يسيراً، سواء كان في نفسه أم ماله أم عرضه، ولو كان للمزاح والدعابة، ولو كان المؤذي كافراً في غير الحرب، بل ولو كان المتعرض له بالإضرار حيواناً.



قال رسول الله ص: (سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر)<sup>(١)</sup>.

وقال: (لا يجل لامرئ أن يأخذ عصا أخيه بغير طيب نفس منه) قال ذلك لشدة ما حرم الله من مال المسلم على المسلم<sup>(٢)</sup>.

وقال: (من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى وإن كان أخاه لأبيه وأمه)<sup>(٣)</sup>. وقال: (من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاماً)<sup>(٤)</sup>.

وعن سعيد بن جبير قال: كنت عند ابن عمر فمروا بفتية أو بنفر نصبوا دجاجة يرمونها، فلما رأوا ابن عمر تفرقوا عنها، وقال ابن عمر من فعل هذا؟ إن النبي ص لعن من فعل هذا<sup>(٥)</sup>.

وهذا في حق الأحياء، وأما الأموات المسلمون فكذلك يجب احترامهم، ويحرم إيذاؤهم، وقد دل على ذلك ما جاء في أحكام وآداب القبور والمقابر في الإسلام. فمن ذلك: احترام ما تبقى من أجزاء أجسادهم دون كسرها والعبث بها، فعن عائشة عن النبي ص قال: (كسر عظم الميت ككسره حياً)<sup>(٦)</sup>.

(١) متفق عليه.

(٢) رواه أحمد وابن حبان، وهو صحيح.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه البخاري.

(٥) متفق عليه.

(٦) رواه أحمد وابن حبان وأبو داود وابن ماجه، وهو صحيح.

النور السائر من خطب المنابر

والابتعاد عن سبهم، قال النبي ص: (لا تسبوا الأموات؛ فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا)<sup>(١)</sup>.

والبعد عن المشي بالأحذية فوق القبور، فقد نظر رسول الله - صلى الله إلى رجل يمشى في القبور عليه نعلان فقال: (يا صاحب السبتين، ويحك! ألق سبتيتك)<sup>(٢)</sup>.  
 عباد الله، لقد رتب ديننا الحنيف على إيذاء الناس والإضرار بهم عقوبات في الدنيا وعقوبات في الآخرة؛ لكي يرتدع أهل الإجرام والأذى، وينالوا جزاء تجنيهم وتعديهم. فمن تلك العقوبات الرادعة: الحدود الشرعية على الجناة في الجرائم الكبيرة؛ حفظاً لدماء الناس وأموالهم وأعراضهم وأمنهم.

ومن تلك الحدود: حد الحراة على الذين يهددون الناس في نفوسهم وحقوقهم واستقرارهم، قال تعالى: ﴿إِنَّهَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣].

ومن تلك الحدود: حد القصاص في القتل العمد، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٨].

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه أحمد وابن حبان، وهو صحيح.

ومنها: حد السرقة، قال تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨].

ومنها: حد رجم الزاني المحصن، وجلد غير المحصن، قال رسول الله ص: (خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلاً: البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم) (١).

ورجم رسول الله الغامدية وماعزاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

ومنها: التعزير، وهو عقوبة تأديبية على ضرر لم ترد فيه عقوبة معينة في الشرع، فقد يكون بالكلام وقد يكون بالحبس، أو بالضرب، وقد يصل إلى القتل إن رأى ولي أمر المسلمين ذلك.

عباد الله، ومن العقوبات الرادعة: أن يتفكر المسلم الساعي في إيذاء غيره في الإثم والبهتان الذي يحمله معه إلى يوم القيامة وما يترتب عليه من العقوبة والقصاص في نار جهنم.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨].

فالقصاص يوم القيامة من الحسنات والسيئات، قال رسول الله ص: هل تدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا -يا رسول الله- من لا درهم له ولا متاع، قال: (المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاته وصيامه وزكاته، وقد شتم هذا، وأكل

(١) متفق عليه.

النور السائر من خطب المنابر

مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيقعد فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يعطى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرح عليه ثم طرح في النار<sup>(١)</sup>.

وقال: (من ضرب بسوط ظلماً أقتص منه يوم القيامة)<sup>(٢)</sup>.

وقال رسول الله ص: (إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا)<sup>(٣)</sup>.

أيها المسلمون، إن إيذاء الناس والإضرار بهم إنما يأتي حينما يغيب عن القلوب وازع القرآن ووازع السلطان.

فخوف الله ومراقبته، والإيمان به وبلقائه وحسابه تحجز من يروم إيذاء غيره عن الأذى، كما امتنع ابن آدم الصالح عن قتل أخيه، قال الله تعالى: ﴿لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدَيْ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: ٢٨].

وقال النبي ص: (الإيمان قيد الفتك، لا يفتك مؤمن)<sup>(٤)</sup>.

فوجود الدين المتين في قلوب المسلمين يمنعهم أن يكونوا من المؤذنين، وكلما ضعف الدين كثر الضرر بين البشر.

فهذا وازع القرآن-أي: المانع الشرعي-، وأما وازع السلطان فهو وجود هيبية الدولة في قلوب الرعية حينما تقوم الحكومة بمسئوليتها في استتباب الأمن وفرض

(١) رواه أحمد وابن حبان، وهو صحيح.

(٢) رواه البيهقي والبخاري في الأدب المفرد، وهو صحيح.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه أحمد وأبو دواد والحاكم، وهو صحيح.



القوة بالعدل في كف الناس عن الجناية، والصرامة والعقوبة الرادعة في حق الجناة المؤذنين.

عن سليمان بن يسار أن صبيغ بن عسل قدم المدينة فجعل يسأل عن متشابه القرآن وعن أشياء، فبلغ ذلك عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فبعث إليه عمر فأحضره وقد أعد له عراجين من عراجين النخل، فلما حضر قال له عمر: من أنت؟ قال: أنا عبد الله صبيغ، فقال عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: وأنا عبد الله عمر، ثم قام إليه فضرب رأسه بعرجون فشجه، ثم تابع ضربه حتى سال دمه على وجهه، فقال: حسبك يا أمير المؤمنين، فقد ذهب - والله - ما كنت أجد في رأسي، فقيل: إنه لم يتكلم ببدعته مدة بقاء عمر فلما مات عمر رجع إلى بدعته، والله أعلم.

فهذا وازع السلطان، فمن لم يرده عن آذاه وازع القرآن؛ لضعف إيمانه، وتأخر عقوبته، رده هذا الوازع: أي حزم الحكم وشدته في الحق.

قال عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن".

وقال المهلب بن أبي صفرة لبنيه: "إذا وليتم فلينوا للمحسن، واشتدوا على المريب؛ فإن الناس للسلطان أهيب منهم للقرآن".

فإذا غاب من قلوب العباد هذان الوازعان فماذا ستكون النتيجة؟

إن النتيجة: أن يقهر القوي الضعيف، ويبطش القادر بالعاجز، ويستذل الغني الفقير، ويصبح الناس كحال الغنم غاب راعيها ولا مبيت لها ولا حمى، وهي مبعثرة بين ذئاب جائعة لم تذوق ذواقاً مدة من الزمن.

النور السائر من خطب المنابر

فعلى أهل الأذى أن يتتهوا ويرعوا، ويؤبوا إلى رشدهم ويرجعوا، ويتذكروا وقوفهم الذليل بين يدي العظيم الجليل يوم القيامة. ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ [البروج ١٠].

فقد يُمد للمؤذي حبل الإمهال فلا يظن أن الله غافل عن أذاه، فليستنقذ نفسه من شرك الغفلة في زمن المهلة، ففي الحياة الدنيا متسع لرجوع المذنبين، وعودة المؤذنين، مهما عظم الأذى، فالיום عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل.

ونقول للداعمين للمخربين والمؤذنين لعباد الله بالمال والسلاح ما قلنا لسامعي قولهم، ومنفذي جريرتهم، وأن يستغلوا ما أنعم الله عليهم من مال وجاه فيما ينفع لا فيما يضر، وينظروا إلى قول الله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ [القصص ١٧].

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على خير المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

أيها المسلمون، مزيداً مزيداً من الصبر والحكمة، والحلم والتؤدة، فحبل الأذية قصير مهما طال، وهلاك الظالمين قريب مهما منتهم الآمال وتأخرت عنهم الآجال، فالعاقبة وخيمة، والنهاية بئيسة أليمة، والقصاص من ذوي الإضرار بالخلق حتم إن عاجلاً وإن آجلاً، ولا يجيق المكر السيء إلا بأهله، وصاحب الأذى يسعى إلى حتفه بظلفه، ويغزل كفن مأساته بكفه، والله يميل للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته.

وعلى الإنسان الصالح بذل النصيحة النافعة لعشاق الأذى ترغيباً أو ترهيباً، بأسلوب حسن، وكلمة طيبة؛ معذرة إلى الله تعالى، ولعل أصحاب أذية الناس أن يرجعوا إلى رشدهم، ويؤبوا إلى ربهم، فرب كلمة نفعت مالم ينفع السلاح، وأثمرت مالم تثمر المواجهة بالقوة.

عباد الله، إن عقلاء البشر - ولو كانوا كفاراً - يحافظون على الممتلكات العامة من التخريب والعبث والسلب والنهب، خاصة الكهرباء التي تشريق حياتنا المعاصرة - جميعاً - بشروقها، وتغرب بغروبها، وتتحرك بحركتها وتسكن بسكونها، أو لا يشعر هواة التخريب أنهم أول المتضررين وأول من يُسدل الظلام عليهم ستاره، فيا لاحس المبرد كُف وتوقف قبل أن تصحو من السكر فلا تجد غير الندامة والحسرة.

نسأل الله أن يرد أهل الضرر إلى الصواب، وأن يجبس البلاد من الخراب والاضطراب.

النور السائر من خطب المنابر

هذا وصلوا وسلموا على البشير الهادي.....

## حسن الخاتمة (١)

الحمد لله أول الأمر وآخره، وباطنه وظاهره، أحمده عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته، وأشهد أن لا إله إلا الله الحي القيوم، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الرسول المأمون، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ؕ وَلَا تَمُونَنَّ إِلَّا وَانْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].  
 ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَطَعَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ؕ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].  
 ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ؕ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ  
 فَقَدَ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي رسوله محمد بن عبد الله، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.  
 أيها المسلمون، إن الله تعالى جعل لكل إنسان عمراً واحداً من عمر هذا الزمن الدنيوي، وأبهم عنه مقدار نصيبه من هذه الحياة الموقوتة؛ ولهذا يظل المسلم اليقظ دائم

(١) أُلقيت في مسجد ابن الأمير الصنعاني، في ١٣/٥/١٤٣٣هـ، ٥/٣/٢٠١٢م،

النور السائر من خطب المنابر

الانتباه، حاضر الاستعداد لملاقاة أجله، واستيفاء عمره على هذه الدنيا فيما ينفعه حين رجوعه إلى ربه.

هذا الحس الساهر يبعده عن سِنَةِ الغفلة، ونعاس الفتور، والقيود عن التهيؤ ليوم المعاد؛ فيكون عند ذلك من المسارعين على الصراط المستقيم، فإذا بقي هذا الشعور حياً ساق صاحبه إلى حسن الخاتمة.

عباد الله، إن الحديث عن الخاتمة حديث تشرئب إليه الأعناق المؤمنة، وتقف له القلوب الحية؛ لأنه حديث عن النهاية، وحديث عن المرحلة الأخيرة من سفر الدنيا، وحديث عن الحال التي سيقابل بها كل إنسان ربه، فهي الصفحة الأخيرة من دفتر الحياة، وعليها ختم السعادة أو الشقاوة.

فلأجلها بقيت سبل الخير أهلة بالعاملين، وظل المؤمن قريباً من ربه يتقرب إليه، ويتضرع بين يديه، ولأجلها شمّر المشمرون، وجدّ العابدون.

ولأجلها حلّق المؤمنون في آفاق العمر على جناحي الخوف والرجاء: يرجون رحمة الله وفضله، ويخافون عقوبته وتحويل القلوب عنه.

فكم ذرفت لها من دموع، وهجرت جنوبُ النومِ واللذات والهجوع.

كان سفيان الثوري رحمه الله يبكي فيشفق عليه أهله وقالوا: أتبكي الذنوب؟ فقال: الذنوب أهون علي من هذه، وأشار إلى تبنة بيده، إنما أخاف سوء الخاتمة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧].



أيها الناس، إن الناظر إلى حال بعض الناس ليرى الغفلة المطبقة عن الاهتمام بالخاتمة الحسنة، فهناك هو ولعب، وتضييع وهجران لأعمال الآخرة، مع جد ونصب وحرص على أعمال الدنيا وملهياتها.

والمستقبل الذي يفكرون به: بلوغ الأماني والآمال الدنيوية فحسب. أو كما قال القائل:

إنما الدنيا طعام وهيام ومُدام  
فإذا فاتك هذا فعلى الدنيا السلام!

ولهذا تأتي خاتمة الغافلين لتكشف عن سجل حياتهم، وتلخص رحلة عمرهم، وتبدي للناس ما يشغل بالهم ويسيطر على تفكيرهم، وتعلن عن أعظم اهتماماتهم في مسيرة عمرهم.

فهذا يختم كتاب عمره بمعصية ليعث عليها يوم القيامة، وذلك ينهي عمره بالحديث عما شغله في الدنيا عن الآخرة من مال أو جاه أو عقار أو نحو ذلك.

والآخر يودع الحياة والأحياء صامتاً لم يستطع أن يقول: لا إله إلا الله، ويستطيع قول غيرها من الكلام.

فستان بين هؤلاء وبين المستعدين للآخرة طول حياتهم، فإذا جاءهم الموت ختم لهم بخير، فمن ميت يموت على عمل صالح، ومن يقول الشهادة عند الاحتضار وتكون آخر كلامه من الدنيا، ومن يجيئه الموت على أثر طاعة أنجزها فتكون آخر عهده

من الدنيا.

مات أبو ثعلبة الخشني ومجاهد بن جبر وهما ساجدان لله تعالى، وعبد الرحمن بن أبان بن عثمان يخرج من بيته إلى المسجد فيصلي الضحى وتقبض روحه في المسجد، ويحيى بن عمار يموت وهو يفسر سورة القيامة، وأبو زرعة المحدث يفارق الدنيا وهو يسرد سند حديث، وعبد الحميد كشك الذي أحب يوم الجمعة اغتسل في آخر جمعة له في الدنيا وتطيّب وتهاياً للذهاب إلى المسجد فصلى ركعتين وفي الركعة الثانية قبضت روحه، رحمة الله عليهم أجمعين.

قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم ٢٧].

أيها المسلمون، إن الصالحين من عباد الله ينظرون إلى الخاتمة بعين الاهتمام والاعتناء؛ خشية أن يتخبطهم الشيطان في أعقاب أيامهم، وقبيل غروب شمس حياتهم. فيظلون عاملين خائفين؛ فالقلوب بيد علام الغيوب يقلبها كيف يشاء، والنفوس أمارة بالسوء تتربص بالإنسان دوائر الشر، وفتن الشبهات والشهوات كثيرة تقف على كل طريق، والناجون قليل والهالكون كثر.

عن شهر بن حوشب قال: قلت لأم سلمة: يا أم المؤمنين، ما كان أكثر دعاء رسول الله ص إذا كان عندك؟ قالت: كان أكثر دعائه: يا مقلب القلوب، ثبت قلبي على دينك، قالت: قلت: يا رسول الله، ما أكثر دعائك: يا مقلب القلوب ثبت قلبي



على دينك ! قال: (يا أم سلمة، إنه ليس آدمي إلا وقلبه بين أصبعين من أصابع الله، فمن شاء أقام، ومن شاء أزاغ)، فتلا معاذ: ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا﴾<sup>(١)</sup>.

عباد الله، إنما يخشى أهل الإيمان عمل الخاتمة؛ لأنه من مات على شيء بعث عليه، كما قال رسول الله ص، فيما روى أحمد والحاكم.

وكما قال رسول الله ص أيضاً: (وإنما الأعمال بالخواتيم)<sup>(٢)</sup>.

قال ابن رجب رحمه الله: أي: "صلاحها وفسادها، وقبولها وعدمه بحسب الخاتمة".

وقصّت رجلاً راحلته - وهو مع رسول الله ص - (فأمرهم رسول الله ص أن يغسلوه بماء وسدر، وأن يكشفوا وجهه ورأسه؛ فإنه يبعث يوم القيامة وهو يهل)<sup>(٣)</sup>.

ولهذا كان رسول الله عليه الصلاة والسلام يدعو فيقول: (اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة)<sup>(٤)</sup>.

أيها المسلمون، من أراد حسن الخاتمة، وطى آخر صفحة من صحيفة العمر ليلقى ربه سعيداً فليكن صافي العقيدة، خالص النية، صالح القلب.

قال رسول الله ص: (من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ومن مات يشرك

(١) رواه الترمذي، وهو صحيح.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه أحمد وابن حبان والطبراني والحاكم، وهو حسن.

بالله شيئاً دخل النار<sup>(١)</sup>.

ومن أراد حسن الخاتمة فليداوم على الأعمال الصالحة، وليقلع عن الأعمال السيئة، فإن جاءه الموت أتاه على خير حال، وانتقل إلى ربه أحسن انتقال.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾<sup>(١٠٢)</sup>

[آل عمران: ١٠٢].

والمعنى: داوموا على الإسلام حتى الموت تُقبضوا عليه.

ومن الأعمال: الصلوات الخمس، قال رسول الله ص: (من صلى البردين دخل الجنة)<sup>(٢)</sup>. ومعنى ذلك: أن من حافظ على صلاتي الفجر والعصر. فهو لبقية الصلوات أحفظ، ومن حافظ على الصلوات كلها رُزق حسن الخاتمة، قال رسول الله ص: (إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر)<sup>(٣)</sup>.

ومن أراد حسن الخاتمة فليكثر من الدعاء بالثبات على دين الله، والدعاء بحسن الخاتمة.

مثل قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ

أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨].

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه أصحاب السنن، وهو حسن.

ومثل قول رسول الله ص: (يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك)<sup>(١)</sup>.

كان عامر بن ثابت بن عبد الله بن الزبير إذا صلى رفع يديه قائلاً: "اللهم أسألك الميئة الحسنة، فقال أبناؤه: وما هي الميئة الحسنة؟ قال: أن يتوفاني وأنا ساجد، فقام وصلى فقبض الله روحه وهو ساجد. رحمه الله.

معشر المسلمين، هناك الكثير من المسلمين يرجون حسن الخاتمة، ويدعون بذلك، ولكن كيف يرجو حسن الخاتمة من هو منهمك في الخطايا، بل ويجاهر بها ويدعو إليها؟!!

إن الاستمرار على الذنوب والإدمان عليها يحول بين المسلم وبين حسن الخاتمة.

فالمعصية قد تحون صاحبها وتحضره في أحلك الظروف وأشد المواقف، ولا أضّر على العبد من حضورها حين مغادرة الحياة الدنيا إلى الآخرة.

ولا يعني هذا أن الإنسان يصبح من المعصومين من الذنب، إنما المراد أن يجاهد نفسه عن قربانه فإذا وقع فليسارع بالتوبة النصوح.

وكيف يرجو حسن الخاتمة من طال أمله وساء عمله، وهو يمني نفسه بالعمل الصالح، والأوبة إلى الله من العمل السيء عندما يشيب، أو يترك الوظيفة، أو يتزوج، أو يرجع إلى وطنه. فمن يضمن للإنسان أن يصل إلى هذه الأمانى؛ فإن المنية كثيراً ما تسبق الأمنية.

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد وابن حبان والحاكم، وهو صحيح.

النور السائر من خطب المنابر

والتسوية وطول الأمل يفسد على المسلم دينه في الحاضر والمستقبل.

وكيف يرجو حسن الخاتمة-يا عباد الله- من يتكل على رحمة الله دون أن يعمل

ويقول: الله غفور رحيم، وينسى أن عذابه هو العذاب الأليم!.

وينسى كذلك أن رحمته لا ينالها إلا أهل طاعته، كما قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ

شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

قال بعض الصالحين: " رجاؤك مَنْ لا تطيعه من الخذلان والحمق!".

وكيف يرجو حسن الخاتمة مَنْ لا يحب الصلاح والصالحين، وإنما يحب الفساد

والمفسدين؛ لأن أحباب الإنسان قد يأتون حبيبهم عند الموت، فأصدقاء الطاعة

يذكرونه بالآخرة، وبكلمة التوحيد، وبسعة رحمة الله تعالى، وبأعماله الصالحة التي كان

يعملها؛ لعله يعظم رجاؤه بها، ويدعون له بالتشيت.

دخل رسول الله ص على شاب وهو في الموت فقال: (كيف تجدك)؟ قال: والله!

يا رسول الله، إني أرجو الله، وإني أخاف ذنوبي، فقال رسول الله ص: (لا يجتمعان في

قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو، وأمنه مما يخاف)<sup>(١)</sup>.

أما أصدقاء المعصية، فإن حضروا عند رفيقهم فإنما يذكرونه بالدنيا، وبمعصية

الله تعالى، ولا ينفعون بل قد يضرونه في هذا الموقف العصيب.

(١) رواه الترمذي والنسائي وغيرهما، وهو حسن.

عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه النبي ص - وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية - فقال النبي ص: (أي عم، قل: لا إله إلا الله، أحاج لك بها عند الله)، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبد المطلب؟! حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب، وأبي أن يقول: لا إله إلا الله، فقال النبي ص: (لأستغفرن لك ما لم أنه عنك) فنزلت ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ (١١٣) ﴿١﴾.

نسأل الله حسن الخاتمة، وحسن المنقلب، وكرم نزل الرب الكريم.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.



النور السائر من خطب المنابر

## الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير النبيين، وسيد الأولين  
والآخرين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

أيها المسلمون، إن هناك علامات تحدث عند موت بعض المسلمين، ينكشف بها  
حسن قدوم تلك النفس على ربها تبارك وتعالى، جعلت تلك الأمارات مرآتي ناصعة  
للميت وللأحياء يرون من خلالها حسن المصير والمنقلب إن شاء الله تعالى.

فمن تلك العلامات التي تدل على حسن الختام: أن يقول الإنسان عند موته: لا  
إله إلا الله، فإذا نطق بها بنفسه، أو سمعها من الحاضرين فقالها ومات عليها- ولو طال  
الوقت من قولها حتى خرجت الروح- فقد حسنت خاتمته.

قال رسول الله ص: (من كان آخر كلامه لا إله إلا الله وجبت له الجنة)<sup>(١)</sup>.

وهذه الكلمة-عباد الله- لا تحضر- على فم الإنسان وعقله في ذلك الموقف  
الرهيب إلا إذا كان يعمل بها في حياته، فإذا كان بعيداً عنها فلن يستطيع أن يقوها.

كما قال ذلك الرجل المحتضر- حينما قيل له: قل: لا إله إلا الله- فقال إنه يستطيع  
أن يقول كل كلمة إلا هذه الكلمة. والسبب أنه لم يعيش لأجلها.

ومن العلامات المبشرة: أن يموت الإنسان غازياً أو مرابطاً في سبيل الله تعالى،  
قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ

(١) رواه أحمد والترمذي وأبو داود، وهو صحيح.

يُرْزَقُونَ ﴿آل عمران ١٦٩﴾.

ومن العلامات: أن يكون صالحاً فمات ليلة الجمعة أو يوم الجمعة.

قال رسول الله ص: (ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر)<sup>(١)</sup>.

أما إذا كان غير صالح فلا بشارة له بذلك، إذا مات ليلة الجمعة أو يومها.

ومن العلامات: الموت بعرق الجبين، قال رسول الله ص: (المؤمن يموت بعرق الجبين)<sup>(٢)</sup>.

عباد الله، من البشارات عند الموت: أن يقتل المسلم دفاعاً عن الدين أو النفس أو المال أو العرض.

قال رسول الله ص: (من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون دينه، فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد)<sup>(٣)</sup>.

ومن العلامات أيضاً: موت المسلم صابراً على مرض من الأمراض كالطاعون، وداء البطن، أو السل، أو الموت بحرق أو غرق أو هدم، وموت المرأة في نفاسها.

قال رسول الله ص: (الشهداء خمسة: المطعون، والمبطون، والغرق، وصاحب

(١) رواه أحمد والترمذي، وهو حسن.

(٢) رواه أحمد والترمذي والنسائي، وهو صحيح.

(٣) رواه أهل السنن، وهو صحيح.

الهدم، والشهيد في سبيل الله عز وجل<sup>(١)</sup>.

وفي رواية: (وصاحب ذات الجنب شهيد، وصاحب الحرق شهيد، والمرأة تموت بجمع<sup>(٢)</sup> شهيدة<sup>(٣)</sup>).

عباد الله، ينبغي أن نعلم أن المسلم إذا مات على إحدى هذه العلامات فلا يصح أن يُجزم بأنه من أهل الجنة قطعاً وجزماً، ولكن يُرجى له ذلك، والمسلم يحكم بالظاهر والله يتولى السرائر.

وكذلك إذا تخلفت هذه العلامات عند موت مسلم لا يعد ذلك علامة خسران وحكماً بالنار.

فالعلامة المميزة في الحقيقة هي سيرة الإنسان في حياته، وعمله في عمره. فالاستقامة مع الإخلاص وحدها علامة من علامات حسن الخاتمة، وإن لم يحصل لصاحبها واحدة من العلامات المذكورة.

فيا أيها المسلمون، لنجعل شغلنا الشاغل، وهما الأكبر إحسان القدوم على الله تعالى، بملازمة الطاعات بدون تأجيل، وهجر المعاصي من غير تسويق للتوبة منها. ولنكن مخلصين في أقوالنا وأعمالنا؛ لأن النفاق والرياء قد يكونان سببين من

(١) متفق عليه.

(٢) تموت بجمع) أي: المرأة تموت من الولادة وولدها في بطنها قد تم خلقه. وقيل: إذا ماتت من النفاس فهو شهيد، سواء ألفت ولدها وماتت، أو ماتت وهو في بطنها. ينظر: شرح صحيح البخاري، لابن بطال (٤٣/٥).

(٣) رواه النسائي، وهو صحيح.





أسباب سوء الخاتمة، قال رسول الله ص: (إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس، وإنه من أهل النار. ويعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة)<sup>(١)</sup>.

وعندنا تذكير يومي بالخاتمة-لو عقلناه- وهو من علامات حسن الخاتمة، وهو أن نقول صباحاً ومساءً دعاء سيد الاستغفار، قال رسول الله ص: (سيد الاستغفار: اللهم، أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني، وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أبوء لك بنعمتك وأبوء لك بذنبي، فاغفر لي؛ فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، أعود بك من شر ما صنعت). قال: من قالها من النهار موقناً بها فمات من يومه قبل أن يمسي- فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل- وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح- فهو من أهل الجنة<sup>(٢)</sup>.

وعلينا أن نعي هذه الحكمة: من عاش لشيء مات عليه، ومن مات على شيء بعث عليه.

فاللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، وثبت اللهم على دينك قلوبنا، وعلى صراطك أقدامنا، واختم بالصالحات أعمالنا، يا سميع الدعاء.

هذا وصلوا وسلموا على البشير النذير...

(١) متفق عليه.

(٢) رواه البخاري.

## فهرس خطب المجموعة الأولى

٥	..... المقدمة
٦	..... مقدمة المجموعة الأولى
٨	..... تأملات في وصايا لقمان
٢٠	..... الخطبة الثانية
٢٤	..... عاشوراء بين السنة والبدعة
٣٠	..... الخطبة الثانية
٣٦	..... البركة في الأرزاق
٤٧	..... الخطبة الثانية
٥٠	..... الشتاء حكم وأحكام
٦٠	..... الخطبة الثانية
٦٧	..... خسر المتشائمون
٧٥	..... الخطبة الثانية
٧٨	..... إنه الحق
٨٨	..... الخطبة الثانية
٩١	..... أدب الجوار
١٠٦	..... الخطبة الثانية
١١٠	..... فضل يوم الجمعة
١١٨	..... الخطبة الثانية

- ١٢٢.....إدراك السعادة في ظلال العبادة.....
- ١٣٥.....الخطبة الثانية
- ١٣٨.....وُلِدِ الْهُدَى.....
- ١٤٧.....الخطبة الثانية
- ١٤٩.....رسالة المسجد في الإسلام.....
- ١٦١.....الخطبة الثانية
- ١٦٣.....وصايا في خضم البلايا.....
- ١٧٤.....الخطبة الثانية
- ١٧٩.....العفاف ذلك الكنز الثمين.....
- ١٩١.....الخطبة الثانية
- ١٩٥.....الزواج طريق إلى العفاف.....
- ٢٠٦.....الخطبة الثانية
- ٢٠٩.....عفاف الطرف.....
- ٢٢٠.....الخطبة الثانية
- ٢٢٣.....درع العفاف: الحياء والحجاب.....
- ٢٣٣.....الخطبة الثانية
- ٢٣٧.....الاختلاط وخطره على العفاف.....
- ٢٤٦.....الخطبة الثانية
- ٢٤٩.....الإعلام السيء وهدمه للعفاف وصلاح الناس.....
- ٢٥٩.....الخطبة الثانية
- ٢٦١.....سعادة النجاح.....

النور السائر من خطب المنابر

- ٢٧٠ ..... الخطبة الثانية
- ٢٧٤ ..... الاستعداد للأخرة
- ٢٨٥ ..... الخطبة الثانية
- ٢٨٨ ..... إياكم واللعن
- ٢٩٨ ..... الخطبة الثانية
- ٣٠١ ..... المستوجبون للعن
- ٣٠٨ ..... الخطبة الثانية
- ٣١٢ ..... غصن نضير من دوحه البشير النذير
- ٣٢٦ ..... الخطبة الثانية
- ٣٣١ ..... تداعي الأمم على أمة الإسلام
- ٣٤١ ..... الخطبة الثانية
- ٣٤٤ ..... أهل البهتان والإثم المبين
- ٣٥٥ ..... الخطبة الثانية
- ٣٥٧ ..... حسن الخاتمة
- ٣٦٦ ..... الخطبة الثانية
- ٣٧٠ ..... فهرس خطب المجموعة الأولى